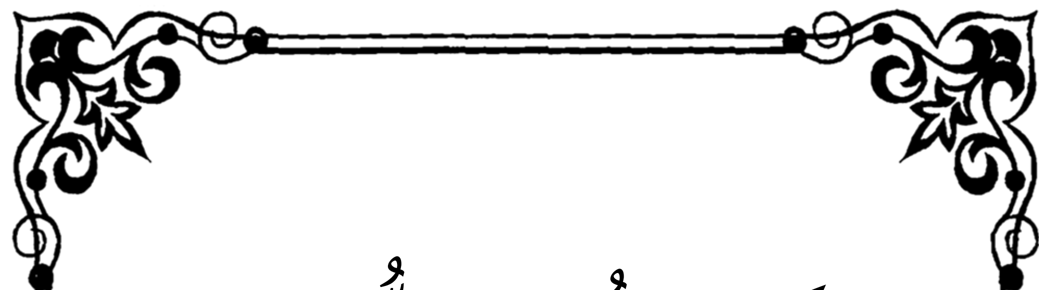


كَشفُ الشُّبُهَاتِ

للشّيخ الإمام محمد بن عبد الوهّاب النَجدي

(المتوفى: ١٢٠٦هـ)

ومعه

حَاشيةُ الإسْرَافيليّ
عَلَى كَشفِ الشُّبهَاتِ

تأليف

أَبي مَشْكُور الإِسْرافِيلي

عَبدِ الشَّكُور بن عَليِّ بن عَبدِ الله الصَّومَالي

فِي دَارِ الحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ بِالحَامِي

الطبعة الأولى

١٤٤٠-٢٠١٩



المقَدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البِدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهَّال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين.[(١)]

أمَّا بعد: "فإِنَّ مِنْ أَعْظَم أَسْبَابِ ظُهُورِ الْإِيْمَانِ وَالدِّينِ، وَبَيَانِ حَقِيقَةِ أَنْبَاءِ الْمُرْسَلِينَ ظُهُورُ الْمُعَارِضِينَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ الْمُبِينِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٢-١١٥].

---

(١) مقتبس من مقدمة الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهميَّة (ص/ ٥٥).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٣١].

وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ إِذَا جُحِدَ وَعُورِضَ بِالشُّبُهَاتِ أَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِمَّا يُحِقُّ بِهِ الْحَقَّ، وَيُبْطِلُ بِهِ الْبَاطِلَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ بِمَا يُظْهِرُهُ مِنْ أَدِلَّةِ الْحَقِّ وَبَرَاهِينِهِ الْوَاضِحَةِ، وَفَسَادِ مَا عَارَضَهُ مِنَ الْحُجَجِ الدَّاحِضَةِ". [1]

وَلَا بُدَّ أَنْ يُقِيمَ اللَّهُ فِيهِ مَنْ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ خَلَفًا عَنْ الرُّسُلِ فَيَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِّينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، فَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ، وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. [2]

وقد وجد في الأمَّة المحمديَّة من قديم الزَّمان وحديثه مَنْ يَتَفَطَّنُ لِمَا فِي كَلَامِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ الْبَاطِلِ وَيَرُدُّهُ، وَهُمْ لِمَا هَدَاهُمْ اللَّهُ بِهِ يَتَوَافَقُونَ فِي قَبُولِ الْحَقِّ وَرَدِّ الْبَاطِلِ رَأْيًا وَرِوَايَةً مِنْ غَيْرِ تَشَاعُرٍ وَلَا تَوَاطُؤٍ. [3]

ومن أولئك العُلَمَاء النَّاصِحِين الذِين قَاموا بالدِّفاع عن الإسلام وبيان الحقِّ من الباطل الإمام العلّامة شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الوهَّاب النَّجدي التميمي، فقد صنَّف الشيخ هذه الرِّسالة التي تسمَّى بـ(كشف الشبهات) جوابا لكثير من شبه القبوريين التي أدلوا بها، وذكروها في مصنَّفاتهم، [4] ولـمَّا كانت هذه الرِّسالة من الرَّسائل التي تدرس

---

(١) مقتبس من كلام شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (١/ ٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٥).

(٣) مقتبس من كلام شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٩/ ٢٣٣).

(٤) انظر روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (ص/ ٢٢٥).

في مراكز أهل السنَّة أحببت أن أعلِّق عليها بتعليقات لطيفة ونقولات عن الأئمة توضح مقصود المؤلف، وتشرح كلام المصنِّف، والمرجوّ من الملك الوهَّاب أن يجعل ذلك جاريًا على سنن الصَّواب، وأن يجعل لها القبول بين الأحباب، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين.

❊ ❊ ❊

ترجمة المصنِّف

اسمه ونسبه: الإمام الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تميم.

مولده: ولد هذا العالم (١١١٥) هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

نشأته: حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً، وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظة، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة، وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها، ومنهم العلامة الشيخ إبراهيم الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح الفية الفرائض، ومنهم المحدث الشهير محمد حياة السندي، فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله، وأجازه بالأمهات، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى – قد وهبه الله فهماً ثاقباً، وذكاء مفرطاً، وأكبَّ على المطالعة والبحث والتأليف، وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث، وكان لا يسأم من الكتابة، وقد خطَّ كتباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله – ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولما توفّي والده أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله، وإنكار المنكر، ويهاجم المبتدعة، وغيرهم من المشركين، وقد شد أزره الولاء من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره.

مؤلفاته: له - رحمه الله تعالى - مؤلفات نافعة نذكر منها:

١) الكتاب الجليل المفيد المسمى "كتاب التوحيد". ٢) كشف الشبهات، وهو الذي بين أيدينا. ٣) الكبائر. ٤) مختصر الإنصاف والشرح الكبير.

٥) مختصر زاد المعاد. ٦) فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

ثناء العلماء عليه: قال الصنعاني في أبيات له:

سلامي على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ثم قال:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي

وَيْعمُر أركانَ الشريعة هادماً ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

وقال الشوكاني في البدر الطالع في ترجمة غالب بن مساعد أمير مكة (٢/ ٧):

"وصل من صَاحب نجد الْمَذْكُور مجلدان لطيفان، أرسل بهما إِلَى حَضْرَة مَوْلَانَا الإِمَام حفظه الله، أَحدهمَا يشْتَمل على رسائل لمُحَمد بن عبد الْوَهَّاب كلهَا فِي الْإِرْشَاد إِلَى إخلاص التَّوْحِيد، والتنفير من الشِّرك الذي يَفْعَله المعتقدون فِي الْقُبُور، وهي رسائل جَيِّدَة، مشحونة بأدلة الْكتاب وَالسّنة".

وفاته: قد توفي رحمه الله تعالى عام (١٢٠٦ هـ) فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين ﷺ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. [١]

* * *

(١) انظر مقدمة فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان على شرح كشف الشبهات للعلامة ابن عثيمين، وعنوان مجد في تاريخ نجد، والإمام محمد بن عبد الوهاب وسيرته لابن باز.

تَعرِيفُ الكِتَاب

هَذَا الكِتابُ العَظِيم له عدَّة أسماء، فَمِنهَا:

١) كشف الشبهات. [١]

٢) كشف الشبهات وإدحاض الضلالات.

٣) كشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفه والرد على المشركين. [٢]

٤) كشف شبه المرتاب. [٣]

٥) كشف الشبه. [٤]

وهذه الأسماء كلّها كما هو الظاهر اتفقت على لفظتين، وهما (كشف) (شبهة) أي: جمعها، (شُبه) و(شبهَات).

---

(١) وهذا هو الاسم المعتمد عند الذين جمعوا مؤلفات الشيخ (١/ ١٥٥).

(٢) ذكره الشيخ صديق حسن خان في أبجد العلوم (ص/ ٦٨٢).

(٣) ذكره الشيخ سليمان بن عبد الله في التوضيح عن توحيد الخلاق (ص/ ٣٧).

(٤) ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن كما في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ٣٣٢).

فأما **معنى الكشف** فهو لغة يطلق على أمرين: [١]

الأوَّل: إزَالة الشيء عن الشيء كلّه، بمعنى التَّعرية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام:١٧].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النمل:٦٢].

الثَّاني: الإبانة والإظهار، أي: إزالة الغطاء والخفاء والسِّتر عن الشيء، لأجل أن يرى ما تحت الغطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة ق:٢٢].

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٥/ ١٨١): "الْكَافُ وَالشِّينُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سَرْوِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، كَالثَّوْبِ يُسْرَى عَنِ الْبَدَنِ". أي: نزع ورفع الشيء عن الشيء، كما في لسان العرب.

وأمَّا **الشُّبهات** فهي جمع شبهة، وهي في اللغة: الالتباس والتشابه، وفي جمعها ثلاث لغات: شبهات، بضمتين، أو بضم وفتحة، أو بضم فسكون.

---

(١) قال ابن عاشور في التَّحرير والتَّنوير (٢٧/ ١٥٩): "وَالْكَشْفُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى التَّعْرِيَةِ مُرَادٌ بِهِ الْإِزَالَةُ، مِثْلُ: وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَذَلِكَ ضِدُّ مَا يُقَالُ: غَشْيَةُ الضُّرِّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَشْفُ بِمَعْنَى إِزَالَةِ الْخَفَاءِ."

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٣/ ٢٤٣): "الشِّينُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَصْفًا. يُقَالُ شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ. وَالْمُشَبِّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا."

واصطلاحا: الشُّكُوكُ الَّتِي تُوقِعُ فِي اشْتِبَاهِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، فَيَتَوَلَّدُ عَنْهَا الْحَيْرَةُ وَالرِّيبَةُ.[1]

قال ابن القيم في مفتاح دار السَّعادة (ص/ ١٤٠): "والشُّبهة وَارِد يَرِد عَلَى الْقَلبِ يحول بَينه وَبَين انكشاف الْحق لَهُ".

وقَالَ ابن العربي فِي القَبَس (١/ ٧٨٥): "وأما الشُّبهة فهي في ألسنة الفقهاء عبارة عن كل فعلٍ أشبه الحرام فلم يكن منه ولا بَعُد عنه ويسميها علماؤنا الذرائع."

وحقيقتها التباس الحق بالباطل واختلاطه حتى لا يتبين، وليس هذا في نفس الأمر، وإنما هو نسبي إضافي، أي: من لم يتبين له وجه الحق في ذلك.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣/ ٦٢): "وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الشُّبَهُ الَّتِي يَضِلُّ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ وَهِيَ مَا يَشْتَبِهُ فِيهَا الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ حَتَّى تَشْتَبِهَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ؛ وَمَنْ أُوتِيَ الْعِلْمَ بِالْفَصْلِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا لَمْ يَشْتَبِهْ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَالْقِيَاسُ الْفَاسِدُ إنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الشُّبُهَاتِ؛ لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ لِلشَّيْءِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ بِمَا لَا يُشْبِهُهُ فِيهِ، فَمَنْ عَرَفَ الْفَصْلَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ: اهْتَدَى لِلْفَرْقِ الَّذِي يَزُولُ بِهِ الِاشْتِبَاهُ".

(١) انظر مدارج السالكين (٣/ ٥٥٢).

وَإِنّمَا سميت الشُّبْهَة شُبْهَة لاشتباه الْحق بِالْبَاطِلِ فِيهَا؛ فإنها تلبس ثوب الْحق على جسم الْبَاطِل. [(١)] وأسباب الشُّبهة ثلاثة:

١) سوء الفهم. ٢) سوء القصد. ٣) عدم العلم.

ومراد المصنف هنا: كشف ما كان عند النَّاس مما يشتبه من الأمور ويُلبِّس به بعض الناس على بعض بالباطل لأغراض فاسدة، حول عبادة القبور والاستغاثة بها التي عمَّت كثيرًا من بلاد الإسلام من بعد القرون المفضلة، حيث أُدخل في الإسلام ما ليس منه. [(٢)]

قال بعض الشُّرَّاح: ومراد المصنِّف من هذا العنوان إيضَاح أن الحجج التي استدل بها مشركو زمنه لنفي الشرك عنهم لا تصلح أن تكون حججاً لأنها باطلة واضحة البطلان. [(٣)]

وكشف الشُّبه يكون من طريقَين:

١) طريق سمعيّ، أي: النقلي الشرعي، وهو إبطال الشبهة ودحضها بالحجج والبراهين من الكتاب والسنَّة.

٢) طريق عقلي، وذلك بإبطال شبهة المشرك عن طريق العقل، وإثبات أنها مصادمة، ومضادة للعقول. [(١)]

---

(١) قاله ابن القيم في مفتاح دار السعادة (ص/ ١٤٠).

وقال شيخ الإسلام: "وَإِن كَانَ كل ذِي مقَالَة فَلَا بُد أَن تكون فِي مقَالَته شُبْهَة من الْحق وَلَوْلَا ذَلِك لما راجت واشتبهت". انظر جامع الرسائل (٢/ ٤٠١).

(٢) شرح كشف الشبهات للشيخ الفوزان (ص/ ١١). وتعليقات المباركات على كشف الشبهات للشيخ زيد المدخلي (ص/ ١١).

(٣)التوضيحاتُ الكاشفاتُ على كشفِ الشُبَهاتِ للدكتور محمد الهبدان (ص/ ١٨).

مَوضُوعِ الكِتَابِ

موضوع الكتاب الشُّبهات الواردة على التَّوحيد والجواب عنها.

والمصنِّف بدأ ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرّسل، وأنزلت به الكتب، وأنه توحيد الألوهيَّة والعبادة والقصد والإرادة، وبيَّن أنَّ معنى الإله هو المعبود، ثم بيَّن حقيقة الشرك الذي كان عليه الأوَّلون، وأنَّه لا فرق بينه وبين ما عليه مشركو المتأخرين، وأنه صرف العبادة لغير الله عز وجل تقرّبا إلى الله، أو طلبا للشَّفاعة، ثم ذكر أشهر الشبه التي يتعلق بها المشركون، وذكروها في مصنَّفاتهم، ثم ختمها بخاتمة جميلة تبيِّن أن التوحيد يكون بالقلب واللسان والجوارح.

ويذكر بعض المحققين أن المصنِّف كتب هذا الكتاب بعد تأليف كتاب التوحيد وانتشاره، ثم بعد ذلك ردَّ على كتابه بعض من كان في عصره، وأوردوا عليه شبهات كثيرة، فأجابه الشَّيخ في هذا الكتاب عن تلك الشبه، ولكنَّه لا إشكال في أنه يمكن أن يدرس كشف الشبهات قبل كتاب التَّوحيد، وذلك لأن المصنّف قدم مقدمات عظيمة، وقواعد جليلة، في معرفة التوحيد وضده، من فهمها سيتضح له مقصود الكتاب، ولهذا الكتاب شروح كثيرة سنذكر بعضها في آخر الكتاب، وقد استفدت من جل هذه الشروح، وقد نظم بعض أهل العلم هذا الكتاب، ومنهم:

١) الشيخ محمد الطيب الأنصاري، وسمّاه: البراهين الموضحات.

٢) الشيخ محمد بن أحمد الحفظي رحمه الله، في ألفيته التي نظم فيها بعض كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهي تفسير كلمة التوحيد والخصال الثماني وكتاب التوحيد والثلاثة الأصول وكشف الشبهات.(*) والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

= (١) انظر الكلمات الواضحات للقصيِّر (ص/١٣) وشرح كشف الشبهات لصالح آل الشيخ (ص/ ٣٤). (*) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية (ص/ ١٣٧).

عدد الشبهات

الذي يظهر لي أنَّ عدد شبهات هذا الكتاب (١٥) شبهة، وقد جعلت لكلِّ شبهة رقما خاصا، كما سَتجده في الكتاب، ومن أهل العلم من جَعَل (١٦) شبهة بزيادة الشبهة التي ذكرها الشيخ عند الجواب المجمل، ومنهم من جَعَل (١٥) وزاد هذه الشبهة ثمَّ دمج الشبهة الخامسة في الشبهة الرَّابعة، ومنهم من جَعَل (١٢) شبهة، وهو الشَّيخ العلَّامة عبد الرحمن بن قاسم في تعليقه على شرح الشيخ محمد بن إبراهيم. ومنهم من جعلها غير ذلك، والذين نشروا هذه الشُّبهات في المجتمع الإسلامي هم الصوفية والشِّيعة. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

مَن هُو صَاحِب هذه الشُّبهات؟

ذكر العلامة البسام في علماء نجد (١/ ١٤٣) أن محمَّد بن عبد الله بن فيروز النجدي ثم الأحسائيّ (ت:١٢١٦ه) هو صاحب الشبهات، فقال: "وهو الذي بعث الشبه التي ردَّ عليها الشيخ برسالته كشف الشبهات."

وقال الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل في تقديمه للتوضيحات الكاشفات (ص/ ١): " وهذه الشبهات يقال: إن الذي أوردها هو الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز الأحسائي المتوفى في محرم ١٢١٦هـ وهو من شرق بهذه الدعوة المباركة وقام بعدائها بكل وسيلة، وكتب بذلك لوالي بغداد يغريه بأن يقضي عليها، وأنشد في ذلك القصائد مع ما بينه وبين الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب من صلة قرابته نسباً وصهراً؛ فأما النسب فكلاهما من الوهبة من نبي تميم، وأما المصاهرة فإن عبد الله بن فيروز والد محمد هو ابن عمة الشَّيخ المجدّد محمّد بن عبد الوهاب ".

قلت: وليس ببعيد بل الظاهر أن تأتي هذه الشُّبه مِن أشْخَاص مختلفة، ومن بلدان متنوعة، كما سنشير إلى بعضهم، ولكن ربما أكثر من أورد هذه الشبه ونشرها هو هذا الرجل، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

ثَنَاء العُلَمَاء عَلَى هَذَا الكِتَاب

لَمَّا كان هذا الكتاب من أحسن كتب الإمام محمد بن عبد الوَّهاب رحمه الله تعالى أجمعت كلمة العلماء على ثنائه، ونذكر هنا بعض العلماء الذين أثنوا على هذا الكتاب.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله وهو يمدح هذا الكتاب: [(١)]

كشــفت بالكشــف عنَّــا كــل مشــكلة ... ظــلَّ الــذكي بهــا في الكــون حيرانــا

نصــرتَ فيــه طريقــا للنبــي غــدت ... لا تســتطيع لهــا الأفهــام عرفانــا

ذرت عليهــا الــذَّواري فهــي خاويــة ... حتــى جهــدت لهــا بحثــا وتِبيانــا

فأصــبح النــاس قــد هبــوا وقــد عرفــوا ... مــن بعــد رقــدتهم حينــا وأزمانــا

أتيــت تتلــو كتــاب الله مجتهــدا ... حتــى شــددت مــن الإســلام أركانــا

فأضــحَت ملَّــةُ الإســلام نائلــة ... نصــرا وعــزا وتثبتــا وإتقانــا

جــزاك ربــك عنَّــا كــلّ صــالحة ... أمْنــا ورحمــا وتســليما ورضــوانا

وقال الشَّيخ العلامة سليمان بن سمحان في الضياء الشارق (ص/ ٩٣): "صنَّف الشيخ رحمه الله تعالى كشف الشبهات، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات، فأدحض حججهم، وبين تهافتهم، وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه، جليل القدر انقمع به أعداء الله وانتفع به أولياء الله، فصار علما يقتدي به الموحدون، وسلسبيلاً يرده المهتدون، ومن كوثره يشربون، وبه على أعداء

(١) علماء نجد (٢/ ٣٤٨) ورياض المجد (١/ ٩٩).

الله يصولون، فلله ما أنفعه من كتاب، وما أوضح حججه من خطاب، لكن لمن كان ذا قلب سليم، وعقل راجح مستقيم."

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن منهاج التأسيس (ص/ ٢٧): "وقد تكلم شيخنا في كتابه كشف الشبهات على أكثرها، فراجعه إن شئت، فإنه مفيد مع اختصاره ولطافة حجمه."

وقال العلامة محمود الآلوسي: "لم يزل خصوم أهل الحق في كل عصر يسعون في تأييد باطلهم، ويستندون إلى شبه هي أوهي من بيت العنكبوت، وأنها لمن أوهن البيوت، ويتشبثون لترويج باطلهم حتى بحبال القمر، وقد رأيت رسالة مختصرة صنفها العلامة أبو عبد الله الشيخ محمد رحمه الله سماها (كشف الشبهات) أودعها نبذة من ذلك، وهي على اختصارها نافعة جداً لطالب الحق فأحببت إيراد شيء منها إتماماً للفائدة".[١]

وقال العلامة ابن باز رحمه الله تعالى: "ومما يتعلق بكتب العقيدة: كتابان جليلان للشيخ الإمام محمد عبد الوهاب رحمه الله هما: كتاب التوحيد، وكتاب كشف الشبهات".[٢]

وقال أيضا: "وألف كتاب (كشف الشبهات) الذي بين فيه شبها كثيرة، يشبه فيها أعداء الله على المسلمين من عباد الأصنام والأوثان، وألف العلماء قبله مؤلفات كثيرة في

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٣٧٦).

(٢) مجموع فتاويه (٥/ ٦٩).

بيان هذه الشرور والتحذير منها، ولكن الله وفقه للقيام بمحاربة هذه الشرور والنشاط فيها، وبذل الدروس المفيدة والمحاضرات العظيمة، وساعده في ذلك من منَّ الله عليه بالهداية من العلماء الأخيار، من أبنائه وغيرهم من علماء عصره الذين وفقهم الله للهداية حتى حاربوا هذه الشرور، وحتى طهر الله بهم هذه الجزيرة منها، ولا سيما شمالها". [١]

ويقول الشَّيخ الدِّكتور عبد الرحمن المحمود: "كتاب كشف الشبهات حسب اطلاعي ومتابعتي يشبه التَّدمريَّة، فالتَّدمريَّة تمثل خلاصة كتب شيخ الإسلام، وقد حوت من الأصول والقواعد المتميزة العظيمة ما لا توجد مجتمعة في كتاب من كتب شيخ الإسلام غير هذا الكتاب، وهو يمثل خلاصة ومناقشات وقواعد الإمام ابن عبد الوهاب، وجواب شبهات المخالفين في باب التوحيد وما يضاده من الشِّرك، فقد حوى تقريبا كل ما قاله واحتج به دعاة الشِّرك في الأولياء والأضرحة والقبور وغيرها، قديما وحديثا، وناقشها واحدة واحدة، بأسلوب قويّ متين، يقطع دابر الشبهة من أساسها، لمن رزقه الله فهما سليما، وعقلا صحيحا، وتجرد عن اتباع الهوى والتقليد الأعمى." [٢]

وقال الشيخ ابن عثيمين في شرح كشف الشبهات (ص/ ١١): "فهذا شرح يسير على كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المسمى (كشف الشبهات)، والذي أورد فيه المؤلف بضع عشرة شبهة لأهل الشرك، وأجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل، مع

---

(١)مجموع فتاويه (٨/ ٧٦).

(٢)مقدِّمة تحقيق كشف الشبهات (ص/ ٨) للشَّيخ عبد الله بن عايض القحطاني.

سهولة المعنى ووضوح العبارة، أسأل الله تعالى أن يثيبه على ذلك، وأن ينفع بذلك العباد، إنه على كل شيء قدير".

وقال الشيخ محمد الطيب الأنصاري في البراهين الموضحات (ص/ ١) ناظما لهذا الكتاب:

فجـــا كِتابـــاً حَجْمُـــهُ صـــغيرُ لكِنَّـــــهُ في علمِـــــهِ كبيـــــرُ

وقال الدكتور أمين سعيد: "واصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب التأليف، فأتبع كتاب التَّوحيد كتابا آخر لا يقل عنه فائدة، وسمَّاه كتاب كشف الشبهات، فكان آية في البلاغة، وحجة في الإقناع، وقد أراد من وضع هذا الأخير كشف الشبهات التي كانت تعرض للناس وبيان الوجه الحق فيها." [1]

وقال الشيخ عبد الله الصالح العثيمين: "وأسلوب كشف الشبهات أسلوب جدلي، وجمله طويلة نوعا ما، إذا قورنت بكتابات مؤلفه الأخرى، ويكثر في هذه الجمل استعمال الأدوات الشَّرطيَّة، وفي بعض الأحيان توجد أفعال شرط متعدِّدة معطوفة على فعل الشرط الأول قبل ذكر جوابه، والكتاب قصير في محتواه، لكنه من أشهر ردود مؤلفه على معارضيه." [2]

---

(١) سيرة الإمام ابن عبد الوهاب (ص/ ٢).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره (ص/ ٨٥).

وقال الشيخ زيد المدخلي: "فإن هذا الكتاب من كتب العقيدة المسمى (كشف الشبهات) مشتمل على بيان واضح لحقيقة التوحيد، وتصفية الأعمال من شوائب الشرك، وتفنيد الشبهات الَّتِي يتعلق أهل الشرك، وسائر أهل البدع والأهواء بِها." [(١)]

وقال الشيخ العلامة ابن حميد في شرح كشف الشبهات (ص/ ١٢): "وهذا الكتاب مع قصره من أنفع الكتب، لأنه يذكر فيه شبه المبطلين، من عباد الأصنام، والمتوسلين بغير الله، يذكر شبههم، ويجيب عليها شبهة شبهة، ولهذا سمي هذا الكتاب بكشف الشبهات".

وقال الشيخ البراك في شرح كشف الشبهات (ص/ ٧): "وهذا كتاب جليل القدر، وهو يعرف بـ(كشف الشبهات) أي: إزالة الشبهات، وبيان بطلانها، وقصد به الشيخ رحمه الله تقرير التوحيد الذي بعث الله به رسله أولا، وهو الذي يكون به الإنسان مسلما، ولمزيد التقرير ردًّا على الشبهات التي يتعلق بها كثير من القبوريين، وأهل البدع."

ويقول محدِّث المدينة النبويَّة العلامة العباد: "اسم الكتاب مُطابقٌ لموضوعه، فالشيخ ـ رحمه الله ـ أورد فيه الشبهات التي ذكرها أهلُ البدع، ملبِّسين بها على الدعوة إلى الحقِّ والصراط المستقيم، ومخالفين فيها لِما كان عليه سلف هذه الأمَّة من الصحابة ومَن سار على نهجهم، وذلك بتعلُّقهم بالأولياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينهم وبين الله، يَدعونهم ويَستغيثون بهم، فجمع الشيخ ـ رحمه الله ـ جُملاً كبيرة من هذه الشُّبَه، فيذكر

---

(١) التعليقات المباركات على كشف الشبهات (ص/ ١١).

الشبهة ثم يذكر الجواب عليها، مستدلاًّ على ذلك بنصوص الكتاب والسنَّة وما كان عليه سلف الأمَّة، وكتابه هذا متمِّمٌ لكتبه الأخرى في العقيدة، التي أوضح فيها ما يجب اعتقاده وفقاً لنصوص الكتاب والسنَّة، فإنَّه بهذا الكتاب أجاب على ما يُورَد على العقيدة الصحيحة من شبهات، مبيِّناً بطلانها ومخالفتها للحقِّ والهدى الذي كان عليه سلف هذه الأمَّة.". (١)

* * *

(١) انظر منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف (ص/ ١٢).

أَنوَاعُ الفِتَنِ وَكَيفيَّةُ النَّجَاةِ مِنها

قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥-١٦٧):

"والفتنة نوعان: فتنة الشبهات. وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات.

وقد يجتمعان للعبد. وقد ينفرد بإحداهما.

ففتنة الشُّبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم:٢٣].

وقد أخبر الله سبحانه أنَّ اتِّباع الهوى يضل عن سبيل الله، فقال: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ص:٢٦].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنِّفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال.

ولا يُنجى من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في دِقِّ الدين وجِلِّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام. وما يثبته الله من الصفات والأفعال، والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نُصبُ الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان، فلا يجعله رسولا في شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يتلقى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه.

فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال، فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عما سواه، ووزنه بما جاء به الرسول، فإن وافقه قبله، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه رده، ولو قاله من قاله، فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرَّجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة.

وأما النوع الثاني من الفتنة ففتنة الشهوات.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفِتنتَين في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ [سورة التوبة:٦٩].

أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلّم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني: فسق الأعمال.

فالأول فساد من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون "احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه".

وكانوا يقولون "احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون".

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأيِ على الشرع، والهوى على العقل.

فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

فدل على أنَّه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وجمع بينهما أيضاً في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر: ٣].

فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات، وبالصبر الذي يكف عن الشهوات. وجمع بينهما في قوله: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة ص: ٤٥].

فالأيدي: القوى والعزائم في ذات الله، والأبصار: البصائر في أمر الله. وعبارات السلف تدور على ذلك.

قال ابن عباس "أولى القوة في طاعة الله، والمعرفة بالله".

وقال الكلبي "أولى القوة في العبادة، والبصر فيها".

وقال مجاهد "الأيدي: القوة في طاعة الله، والأبصار: البصر في الحق".

وقال سعيد بن جبير "الأيدي: القوة في العمل، والأبصار: بصرهم بما هم فيه من دينهم".

وقد جاء في حديث مُرسَل: "إن الله يحبّ البصر النَّافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشَّهوات".

فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشُّبهة والله المستعان."

❊ ❊ ❊

مَنهَجُ أَهلِ العِلمِ عِند وُرودِ الشُّبه

قال ابن القيم في مفتاح دار السَّعادة (١/ ١٤٠-١٤١):

"والشبهة وَارِد يرد على الْقلب يحول بَينه وَبَين انكشاف الْحق لَهُ.

فَمَتَى بَاشر الْقلب حَقِيقَة الْعلم لم تُؤثر تِلْكَ الشُّبْهَة فِيهِ، بل يقوى علمه ويقينه بردِّهَا وَمَعْرِفَة بُطْلَانهَا.

وَمَتى لم يُبَاشر حَقِيقَة الْعلم بِالْحَقِّ قلبه قدحت فِيهِ الشَّك بِأول وهلة، فان تداركها وإلَّا تتَابَعَت على قلبه أمثالها حَتَّى يصير شاكا مُرْتَابا.

وَالْقلب يتوارده جيشان من الْبَاطِل: جَيش شهوات الغيّ، وجيش شُبُهَات الْبَاطِل، فأيما قلب صغا إليها وركن إليها تشربها وامتلأ بهَا فينضح لِسَانه وجوارحه بموجبها، فَإِن أشرب شُبُهَات الْبَاطِل تَفَجَّرَتْ على لِسَانه الشكوك والشبهات والايرادات، فيظنّ الْجَاهِل أن ذَلِك لسعة علمه، وَإِنَّمَا ذَلِك من عدم علمه ويقينه.

وَقَالَ لي شيخ الاسلام رضى الله عَنهُ وَقد جعلت أورد عَلَيْهِ إيرادا بعد إِيرَاد: "لا تجعل قَلْبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشرَّبها، فَلَا ينضح الا بهَا، وَلَكِن اجْعَلْهُ كالزجاجة المصمتة، تمرّ الشُّبُهَات بظاهرها، وَلَا تَسْتَقِر فِيهَا فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وَإِلَّا فاذا اشربت قَلْبك كل شُبْهَة تمرّ عَلَيْهَا صَار مقرًّا للشبهات"، أَوْ كَمَا قَالَ.

فَمَا اعْلَم أَني انتفعت بِوَصِيَّة فِي دفع الشُّبُهَات كانتفاعي بذلك، وَإِنَّما سميت الشُّبْهَة شُبْهَة لاشتباه الْحق بِالْبَاطِلِ فِيهَا، فإنها تلبس ثوب الْحق على جسم الْبَاطِل، وَأَكْثر النَّاس أصحاب حسن ظَاهر، فَينْظر النَّاظر فِيهَا البسته من اللبَاس فيعتقد صِحَّتهَا.

وأما صَاحب الْعلم وَالْيَقِين فإنه لَا يغترّ بذلك، بل يُجَاوز نظره إلى بَاطِنهَا وما تحت لباسها، فينكشف لَهُ حَقِيقَتهَا.

وَمِثَال هَذَا الدِّرْهَم الزائف فَإِنَّهُ يغتر بِهِ الْجَاهِل بِالنَّقْدِ نظرا إلى مَا عَلَيْهِ من لِبَاس الْفضة، والناقد الْبَصِير يُجَاوز نظره إلى مَا وَرَاء ذَلِك، فَيطلع على زيفه، فاللفظ الْحسن الفصيح هُوَ للشُّبْهَة بِمَنْزِلَة اللبَاس من الْفضة على الدِّرْهَم الزائف، وَالْمعْنَى كالنُّحاس الَّذِي تَحْتَهُ".

* * *

مقدّمة المصنِّف [١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [٢]

(١) المقدمة في الأصل صفة، لأنها اسم فاعل، ثم نقلت من الوصفية، وجعلت اسما لمقدمة الجيش، ثم نقلت من مقدمة الجيش إلى مقدمة الكتاب أو العلم، ويجوز فيها كسر الدَّال وفتحها، فالمقدِّمة بكسر الدَّال اسم فاعل من (قدم)، بمعنى (تقدَّم) ومعناه أنها تكون مقدمة لك أيها القارئ لما فيها من بيان مقصود الكتاب.

والمقدمة بفتح الدال اسم مفعول من (قدَّمت الشيء) أي: جعلته مقدما، أي: أن هذه الكلمات مقدَّمة على الكتاب أمام المقصود ليسهل على الطالب فهم موضوع الكتاب.

والمقدمة مقدمتان: مقدمة علم ومقدمة كتاب.

فالأولى: ما يتوقف فهمه بفهم ذاك العلم، وهي المسمَّى عندهم المبادئ العشرة.

والثاني: ما ينبغي أن يذكر المصنِّف أمام المقصود.

قال بعض العلماء: ينبغي لكل شارع في التصنيف أن يذكر ثمانية أشياء:

منها أربعة واجبة وجوبا صناعيا وهي البسملة، والحمدلة، والصلاة على رسول الله ﷺ، والشهادتان.

ومنها أربعة مستحبة وهي: تسمية الكتاب، وتسمية المصنِّف، ولفظ (أمَّا بعد) والاتيان بما يدل على المقصود، ويقال براعة الاستهلال. انظر الكواكب الدرية (ص/٨) ونزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر (١/ ٣٣).

(٢) ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة كما هي عادة المصنِّفين اقتداء بكتاب الله عز وجل لكونه مبدوء بالبسملة، واقتداء برسول الله ﷺ، فإنه كان يبتدئ رسائله بالبسملة، فقد ورد في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ، فَأَتَوْهُ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ».

وهي كذلك سنَّة الأنبياء فقد كتب سليمان عليه السلام البسملة في رسالته التي أرسل إلى ملكة سبأ، كما حكى الله عنه: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النمل:٢٩-٣١].

=

=

يقول القرطبي رحمه الله: "اتفقت الأمة على كتابتها فِي أَوَائِلِ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ."

وجاء عن الشعبي أنه قال: "مضت السنَّة ألا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم".

وجاء عن سعيد بن جبير جواز ذلك، قال الخطيب: وهو المختار، وتابعة الجمهور على ذلك.

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أنّ الكتب لا يبدأ فيها إلا بالبسملة دون الحمدلة، كما هو صنيع البخاري ومالك وعبد الرزاق وأحمد وأبي داود وغيرهم، وأمَّا الخطب فيبتدأ فيها الحمدلة دون البسملة، قال الحافظ: "فَطَرِيقُ التَّأَسِّي بِهِ الِافْتِتَاحُ بِالْبَسْمَلَةِ وَالِاقْتِصَارُ عَلَيْهَا."

والظاهر أنه إذا ابتدأ الشخص كتبه بالبسملة والحمدلة لا ينكر عليه؛ لأنه عمل أهل العلم منذ زمن قديم ولم ينكر عليهم أحد، وأما الأحاديث التي وردت في فضل البداءة بالبسملة والحمدلة فضعيفة كما بيَّنه العلامة الألباني في الإرواء رقم (١).

وامَّا حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "كلُّ خُطبَةٍ ليس فيها تشهُّدٌ فهي كاليدِ الجَذماء" فقد رواه أبو دواد وغيره بسند صحيح، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رحمه الله.

وأمَّا (باء) البسملة فهي حرف جر، ومعناها الاستعانة عند أهل السنَّة والجماعة وضابط الاستعانة هي الداخلة على المستعان به في إيجاد الفعل، ولا يصلح أن يقال في مثل هذا المقام: هي الدَّاخلة على آلة الفعل، ولفظ (اسم) مشتق من السموّ عند البصريين، أي الاشتقاق الأصغر، أو من (وَسَمَ) عند الكوفيين أي: الاشتقاق الأوسط، وكلاهما صحيح.

والمجرور متعلق بفعل عند الكوفيين أو باسم عند البصريين، والأولى قول الكوفيين لأمور:

أ) لأن الأصل في العمل للأفعال.

ب) لأنه يفيد التجدد الاستمراري.

ت) لكثرة تصريح المتعلق الفعلي، نحو: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق (١)].

ث) لقلة المحذوف.

ويقدَّر فعلا مناسبا للمقام لا عاما لأمور:

أ) لأنه أدل على المراد.

ب) لرعاية حق خصوصية المقام.

ت) لأنه لو قدرناه عاملا عاما كـ(أبتدئ) مثلا في كل موضع لتوهم أنَّ الاستعانة أو التبرك مطلوب في الابتداء فقط، مع أنه مطلوب في الانتهاء والوسط.

=

وبه نستعين (١)

ويقدَّر فعلا مؤخَّرا لا مقدما لأمرين:

أ) لإفادة الحصر، لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

ب) التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.

وأما لفظ الجلالة فهو علم على الذات الإلهية، وهو أعرف المعارف بالإجماع، وهو مشتق من الإله، ومعناه المعبود، والله هو المعبود بحق، وما عداه من الآلهة عبدت بباطل.

و(الرحمن الرَّحيم) اسمان يدلّان على صفة الرَّحمة، والأوَّل من الأسماء المختصة بالله جلَّ وعلا، لا يطلق على غيره، بخلاف الثاني فهو يطلق على الله وعلى غيره.

قال بعض العلماء: "إن البسملة تضمنت الشرع، لأنها تدل على الذات والصفات." قال القرطبي: "وهذا صحيح."

قلت: جمعت فيها أقسام التوحيد الثلاثة، فقوله (بسم الله) معناها أستعين الله، وهذا من توحيد الألوهيَّة، وقوله: (الله) يدل على الألوهيَّة وهي تتضمن الربوبيَّة، وقوله: (الرحمن الرحيم) فيه توحيد الأسماء والصفات، ومثلها قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم (٦٥)].

انظر تفسير القرطبي (١/ ٩١-٩٥) وحاشية ابن حمدون على المكودي (١/ ٧) والفتح للحافظ (١/ ٨) شرح الكشف لابن عثيمين (ص/ ١٣)

(١) كذا في بعض النسخ، أي: إنما نطلب العون من الله وحده، والاستعانة طلب العون، فالسين والتاء للطلب.

قال ابن القيم: "وَالِاسْتِعَانَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: الثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَثِقُ بِالْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ مَعَ ثِقَتِهِ بِهِ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَعَ عَدَمِ ثِقَتِهِ بِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، فَيَحْتَاجُ إِلَى اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاثِقٍ بِهِ."

انظر الكلمات الواضحات للقصير (ص/ ١٩) ومدارج السَّالكين (١/ ٦٩).

اعلم [(١)] -رحمك الله- [(٢)] أن التَّوحِيدَ: [(٣)]

(١) فعل أمر من العلم، وهو حكم الذهن الجزم المطابق للواقع، أي: كن متهيئاً ومتفهماً لما يلقى إليك من المعلوم.

وكلمة (اعلم) يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة الذي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها، وما أقره المصنف هنا من كشف شبهات المشركين حقيق بأن يهتم به غاية الاهتمام، ويعتني به أشد الاعتناء، ويصغى إليه حقيقة الإصغاء.

قال شيخ الإسلام: "وَالْعِلْمُ: هُوَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ وَهُوَ: السُّلْطَانُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ [سورة غافر:٥٦]. فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ كَانَ مُتَكَلِّمًا بِغَيْرِ عِلْمٍ."

وقال أيضا: "وَقَدْ كَتَبْت قَدِيمًا فِي بَعْضِ كُتُبِي لِبَعْضِ الْأَكَابِرِ: إنَّ الْعِلْمَ مَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ وَالنَّافِعُ مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَالشَّأْنُ فِي أَنْ نَقُولَ عِلْمًا وَهُوَ النَّقْلُ الْمُصَدَّقُ وَالْبَحْثُ الْمُحَقَّقُ فَإِنَّ مَا سِوَى ذَلِكَ وَإِنَّ زَخْرَفَ مِثْلَهُ بَعْضُ النَّاسِ خَزَفٌ مُزَوَّقٌ وَإِلَّا فَبَاطِلٌ مُطْلَقٌ".

انظر حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم (ص/ ١٣-١٤) وشرح كشف الشبهات لابن عثيمين (ص/ ١٩) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٣٩) (٦/ ٣٨٨).

(٢) دعاء لك بالرحمة، أي: غفر الله لك ما مضى ووفقك وعصمك فيما يستقبل، وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة فالمغفرة لما مضى، والرحمة: سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل.

ولم يقل المصنف: (غفر الله لك) لأنها خاصة بالماضي، فلا تشمل المستقبل.

وكثيراً ما يجمع رحمه الله -عندما يرشد الطالب بتقرير الأصول المهمة- بينها وبين الدعاء له، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين. حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم (ص/ ١٤). وشرح ابن حميد (ص/ ١١).

(٣) أي: توحيد الألوهية، و(أل عهدية) بدليل أنه فسَّر التَّوحيد بالعبادة.

والتوحيد لغة: من: وحَّد يوَحِّد توحيدا، ووزن (فعَّل) يأتي لمعان منها: نسبة الشيء إلى أصل الفعل، كفسَّقْت زيدًا، أو كفَّرته: نسبته إلى الفسق، أو الكفر.

وهذه الكلمة من هذا الباب، فالتوحيد لغة: نسبة الرَّب إلى الوحدانيَّة، تقول: وحَّدت الله أي: نسبت الوحدانيَّة إليه، ويؤيِّده ما ورد في تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١٩٢): أن الفراء قال: "والله الواحد الأحد ذو الوحدانيَّة والتوحد."

=

وقيل: جعل الشيء واحدا، وانتقده السفاريني وصديق حسن خان وقالا: إن التوحيد تَفْعِيلٌ لِلنِّسْبَةِ كَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، لَا لِلْجَعْلِ فَمَعْنَى وَحَّدْتُ اللَّهَ نَسَبْتُ إِلَيْهِ الْوَحْدَانِيَّةَ، لَا جَعَلْتُهُ وَاحِدًا، فَإِنَّ وَحْدَانِيَّةَ اللَّهِ – تَعَالَى – ذَاتِيَّةٌ لَهُ لَيْسَتْ بِجَعْلِ جَاعِلٍ.

وأجيب بأن المراد بالجعل هنا أي: جعله في اعتقاده.

واصطلاحا: إفراد الله جلَّ وعلا بما يختصُّ به من الربوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصفات.

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣/ ٧٤): "وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ: وَهُوَ أَنْ لَا يَشْرَكُهُ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَكُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا عَلَى وَجْهٍ لَا يُمَاثِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ."

ولمَّا تتبع العلماء أدلة التوحيد من الكتاب والسنَّة اتفقوا على تقسيمه، لأن القرآن ورد فيه تارة إقرار قريش له، وتارة إنكارهم، فدلَّ على أن نوع الذي تنكره قريش غير الذي تقرّه، كما أن منه مفطور على الإنسان لا يحتاج إلى بيان واضح ومنه غير ذلك، والتتبع والاستقراء التام من الأدلة التي تفيد اليقين.

وقد اجتمعت هذه الأقسام في سورة الفاتحة وفي البسملة، وفي قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم (٦٥)]

ووجه تقسيمه أن من التَّوحيد ما يتعلَّق بأفعال الله، ومنه ما يتعلق بأفعال المخلوقين، فتوحيد العبد لخالقه فيما يتعلق بأفعال الله فهو توحيد الربوبية، وتوحيد العبد لربَّه فيما يتعلق بأفعاله التي يتقرَّب بها إلى الله فهو توحيد الألوهيَّة.

فعلى هذا لا تعارض بين قولنا: التوحيد إفراد الله، وبين قولنا: إنه ينقسم إلى ثلاثة، لأن التقسيم محلُّه كيفيَّة توحيد العبد ربّه، وأوجه استحقاق الله له تعالى، إذ لم يقل أحد من المسلمين: إن الآلهة ثلاثة، والشيء الواحد مع كونه واحدا قد ينقسم إلى أكثر من واحد باعتبارات مختلفة، كصلاة الخوف، فهي صلاة واحدة وتنقسم إلى خمسة أقسام باعتبار كيفيَّاتها، وهذا لا ينكره إلا مكابر ومعاند، على أنَّ المنكر لتقسيم التوحيد لو تأمَّل كتب أئمَّته كجوهرة التوحيد للباجوري لوجد تقسيم ذلك.

وللعلماء مسالك في تقسيم التَّوحيد، فمنهم من يقسِّم إلى ثلاثة أقسام:

١) توحيد الربوبيَّة: وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرِّزق والإحياء وغير ذلك.

٢) توحيد الألوهيَّة: وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة، أو بأفعال العباد التي يتقربون بها إلى الله سبحانه.

=

٣) توحيد الأسماء والصِّفات: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمَّى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو ما أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ومنهم من حذف القسم الثالث لدخوله في القسم الأول، كالصنعاني في تطهير الاعتقاد، يقول الشيخ العلامة الفوزان في الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ١٤٢): "وهذا القسم قد جحده الجهمية وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية، لكن لما كثر منكروه وروجوا الشبه حوله؛ أفرد البحث، وجعل قسما مستقلاً."

ومن العلماء من قسَّم إلى قسمين كما في بعض نقولات شيخ الإسلام وابن القيم والحافظ الحكمي إلى قسمين:

١) توحيد المعرفة والإثبات، ويقال: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وهو المتضمن إثبات صفات الكمال لله عزَّ وجلَّ وتنزيهه فيها عن التَّشبيه والتَّمثيل وتنزيهه عن صفات النَّقص، وهو توحيد الربوبيَّة والأسماء والصفات.

٢) توحيد الإرادة والطلب والقصد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وتجريد محبَّته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، وألا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء وهو توحيد الألوهيَّة.

ومنهم قسَّم إلى أربعة، نظرا إلى كلمة التوحيد بدون إضافتها إلى لفظ الجلالة، وزادوا توحيد المتابعة، أي: متابعة النبيّ ﷺ ، وهذا من باب توحيد المرسَل، لا المرسِل. وأشار إلى هذا ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٣٧٨)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية.

قال شيخ الإسلام: " يُحَقِّق قَوْلَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَإِنْ كَانَتْ الْإِلَهِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الرُّبُوبِيَّةَ؛ وَالرُّبُوبِيَّةُ تَسْتَلْزِمُ الْإِلَهِيَّةَ."

وإنما اقتصر المصنِّف على هذا التَّوحيد لأمور:

أ) لأنه في هذا الموضع سيجيب على الشبه الواردة على توحيد الإلهية، فهو لن يتكلم على شبه المبتدعة والضالين في باب الأسماء والصفات.

ب) لأنه أصل التوحيد.

ت) لأنه هو الذي حصل الإخلال به.

ث) لأنه هو الذي لأجله حصل الخصومة بين الرسل وأممهم.

=

= ج) لأنه هو الذي ينكر خصوم الشيخ ويناقشون فيه.

انظر لوامع الأنوار (١/ ٥٦) والدِّين الخالص (١/ ٢٠٣) ومجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٤) ومدارج السالكين (٢/ ٣٧٨) ومجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٧١) ومعارج القبول للحافظ الحكمي (١/ ١٢١) والقول السديد للسعدي (ص/ ١٧) والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ١٤٢) ومذكرة التوحيد للعلامة عبد الرزاق عفيفي (ص/ ٢٧) وشرح كشف الشبهات لخالد المصلح الدرس(١/ ٦). وشرح ابن عثيمين (ص/ ٢١). وشرح البراك (ص/ ١١).

فائدة:

ادَّعى بعض الجهلة أن لفظ التوحيد لم يرد في الشرع، وهو باطل، لأحاديث كثيرة منها:

أ) ما ورد في صحيح مسلم برقم (٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ» وفي رواية: «مَنْ وَحَّدَ اللهَ»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

ب) ما ورد في بعض روايات حديث ابن عباس المتفق عليه ففي رواية البخاري برقم (٧٣٧٢): «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى».

ت) ما ورد في بعض روايات حديث ابن عمر المتفق عليه، ففي بعض ألفاظ مسلم برقم (١٦) «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ»، فَقَالَ رَجُلٌ: الْحَجُّ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ: «لَا، صِيَامُ رَمَضَانَ، وَالْحَجُّ».

ث) ما ورد في صحيح مسلم برقم (١٢١٨) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديث الطويل في الحج وفيه: " فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ «لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»."

انظر شرح الكشف لصالح آل الشيخ (ص/ ٣٩) وتصحيح مفاهيم العبيد (ص/ ٤١).

هو إفراد الله سبحانه بالعبادة. [١]

وهو دين الإسلام، [٢] **وهو** [٣] **أيضا دين الرُّسُل** [٤] **...**

---

(١) أي: تخصيصه بالعبادة، أو صرف العبادة له وحده لا شريك له، والعبادة فِي اللُّغَةِ مِنَ التذلل، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ، وَفِي الشَّرْعِ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

قال ابن القيم: "توحيد القصد والإرادة وهو ألَّا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود". وفي بعض النسخ: (بالتعلق) بدل (العبادة).

انظر شرح كشف الشبهات للبراك (ص/ ١٠) وتفسير ابن كثير (١/ ٤٨) بدائع الفوائد (١/ ٣٨).

(٢) الْمُرَادُ بالدِّين جَمِيعُ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ؛ اعْتِقَادِيَّةً كَانَتْ، أَمْ قَوْلِيَّةً، أَمْ فِعْلِيَّةً.

قال الشيخ سليمان: "وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء، والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب." تيسير العزيز الحميد (ص/ ١٧) وشرح الهراس على الواسطية (ص/ ٥٤).

(٣) الضمير في قوله: (وهو) المراد به توحيد العبادة. يعني أنَّ توحيد الله بإخلاص الدين له هو دين الرّسل من أولهم إلى آخرهم. شرح البراك على الكشف (ص/ ١١).

(٤) أي: إنما يتضمن دينهم إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات. قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٦٥): "فالله تعالى مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئا، وهذا هو أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، قال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ويدخل في ذلك ألا نخاف إلا إياه، ولا نتقي إلا إياه، كما قال تعالى:

...الذي أرسلهم الله به إلى عباده.[(١)] فأَوَّلُهم[(٢)] نوح[(٣)] عَلَيه السَّلام (*).

=

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. فجعل الطاعة لله وللرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده." انظر في مدارج السالكين (٣/ ٣٦٨) ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٤). ومجموع الفتاوى (١٤/ ٣٨٧).

(١) العباد اسم جنس يشمل المؤمن والكافر، والعبوديَّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ) عبودية عامَّة، وهي عبوديَّة الربوبيَّة، التي تشمل الخلائق كلها، والتي لا يستطيع أحد أن يخرج عنها. ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم (٩٣)].

ب) عبوديَّة خاصَّة، وهي عبوديَّة المسلمين والمؤمنين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان (٦٣)].

ت) عبوديَّة خاصَّة الخاصَّة، وهي عبوديَّة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص (٤٥)].

(٢) أي: أول الرسل الذين بعثهم الله لدعاء قومهم إلى توحيد الله ونهيهم عن الإشراك به، وأما أول الأنبياء مطلقا فهو آدم عليه السلام، وهل هو رسول أو لا؟ خلاف بينهم، ويمكن أن يقال: إن آدم رسول، وأولية نوح مقيدة بكونه رسولا إلى أهل الأرض، كما هو ظاهر الحديث، لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل. وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا: إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [سورة النساء:١٦٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وغيره في الحديث الطويل في قصة الشفاعة، وفيه: «فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟».والظاهر أن إدريس هو إلياس، كما روي عن ابن مسعود وهو من أنبياء بني إسرائيل. انظر حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٢٣). ط: دار ابن خزيمة. وشرح ابن عثيمين (ص/ ٢٣) والفتح الباري (٦/ ٣٧٣). الدرر السنية (١/ ٩١).

(٣) هُوَ نُوحُ بْنُ لَامَكَ بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خَنُوخَ، وَهُوَ إِدْرِيسُ بْنُ يَرْدَ بْنِ مَهْلَائِيلَ بْنِ قَيْنَنَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

=

أَرسَلَه الله إِلَى قَومِهِ [(١)] لمَّا غَلَوا [(٢)] فِي الصَّالحِين: [(٣)]

= قال ابن كثير: "وَبِالْجُمْلَةِ فَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا عُبِدَتِ الْأَصْنَامُ وَالطَّوَاغِيتُ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي الضَّلَالَةِ، وَالْكُفْرِ فَبَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، كَمَا يَقُولُ لَهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ قَوْمُهُ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو رَاسِبٍ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ سِنِّهِ يَوْمَ بُعِثَ. فَقِيلَ: كَانَ ابْنَ خَمْسِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: ابْنَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: ابْنَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً حَكَاهَا ابْنُ جَرِيرٍ، وَعَزَا الثَّالِثَ مِنْهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُ وَمَا كَانَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَا أَنْزَلَ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ بِالطُّوفَانِ، وَكَيْفَ أَنْجَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَفِي الْأَعْرَافِ، وَيُونُسَ، وَهُودٍ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُؤْمِنُونَ، وَالشُّعَرَاءِ، وَالْعَنْكَبُوتِ، وَالصَّافَّاتِ، وَاقْتَرَبَتْ. وَأَنْزَلَ فِيهِ سُورَةً كَامِلَةً." انظر البداية والنهاية (١/ ٢٣٧-٢٣٩).

(*)قوله نوح عليه السلام: لم يذكر المصنف الصلاة، وهذه عادة بعض العلماء إذا ذكر غير الرسول ﷺ قال: عليه السلام، وهل يضاف الصلاة أو لا؟ خلاف بينهم. قال ابن القيم: "أما سَائِر الْأَنْبِيَاء وَالْمُرْسلِينَ فَيصَلي عَلَيْهِم وَيسلّم." انظر جلاء الأفهام (ص/ ٤٥٧) والتَّوضِيح والتتمات على كشف الشُّبهات (ص/ ٢٦).

(١) أي: عشيرته وأهله، والقوم يُطْلَقُ تَارَةً عَلَى الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ١١﴾ [سورة الحجرات:١١]. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْجَمِيعِ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥﴾ [سورة هود:٢٥]. وهو مقصود المصنِّف هنا. انظر فتح القدير للشَّوكاني (١/ ١٠١).

(٢) أي: لما وقع فيهم الغلو في الصالحين، والغلوّ في اللغة له أصل واحد يدل على ارتفاع شيء، ومجاوزة حد، وهو التشديد، واصطلاحا: مجاوزة الحد في التعبد أو العمل أو في المدح والذم ونحو ذلك.

والغلو يكون في العقائد والأعمال والأقوال، كما يكون شركا أو بدعة. وقد يؤدي إلى الانقطاع، كقيام الليل كله، وسرد صيام الدهر. انظر شرح ابن عثيمين (ص/ ٢٤) واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٩٣) والمدارج (٢/ ٥١٨). مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٣٧).

(٣) جمع صالح، وَهُوَ كُلُّ مَنْ صَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَعَلَانِيَتُهُ، سواء كان نبيًّا أو غيره.

قال ابن تيمية: "وَكَذَلِكَ لَفْظُ الصَّالِحِ وَالشَّهِيدِ وَالصِّدِّيقِ يُذْكَرُ مُفْرَدًا؛ فَيَتَنَاوَلُ النَّبِيِّينَ، قَدْ يُذْكَرُ الصَّالِحُ مَعَ غَيْرِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾. قَالَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ: الصَّالِحُ: الْقَائِمُ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ." =

ودًّا، [(١)] وسُواعًا، [(٢)] ويغُوثًا، [(٣)]

= والغلو في الصالحين الذي يكون شركا هو: مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء.

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن: "فإذا أنزل المخلوق منْزلة الخالق في شيء من خصائص الإلهية، فقد غلا فيه وأشرك."

وقال العلامة الفوزان: " والغلو في الصَّالحين هو اعتقاد أنهم ينفعون أو يضرون من دون الله."

وقال ابن القيم: "ومن أسباب عبادة الأصنام: الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا التشبيه الواقع في الأمم، الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسله، وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله.".

وقال الإمام المعلمي: "من أوسع أودية الباطل الغلوّ في الأفاضل."

وقال شيخنا يحيى: "ومن أوسع أودية الباطل تحقير الأفاضل."

انظر تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٢١١) ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٧) والقول السديد للسعدي (ص/ ٨٩) والدرر السنية (١١/ ٢١٩) وشرح كشف الشبهات (ص/ ٢١) وآثار المعلمي (٩/ ١١٠) وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٢٢٦).

(١) كذا في نسخة مؤلفات الشيخ (١/ ١٥٥) بالنصب (ودا)... وما بعدها. بتقدير (أعني). والود من المودة، وكانوا نحتوها لِجَلْب الخير بينهم.

انظر فيض الباري على صحيح البخاري للشيخ محمد الكشميري الهندي (٦/ ٤٣٥).

(٢) من الساعة، وهي التي فَوّضوا إليها الموت. فيض الباري على صحيح البخاري للشيخ محمد الكشميري الهندي (٥/ ٤٣٦).

(٣) وهي ما كان تَغِيث الناس في شدائدهم. فيض الباري على صحيح البخاري للشيخ محمد الكشميري الهندي (٥/ ٤٣٦).

ويعوقًا، [(١)] ونسرًا. [(٢)]

(١) وهي ما كانت تمنعُ وتعوقُ عنهم المصائبَ. فيض الباري على صحيح البخاري للشيخ محمد الكشميري الهندي (٥/ ٤٣٦).

(٢) كانت على شَكْل النَّسْر، طَائِر من الْجَوَارِح حاد الْبَصَر قوي من الفصيلة النسرية من رُتْبَة الصقريات وَهُوَ أكبر الْجَوَارِح حجما وَله منقار معقوف مدبب ذُو جَوَانِب مزودة بقواطع حاد وَله قائمتان عاريتان ومخالب قَصِيرَة ضَعِيفَة وجناحان كبيران وَهُوَ سريع الخطى بطيء الطيران يتغذى بالجيف وَلَا يهاجم الْحَيَوَان إِلَّا مُضْطَرًا وَهُوَ يستوطن المناطق الحارة والمعتدلة والنسر شعار لبَعض الدول الْعَرَبيَّة.

انظر: فيض الباري على صحيح البخاري للشيخ محمد الكشميري الهندي (٥/ ٤٣٦) والمعجم الوسيط مادة (نسر).

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ [سورة نوح آية: ٢٣].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٩٢٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ». وهو محمول على الرَّفع لأنه أمر غيبي.

وهذا الأثر رواه البخاري من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قيل: إن هذا الأثر مُنْقَطِعٌ لِأَنَّ عَطَاءً الْمَذْكُورَ هُوَ الخرساني وَلم يلق ابن عَبَّاسٍ، وابن جريج لم يسمع التَّفْسِير من عَطاء الخرساني.

والجواب عنه أن يقال: إن ابن جريج روى هذا الأثر عن عطاء بن أبي رباح، والخراساني، ولا مانع من ذلك، وكون عطاء أتى عند البخاري بلا نسبة لا يعنى أنه عند البخاري عطاء الخراساني، ولا يعترض بأنه جاء عند عبد الرزاق مصرحا، لأننا لا ننفي أنه روى هذا الأثر عن الخراساني، ولكن نقول روى عنه وعن ابن أبي رباح.

ورواية ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح مع قوله: قال عطاء، عن ابن عباس في غاية الصحَّة، ويؤيد ما ذكرنا تخريج البخاري هذا الحديث، وعدم تضعيف أئمة العلل المتقدمين هذا الحديث.

=

قال الحافظ: "وَهَذَا مِمَّا اسْتُعْظِمَ عَلَى الْبُخَارِيِّ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ لَكِنَّ الَّذِي قَوِيَ عِنْدِي أَنَّ هَذَا الحَدِيث بِخُصُوصِهِ عِنْد بن جريج عَن عَطاء الخرساني وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ جَمِيعًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ امْتِنَاعِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ مِنَ التَّحْدِيثِ بِالتَّفْسِيرِ أَنْ لَا يُحَدِّثَ بِهَذَا الحَدِيث فِي بَابٍ آخَرَ مِنَ الْأَبْوَابِ أَوْ فِي الْمُذَاكَرَةِ وَإِلَّا فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى الْبُخَارِيِّ ذَلِكَ مَعَ تَشَدُّدِهِ فِي شَرْطِ الِاتِّصَالِ وَاعْتِمَادِهِ غَالِبًا فِي الْعِلَلِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ شَيْخِهِ وَهُوَ الَّذِي نَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُكْثِرْ مِنْ تَخْرِيجِ هَذِهِ النُّسْخَةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَوْضِعَيْنِ هَذَا وَآخَرَ فِي النِّكَاحِ وَلَوْ كَانَ خَفِيَ عَلَيْهِ لَاسْتَكْثَرَ مِنْ إِخْرَاجِهَا لِأَنَّ ظَاهِرَهَا أَنَّهَا عَلَى شَرْطِهِ."

انظر الفتح للحافظ (٨/ ٦٦٨). شرح الكشف لصالح آل الشيخ (ص/ ٥٠).

مسألة: هل كانت عند قوم نوح هذه الأصنام فقط؟

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٨): "يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِقَوْمِ نُوحٍ أَصْنَامٌ كَثِيرَةٌ جَمَعَهَا قَوْلُ كُبَرَائِهِمْ: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾، ثُمَّ خَصُّوا بِالذِّكْرِ أَعْظَمَهَا وَهِيَ هَذِهِ الْخَمْسَةُ، فَيَكُونُ ذِكْرُهَا مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ﴾ [الْبَقَرَة: ٩٨]. وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ غَيْرُ تِلْكَ الْأَصْنَامِ الْخَمْسَةِ، فَيَكُونُ ذِكْرُهَا مُفَصَّلَةً بَعْدَ الْإِجْمَالِ لِلِاهْتِمَامِ بِهَا وَيَكُونُ الْعَطْفُ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْمُرَادِفِ."

فائدة مهمّة:

ظاهر كلام الشيخ أن الناس كانوا قبل زمن نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام، وكان بينهما عشرة قرون، أو أكثر وبهذا صرح جماعة من العلماء منهم ابن عباس وشيخ الإسلام، وابن القيم وابن كثير والمصنف في بعض رسائله وغيرهم.

قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢٣٧): "كَانَ بَيْنَهُمَا عَشَرَةُ قُرُونٍ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زَنْجَوَيْهِ، حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامٍ، عَنْ أَخِيهِ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ، سَمِعْتُ أَبَا سَلَّامٍ، سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ. مُكَلَّمٌ. قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: عَشَرَةُ قُرُونٍ».

قُلْتُ: وَهَذَا عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ. فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْقَرْنِ مِائَةَ سَنَةٍ، كَمَا هُوَ الْمُتَبَادَرُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَهُمَا أَلْفُ سَنَةٍ لَا مَحَالَةَ، لَكِنْ لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ بِاعْتِبَارِ مَا قَيَّدَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالْإِسْلَامِ، إِذْ قَدْ يَكُونُ بَيْنَهُمَا قُرُونٌ أُخَرُ مُتَأَخِّرَةٌ لَمْ يَكُونُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، لَكِنَّ حَدِيثَ أَبِي أُمَامَةَ يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ

وآخر الرُّسل محمد ﷺ.(١)

=

فِي عَشَرَةِ قُرُونٍ، وَزَادَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَهَذَا يَرُدُّ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ مِنْ أَهْلِ التَّوَارِيخِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَنَّ قَابِيلَ وَبَنِيهِ عَبَدُوا النَّارَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْقَرْنِ الْجِيلَ مِنَ النَّاسِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. وَقَالَ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [مريم: ٧٤]. وَكَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي». الْحَدِيثَ. فَقَدْ كَانَ الْجِيلُ قَبْلَ نُوحٍ يُعَمِّرُونَ الدُّهُورَ الطَّوِيلَةَ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أُلُوفٌ مِنَ السِّنِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

قال المصنف كما في الدرر السنية (٩/ ٣٥٦): "فلما مات آدم، بقيت ذريته من بعده عشرة قرون، على دين أبيهم، دين الإسلام، ثم كفروا بعد ذلك.

وسبب كفرهم هو الغلو في حب الصالحين، كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ [نوح: ٢٣]. وذلك: أن هؤلاء الخمسة، قوم صالحون، يأمرونهم وينهونهم، فماتوا في شهر، فخاف أصحابهم من نقص الدين بعدهم، فصوروا صورهم، فصوروا صورة لكل رجل في مجلسه، لأجل التذكرة بأقوالهم، وأعمالهم إذا رأوا صورهم، ولم يعبدوهم.

ثم حدث قرن آخر، فعظموهم أشد تعظيما من الذين قبلهم ولم يعبدوهم. ثم طال الزمان ومات أهل العلم؛ فلما خلت الأرض من العلماء، ألقى الشيطان في قلوب الجهال: أن أولئك الصالحين ما صوروا صور مشايخهم، إلا ليشفعوا لهم إلى الله عز وجل، فعبدوهم.

فلما فعلوا ذلك؛ أرسل الله إليهم نوحا عليه السلام، ليردهم على دين أبيهم آدم عليه السلام، وذريته الذين مضوا قبل التبديل، فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه." انظر مجموع الفتاوى (١/ ١٧٦) (٢٠/ ١٠٦) وإغاثة اللهفان (١/ ١٨٣).

(١) دليل هذا قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٨١): "فَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَإِذَا كَانَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا رَسُولَ بعده بالطريق الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى، لِأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخَصُّ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ =

وهو الذي [(١)] كسَّر صُوَر هؤلاء الصَّالحِين. [(٢)]

= وَلَا يَنْعَكِسُ، وَبِذَلِكَ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَدِيثِ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم."

واستشكل بعضهم كون نبي الله عيسى ينزل في آخر الزمان، وأجيب بأن المراد أنه لا نبي يكون له شريعة مستقلة يدعو الناس إلى الله، ما كان موجودا في زمن النبي ﷺ، وعيسى عليه الصلاة والسلام إنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ، وقد كان حيا في زمان النبي ﷺ، وقيل: إن عيسى ينزل عبدا متبعا، لا رسولا نبيا، وإن كان نبيا ورسولا في عهده، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

انظر شرح الشيخ ابن عثيمين (ص/ ١٩).

(١) في نسخة مؤلفات الشيخ (١/ ١٥٥) سقط لفظ (الذي).

(٢) أي: صور هؤلاء الخمسة، وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر. وأمثالها مما تعبد من دون الله، وذلك بطريقين:

الأوَّل: طريق معنوي، وذلك بنشر التوحيد، والنهي عن الشرك.

الثَّاني: طريق حسِّي، وذلك بإهانتها وأمره بكسر الأصنام، والأوثان، وإزهاقها من الوجود، وليس أمر خاصا، بل هو أمر عام بكسر الأصنام والأوثان. وذلك يوم الفتح، ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: "﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]."

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ».

انظر: شرح كشف الشبهات لابن حميد (ص/ ١٣). وشرح ابن عثيمين (ص/ ٢٧). وشرح الكشف لصالح آل الشيخ (ص/ ٥٣). =

=

مسألة: هل هذه الأصنام هي نفس الأصنام التي كانت عند العرب؟

ظاهر كلام المصنف أنها نفس الأصنام، ولم تكن حول الكعبة، بل كانت متفرقة في العرب، ولا بُعْد فيه، لأنَّ نوحًا عليه الصلاة والسلام كان في العراقِ، وهي كانت تحت مَمْلكةِ العرب، بل ذكر أهل التاريخ كالكلبي وغيره أن السيل الذي أهلك به قوم نوح ألقى هذه الأصنام في جدة لما أغرق قوم نوح، وقد كَانَ لِعَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ رَئِيٌّ مِنَ الْجِنِّ فَأَتَاهُ فَقَالَ:

أَجِبْ أَبَا ثُمَامَةَ ... وَادْخُلْ بِلَا مَلَامَةَ

ثُمَّ ائْتِ سَيْفَ جُدَّةٍ ... تَجِدْ بِهَا أَصْنَامًا مُعَدَّةً ثُمَّ ادْعُ الْعَرَبَ

ثُمَّ أَوْرِدْهَا تِهَامَةَ وَلَا تَهَبْ ... إِلَى عِبَادَتِهَا تُجَبْ

فَأَتَى عَمْرٌو سَاحِلَ جُدَّةَ فَوَجَدَ بِهَا وَدًّا وَسُوَاعًا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَهِيَ الْأَصْنَامُ الَّتِي عُبِدَتْ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ. ويؤيده ما رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٠٤) عن قتادة بسند صحيح: "كَانَتْ آلِهَةً يَعْبُدُهَا قَوْمُ نُوحٍ، ثُمَّ عَبَدَتْهَا الْعَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ."

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٢٠٨): "فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهدمها وكسرها."

وقيل: بل هي نظائرها، وذلك أنَّ العرب هم الذين كانوا نَحَتُوا هذه الأصنامَ، لا أنها انتقلت من العراق إليهم، غير أنهم نحتوها للمقاصِد التي قصدها قوم نوح، وذلك لأنه وجد في أهل الهند أيضًا أصنام على تلك الأسامي بعينها، والأصنام التي كانت في زمن نوح عليه السلام قَدْ دُثِرَتْ وَغَمَرَهَا الطُّوفَانُ وَأَنَّ أَسْمَاءَهَا بَقِيَتْ مَحْفُوظَةً عِنْدَ الَّذِينَ نَجَوْا مَعَ نُوحٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَانُوا يَذْكُرُونَهَا وَيَعِظُونَ نَاشِئَتَهُمْ بِمَا حَلَّ بِأَسْلَافِهِمْ مِنْ جَرَّاءِ عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ، فَبَقِيَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ يَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ الْأَقْدَمُونَ فِي أَثَارَاتِ عِلْمِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ.

وكلا الأمرين جائز، وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام حيث قال: " وَهَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا فِي قَوْمِ نُوحٍ. فَلَمَّا مَاتُوا جَعَلُوا الْأَصْنَامَ عَلَى صُوَرِهِمْ ثُمَّ ذَهَبَتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ صَارَتْ إلَى الْعَرَبِ. كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. إنْ لَمْ تَكُنْ أَعْيَانُهَا وَإِلَّا فَهِيَ نَظَائِرُهَا."

انظر فيض الباري على صحيح البخاري للشيخ محمد الكشميري الهندي (٥/ ٤٣٥) والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/ ٢٠٣) وشرح الكشف لصالح آل الشيخ (ص/ ٥٣). وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٦٨) ومجموع الفتاوى ابن تيمية (١٤/ ٣٦٣).

=

=

فائدة:

قال العلامة ابن إبراهيم: "فانظر إلى آثار الشرك وعروقه إذا علقت متى تزول وتنمحي؟! فإن هذه الأصنام بقيت من يوم عُبِدت من دون الله حتى بعث محمد ﷺ وكسرها.

فالشرك إذا وقع عظيم رفعه وشديد؛ فإن نوحاً مع كمال بيانه ونصحه ودعوته إياهم ليلاً ونهاراً وجهاراً أخذ ألف سنة إلا خمسين عاماً ما أجابه إلا قليل، ومع ذلك أغرق الله أهل الأرض كلهم من أجله، ومع ذلك تلك الأصنام الخمسة مازالت حتى بُعث محمد ﷺ وكسرها.

فيفيدك عظم الشرك إذا خالط القلوب صعب زواله كيف أن أصناماً عُبِدت على وقت أول الرسل وما كسرها إلا آخرهم!!". شرح ابن إبراهيم على الكشف (ص/ ٢٥).

أَرسَلَه الله [(١)] إِلَى أناسٍ [(٢)] يَتَعبَّدُون [(٣)]

---

(١) أي: النبي ﷺ.

(٢) في نسخة: (إلى قوم) وهم قريش. أي: في أوائل الأمر، ومراتب دعوته ﷺ خمسة، فالْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: النُّبُوَّةُ. والثَّانِيَةُ: إِنْذَارُ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ. والثَّالِثَةُ: إِنْذَارُ قَوْمِهِ. والرَّابِعَةُ: إِنْذَارُ قَوْمٍ مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ وَهُمُ الْعَرَبُ قَاطِبَةً. والْخَامِسَةُ: إِنْذَارُ جَمِيعِ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

والناس الذين أرسل إليهم النبي ﷺ في بدء الأمر كان عندهم شيئان:

الإقرار بالربوبية، وبعض العبادات من فعل الأوامر وترك النواهي.

انظر زاد المعاد لابن القيم (١/ ٨٤). والتوضيح والتتمات لعلي الخضير (ص/ ٢٩).

(٣) أي: يفعلون شيئا من العبادات، يتقربون بها إلى الله، وإن لم تكن مقبولة، ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن حكيم بن حزام أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ هَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ» وَالتَّحَنُّثُ: التَّعَبُّدُ.

ومن العبادات التي كانوا يفعلونها الاعتكاف والنذر، ففي صحيح البخاري برقم (٢٠٤٣) عن ابن عمر: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَذَرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ - قَالَ: أُرَاهُ قَالَ لَيْلَةً:، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ».

ومن ذلك العتاقة وصلة الأرحام لما ورد في صحيح مسلم عن حيم بن حزام أنه قال لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ صَدَقَةٍ، أَوْ عَتَاقَةٍ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَفِيهَا أَجْرٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ».

ومن ذلك الصَّوم ففي صحيح البخاري برقم (٣٨٣١) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيْشٌ، فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لاَ يَصُومُهُ».

ومن ذلك الصلاة وإن لم تكن كهيئتنا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال (٣٥)].

=

ويحجّون [(١)] ويتَصدَّقون [(٢)] ويذكرون الله كثيرا. [(٣)]

= ومن المعلوم بداهة أنَّ كفَّار قريش منهم عباد وزهاد كما أن منهم فسَّاقا وفجارا، والكلام الآن في المتدينين منهم، ولا يعترض علينا إذن ما ذكره خطيب الصحابة أمام النجاشي الصالح، لأنا نقول ذاك في فساقهم، مع أن فيه بعض الأشياء المشتركة كعبادة الأوثان، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(١) وهو لغة: القصد، واصطلاحا: القصد إلى بيت الله الحرام.

ودليل ذلك ما ورد في صحيح مسلم برقم (١١٨٥) عن ابن عباس قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ.

وفي صحيح مسلم برقم (٣٠٢٨) عنه أيضا: قَالَ: "كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ *** فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ
فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ".

(٢) من الصَّدقة، وهو بذل مال للغير بنية التقرب إلى الله تعالى.
ودليل ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: "لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ". وفي حديث حكيم بن حزام الذي تقدم ذكر الصدقة.

(٣) أي: مجموع الكفار كانوا يذكرون الله، بمعنى أنهم كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى، وليس مقصود المصنف أن كلهم كانوا يذكرون الله، فلا تمر لحظة إلا وفيها من يذكر الله منهم، والأدلة وإن دلَّت على أنهم كانوا يذكرون الله خالصا في الشدَّة، لا في الرخاء كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء (٦٧)]، فمن الممكن أنه لا يخلو وقت من الأوقات من حاجة أو شدَّة، تمر بكثير منهم تدفعه هذه الحاجة أو الشدَّة إلى ذكر الله ودعائه.

انظر دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (ص/ ٨٥).

ولكنَّهم [(١)] يجعلون [(٢)] بعضَ المخلوقات [(٣)] وسائط بينهم وبين الله عز وجلَّ. [(٤)]

---

(١) هذا الاستدراك فيه إشارة إلى العلة التي تبطل هذا كله، فما تنفعهم تلك العبادات، لا صلاة ولا صيام ولا حج، لأنهم جعلوا وسائط بينهم وبين الله، ولأنه فقد في تلك العبادات شرط الإخلاص.
قال ابن كثير: "لا يحصل لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا مَنْجَاةٌ لَهُمْ شَيْءٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا فَقَدَتِ الشَّرْطَ الشَّرْعِيَّ إِمَّا الْإِخْلَاصُ فِيهَا وَإِمَّا الْمُتَابَعَةُ لِشَرْعِ اللهِ. فَكُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ خَالِصًا وَعَلَى الشَّرِيعَةِ الْمَرْضِيَّةِ فَهُوَ بَاطِلٌ، فَأَعْمَالُ الْكُفَّارِ لَا تَخْلُو مِنْ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ، وَقَدْ تَجْمَعُهُمَا مَعًا فَتَكُونُ أَبْعَدَ مِنَ الْقَبُولِ حِينَئِذٍ." شرح كشف الشبهات لابن حميد (ص/ ١٤). وتفسير ابن كثير (٦/ ٩٤).

(٢) أي: يتَّخذون ويفعلون لأنفسهم.

(٣) المقربين لله جلَّ وعلا.

(٤) الوسائط جمع وساطة، وهي ما يتوسل به إلى الشيء.

واصطلاحا: إثبات المتوسطين بين الله وبين خلقه، وهي على ثلاثة أقسام:

الأوَّل: وساطة تبليغ الشرع عن الله وبيانه، وهي وساطة الأنبياء والرسل، وهي ثابتة وإنكارها كفر بالإجماع، ودليلها قوله تعالى: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [سورة الأنعام:١٣٠].

الثَّاني: وساطة تبليغ الشرع عن الأنبياء والرسل، وتفهيم دين الله، وهي وساطة العلماء، ودليلها قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [سورة النحل:٤٤]. نصَّ عليها شيخ الإسلام ابن تيمية.

الثَّالث: وساطة تصرف لهم العبادات، يَدْعُوهُمْ الشخص، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْأَلُهُمْ جَلْبَ الْمَنَافِعِ وَدَفْعَ الْمَضَارِّ، مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ غُفْرَانَ الذَّنْبِ، وَهِدَايَةَ الْقُلُوبِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُوبِ، وَسَدَّ الفاقات، وهي كفر بأجماع المسلمين، وهذه هي مقصود المصنِّف.

قال الشنقيطي: " وَاتِّخَاذ الْمَعْبُودَاتِ مَنْ دُونِ اللَّهِ وَسَائِطَ مَنْ أَصُولِ كُفْرِ الْكُفَّارِ."

قال ابن تيمية كما في المجموع (١/ ١٢٤): "وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ وَسَائِطَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ كَالْوَسَائِطِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالرَّعِيَّةِ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ بَلْ هَذَا دِينُ الْمُشْرِكِينَ عُبَّادُ الْأَوْثَانِ

يَقُولُون: [١] نُرِيد مِنهُم التقرّب إلَى الله، [٢]

=

كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّهَا تَمَاثِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَإِنَّهَا وَسَائِلُ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إلَى اللَّهِ؛ وَهُوَ مِنْ الشِّرْكِ الَّذِي أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَى النَّصَارَى."

قال الشيخ سليمان في التيسير (ص/ ٢٢٩): "وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم في حكم المرتد على أن من أشرك بالله فهو كافر، أي عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات."

انظر منهاج السنَّة (١/ ٩٧) ومجموع الفتاوى (١/ ١٢١-١٣٨) والرد على البكري (ص/ ٥٢-٥٣). وحاشية كشف الشبهات للشيخ ابن مانع (ص/ ٣) وأضواء البيان (٦/ ٣٥٣) وتطهير الجنان لابن حجر بن طامي (ص/ ٣٩).

(١) هذا تفسير للوساطة. وعلة هذه الوسائط أنهم يتخذونهم سبيلاً إلى التقرب إلى الله، ويتخذون شفاعتهم سبيلاً إلى تحقيق مطالبهم.

قال ابن كثير: "وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ هي التي اعتمدها المشركون قَدِيم الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ وَجَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بِرَدِّهَا وَالنَّهْيِ عَنْهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ هَذَا شَيْءٌ اخْتَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ فِيهِ وَلَا رَضِيَ بِهِ، بَلْ أَبْغَضَهُ وَنَهَى عَنْهُ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحْلِ: ٣٦] ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٥] وَأَخْبَرَ أن الملائكة التي في السموات من الملائكة الْمُقَرَّبِينَ وَغَيْرِهِمْ كُلَّهُمْ عَبِيدٌ خَاضِعُونَ لِلَّهِ لَا يَشْفَعُونَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنِ ارْتَضَى وَلَيْسُوا عِنْدَهُ كَالْأُمَرَاءِ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ يُشَفَّعُونَ عِنْدَهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فِيمَا أَحَبَّهُ الْمُلُوكُ وَأَبَوْهُ ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ﴾ [النَّحْلِ: ٧٤] تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ علوا كبيرا."

انظر شرح كشف الشبهات للمصلح الدرس(١/ ١٢) وتفسير ابن كثير (٧/ ٧٥).

(٢) لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

ونريد شَفَاعَتَهم عنده، [١] مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناسٍ غيرهم من الصالحين. [٢]

* * *

(١) لقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

والفرق بين قولهم (ليقرّبوننا إلى الله) وبين قولهم: (ليشفعوا لنا) أن الشافع لا يفعل شيئا إلا الشفاعة، بينما الصنف الأول زعموا أنهم يقربونهم إلى الله، والشافع قد يستجاب له وقد لا يستجاب، بخلاف الذي يقرب، فإنه ينتفع به مطلقا حسب زعمهم.

انظر شرح القواعد الأربع للشثري (ص/ ٢٣٨).

(٢) قال شيخ الإسلام: "وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ أَصْلَ الشِّرْكِ فِي الْعَالَم كَانَ مِنْ عِبَادَةِ الْبَشَرِ الصَّالِحِينَ وَعِبَادَةِ تَمَاثِيلِهِمْ وَهُمْ الْمَقْصُودُونَ. وَمِنْ الشِّرْكِ مَا كَانَ أَصْلُهُ عِبَادَةَ الْكَوَاكِبِ إمَّا الشَّمْسُ وَإِمَّا الْقَمَرُ وَإِمَّا غَيْرُهُمَا وَصَوَّرَتْ الْأَصْنَامُ طَلَاسِمَ لِتِلْكَ الْكَوَاكِبِ وَشِرْكُ قَوْمِ إبْرَاهِيمَ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - كَانَ مِنْ هَذَا أَوْ كَانَ بَعْضُهُ مِنْ هَذَا، وَمِنْ الشِّرْكِ مَا كَانَ أَصْلُهُ عِبَادَةَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ الْجِنِّ وُضِعَتْ الْأَصْنَامُ لِأَجْلِهِمْ، وَإِلَّا فَنَفْسُ الْأَصْنَامِ الْجَمَادِيَّةِ لَمْ تُعْبَدْ لِذَاتِهَا بَلْ لِأَسْبَابٍ اقْتَضَتْ ذَلِكَ، وَشِرْكُ الْعَرَبِ كَانَ أَعْظَمُهُ الْأَوَّلَ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ الْجَمِيعِ."

انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦٠-٤٦١).

الحِكمَةُ مِن بَعْثِ النَّبيِّ ﷺ [1]

فَبَعَثَ الله إليهم [2] مُحَمَّدًا ﷺ ليجدِّد لهم دين أبيهم [3] إبراهيم عليه السَّلام [4]

---

(١) قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٦٩): "وقد بعث الله محمدا ﷺ بتحقيق التوحيد وتجريده، ونفي الشرك بكل وجه، حتى في الألفاظ، كقوله ﷺ: «لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء محمد، بل: ما شاء الله ثم شاء محمد» «وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: " أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده»".

(٢) إلى هؤلاء الذين كانوا يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ليجدد لهم دين أبيهم إبراهيم. شرح كشف الشبهات لخالد المصلح الدرس (٢/ ٢).

(٣) أي: الإسلام العام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.
قال المصنف في مختصرة السيرة (ص/ ٧٤): "وكان أهل الجاهلية على ذلك، فيهم بقايا من دين إبراهيم، مثل تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة ومزدلفة، وإهداء البُدْن.
وكانت نزار تقول في إهلالها: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك " فأنزل الله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]".

(٤) دين إبراهيم هو توحيد الله سبحانه، وعبادته وحده، وأوَّل من غيَّر دين إبراهيم هو عمرو بن لحي، ففي صحيح البخاري برقم (٤٦٢٣) ومسلم برقم (٢٨٥٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السُّيُوبَ».
وأخرج الطبراني في الكبير (١٠٨٠٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «أول من غيَّر دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٨٠) انظر الصحيحة برقم (١٦٧٧).

ويخبرهم أن هذا التقرّب [(١)] والاعتقاد[(٢)] محض [(٣)] حق لله [(٤)]

---

(١) أي: عبادة أرواح الصالحين والأنبياء والملائكة لأجل التقرب إلى الله، وسؤال الشفاعة.
قال الرازي في تفسيره (١٤/ ٣٥٠): "أَجْمَعَ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أَنَّ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى كُفْرٌ سَوَاءٌ اعْتَقَدَ فِي ذَلِكَ الْغَيْرِ كَوْنَهُ إِلَهًا لِلْعَالَمِ، أَوِ اعْتَقَدُوا فِيهِ أَنَّ عِبَادَتَهُ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَنِهَايَةُ التَّعْظِيمِ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِمَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ نِهَايَةُ الْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ."

(٢) أي: الاعتقاد في تلك الأرواح أنها تنفع أو تضر، أو أنها تملك شيئا من الأمر.

والفرق بينهما أن الاعتقاد يكون في القلب، والتقرب يكون في العمل، وكلاهما كفر مستقل عن الآخر.

انظر شرح الكشف لصالح آل الشيخ (ص/ ٧٣).

(٣) قال ابن فارس: "الْمِيمُ وَالْحَاءُ وَالضَّادُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خُلُوصِ الشَّيْءِ. مِنْهُ اللَّبَنُ الْمَحْضُ: الْخَالِصُ". انظر مقاييس اللغة (٥/ ٣٠٠).

(٤) أي: حق خالص لله، بل هو أعظم حقوقه، وحقه الخاص أمران: التفرد بالكمال كله من جميع الوجوه، وأفعاله الربوبيّة، والعبودية الخالصة من جميع الخلق. كذا قاله العلامة السعدي.

وفي الصحيحين عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولُ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»

قال السعدي: "واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك، وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبا وخوفا ورجاء.

وحق خاص للرسل، وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعا لحق الله.

=

لا يصلحُ منه شيء لغير الله، [(١)] لا لملك مقرَّب [(٢)] ولا لنبيٍّ مرسَل [(٣)] فضلا عن غيرهما. [(٤)]

= فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم. والله أعلم."

انظر بهجة قلوب الأبرار للسعدي (ص/ ٤٩) والقول السّديد (ص/ ٧٨).

(١) أي: فلا يصرف شيء من ذلك لغير الله سبحانه وتعالى لأنها من خصائصه، وهي لا تصلح لغيره.

وقال المصنف: "وأنه عز وجل نزه نفسه عن أن يتخذ من دونه ولي أو شفيع؛ بل أمرنا بالإخلاص، وهو: ألا يجعل له واسطة: فلا نستغيث، ولا نستعين إلا به".

انظر الدرر السنية (٢/ ٣٤).

(٢) إنما قيَّد الملك بالمقرب لأنه يوجب مزيد نعت وخصوصية، إذ الملائكة نوعان من حيث القرب والبعد، فمنهم مقربون لله كجبريل عليه السلام، ومنهم غير مقربين كهاروت وماروت على ما قيل، واللذان يكتبان صحائف الأعمال، فهم ليسوا على درجة واحدة. كذا قاله بعضهم، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٣) إنما قيَّد النبي بالمرسل لأن الرسل أفضل من الأنبياء، على التفريق بينهما، فإذا نفيت عنه استحقاق العبادة، فغيره من مطلق الأنبياء أولى.

قال شيخ الإسلام: "وَالْغُلُوُّ فِي الْأُمَّةِ وَقَعَ فِي طَائِفَتَيْنِ: طَائِفَةٍ مِنْ ضُلَّالِ الشِّيعَةِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأُلُوهِيَّةَ وَطَائِفَةٍ مِنْ جُهَّالِ الْمُتَصَوِّفَةِ يَعْتَقِدُونَ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَمَنْ تَوَهَّمَ فِي نَبِيِّنَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ شَيْئًا مِنْ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ النَّصَارَى وَإِنَّمَا حُقُوقُ الْأَنْبِيَاءِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَنْهُمْ."

مجموع الفتاوى (١/ ٦٦) (١١/ ٤٩٩).

(٤) يشير بهذا إلى الصالحين غيرهم والأحجار والأصنام والأشجار وغيرها مما عبده المشركون.

قال العلامة ابن إبراهيم: "وإذا كان لا يصلح لأهل الدين والفضل فمَن دونهم بطريق أولى، فلا يُعتقد ولا يُطلب ولا يُقصَد إلا الله تعالى، ولا يوسَّط من الخلق أحدٌ بينه وبينهم ولا يُتقرَّب به، ولا =

إِقْرَارُكفَّارِقُرَيش بِتَوحِيد الربوبيَّة[١]

= يصلُح ولا يدنو من أن يصلح لبشر من حق رب العالمين شيء. وبهذا تعرف دين قريش ودين محمد ﷺ."

انظر شرح الكشف (ص/ ٢٨).

(١) ذكر كثير من علماء الاعتقاد أن كفار قريش وغيرهم ممن كانوا في زمن النبي ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وهذا والله أعلم يحمل على أصله، أو على أكثر أفراده، وإلا فهم كانوا يشركون في بعض أفراد الربوبيَّة، إذ أنَّ من أقرَّ جميع أفراد الربوبيَّة فلا بدَّ أن يوحد الله في ألوهيته، ومن أشرك في الألوهية فقد أشرك في بعض أفراد الربوبيَّة، ولا محالة.

ومن شركهم في الربوبيَّة أنهم كانوا يرجون جلب المنفعة ودفع المضرة من آلهتهم، ويسندون المطر إلى الكواكب، على أنها فاعلة مدبرة، وهذه عقيدة الجاهلية كما ذكره النووي، ففي الصحيحين عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ.»

قال شيخ الإسلام: "فَالْكُفَّارُ الْمُشْرِكُونَ مُقِرُّونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا مُسَاوِيًا لَهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، هَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ قَطُّ، لَا مِنْ الْمَجُوسِ الثنوية، وَلَا مِنْ أَهْلِ التَّثْلِيثِ، وَلَا مِنْ الصَّابِئَةِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْمَلَائِكَةَ، وَلَا مِنْ عُبَّادِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَا مِنْ عُبَّادِ التَّمَاثِيلِ وَالْقُبُورِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ – وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ مُتَنَوِّعِينَ فِي الشِّرْكِ – فَهُمْ مُقِرُّونَ بِالرَّبِّ الْحَقِّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَمِيعِ أَفْعَالِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ مَعَ هَذَا مُشْرِكُونَ بِهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ بِأَنْ يَعْبُدُوا مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى يَتَّخِذُونَهَا شُفَعَاءَ أَوْ شُرَكَاءَ؛ أَوْ فِي رُبُوبِيَّتِهِ بِأَنْ يَجْعَلُوا غَيْرَهُ رَبَّ بَعْضِ الْكَائِنَاتِ دُونَهُ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ رَبُّ ذَلِكَ الرَّبِّ وَخَالِقُ ذَلِكَ الْخَلْقِ."

وقال أيضا: "لَكِنْ الْمُتَكَلِّمُونَ إنَّمَا انْتَصَبُوا لِإِقَامَةِ الْمَقَايِيسِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهَذَا مِمَّا لَمْ يُنَازِعْ فِي أَصْلِهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ وَإِنَّمَا نَازَعُوا فِي بَعْضِ تَفَاصِيلِهِ كَنِزَاعِ الْمَجُوسِ والثنوية وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ ضُلَّالِ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ يَدْخُلُ فِيهِمْ". =

وإلَّا[(١)] فهؤلاء المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون[(٢)] أن الله هو الخالق[(٣)]..

= انظر مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧-٣٨) (١١/ ٥١) ودرء التعارض (٩/ ٣٤٥) والفتاوى الكبرى (٦/ ٥٦٦) وشرح مسلم للنووي (٢/ ٦٠) وعدة الصابرين (ص/ ٤٦) والمدارج (١/ ٣٤٣) وطريق الهجرتين (ص/ ٩٨) والدرر السنية (١/ ١٢٥) وتيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٦) ومجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ١٨٦).

(١) استعمال (إلَّا) المركَّبة من (إن، ولا) هنا مشكل، وكأنَّه أراد الإثبات، فتكون (لا) زائدة، أي: وإن ثبت ذلك لأمر فكانوا يشركون في الألوهية، ويحتمل أن يكون مراده: وإن لم يكن الأمر أنَّ النبي ﷺ أرسل لأجل ذلك، فلماذا أرسل؟، لأن كفار قريش كانوا مقرين بأصل الربوبيَّة.

(٢) أي: يقرون ويعترفون، وذلك لأن ربوبيته ظاهرة، لا يدعها جاحد، ولا يقدر أن ينكرها معاند، إذ هو أجل أن يخفى، وأعز أن يقاس، وأعظم أن تشرف عليه العقول، أو يتناوله معقول، ليس في حيز المجهولات فيستدل عليه.

قال بعضهم: وأشعارهم مليئة بالإقرار بهذا الأمر، أعني توحيد الربوبية، ومن ذلك قول زهير ابن أبي سلمى:

فلا تكتُمُن الله ما في نفوسكم ... ليخفي ومهما يكتم الله يعلم

يُؤخر فيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخَر ... ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

ومنه قول حاتم الطائي:

أما والذي لا يعلم السر غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم

انظر معنى لا إله إلا الله للحمد (ص/ ٢) ودرء التَّعارض (٨/ ٥٢٢).

(٣) في نسخة الجامع الفريد: (الرَّازق)، الخالق اسم من أسماء الله جلَّ وعلا، ومعناه الموجد للمخلوقات من عدم.

... وحده لا شريك له، (١) وأنه لا يرزق إلا هو، (٢) ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، (٣) وأن جميع السماوات السَّبع ومن فيهن، (٤) والأرضين السبع ومن فيها (٥) ..

(١) قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص/ ٢٠٠): "فَلَسْتُ وَاجِدًا أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ مُقِرٌّ بِأَنَّ لَهُ صَانِعًا وَمُدَبِّرًا، وَإِنْ سَمَّاهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ، أَوْ عَبَدَ شَيْئًا دُونَهُ، لِيُقَرِّبَهُ مِنْهُ عِنْدَ نَفْسِهِ، أَوْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، أَوْ أَضَافَ إِلَيْهِ مَا تَعَالَى عَنْهُ عُلُوًّا كَبِيرًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾."

(٢) في لسان العرب لابن منظور (١٠/ ١١٥): " الرازقُ والرَّزَّاقُ: فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى لأَنه يَرزُق الْخَلْقَ أَجمعين، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الأَرْزاق وأَعطى الْخَلَائِقَ أَرزاقها وأَوصَلها إِلَيْهِمْ، وفَعّال مِنْ أَبنية المُبالغة. والرِّزْقُ: مَعْرُوفٌ. والأَرزاقُ نوعانِ: ظَاهِرَةٌ للأَبدان كالأَقْوات، وَبَاطِنَةٌ لِلْقُلُوبِ والنُّفوس كالمَعارِف وَالْعُلُوم."

(٣) قال الإمام البيهقي: "هُوَ الْعَالِمُ بِأَدْبَارِ الْأُمُورِ وَعواقِبِهَا، وَمُقَدِّرُ الْمَقَادِيرِ وَمُجْرِيهَا إِلَى غَايَاتِهَا، يُدَبِّرُ الْأُمُورَ بِحِكْمَتِهِ، وَيُصَرِّفُهَا عَلَى مَشِيئَتِهِ.". انظر الاعتقاد للبيهقي (ص/ ٥٩).

(٤) من المخلوقات كالملائكة، والأنبياء.

(٥) ظاهره أنَّ المصنِّف يرى أنَّ هناك أقواما في الأرضين، وكأنه اعتمد على هذا ما روى الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٥) برقم (٣٨٢٢) وغيره عن ابن عباس عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] قَالَ: سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ وَآدَمُ كَآدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

وهذا الأثر من طريق شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس، وظاهره الضعف، لكن قال الذَّهبي: "شَرِيكٌ وَعَطَاءٌ فِيهِمَا لِينٌ لَا يَبْلُغُ بِهِمَا رَدَّ حَدِيثِهِمَا، وَهَذِهِ بَلِيَّةٌ تُحَيِّرُ السَّامِعَ، كَتَبْتُهَا اسْتِطْرَادًا لِلتَّعَجُّبِ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ اسْمَعْ وَاسْكُتْ."

قال المعلمي في الأنوار الكاشفة "وعلى هذا فالمعنى والله أعلم أن في كل أرض خلقاً كنحو بني آدم، وفيهم من يعرف الله تعالى بالنظر في آياته كما عرف إبراهيم عليه السلام، وهذا القول قد يتوصل إليه بالنظر في الآية المذكورة وسياقها وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة الحجر:٨٥]. وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦].

...كلهم عبيده[١] وتحت تصرفه وقهره.[٢]

❊ ❊ ❊

= وغيرها على أن بعضهم قد فسر ما جاء في الرواية الأخرى التي تقدمت أنها لا تصح، ففي روح المعاني «لامانع عقلاً ولا شرعاً من صحته، والمراد أن في كل أرض خلقاً يرجعون إلى أصل واحد رجوع بني آدم في أرضنا إلى آدم عليه السلام، وفيهم أفراد ممتازون على سائرهم كنوح وإبراهيم فينا» أما ما في البداية «محمول إن صح نقله عنه على أنه أخذه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الاسرائيليات» فغير مرضي، فابن عباس كان ينهى عن سؤال أهل الكتاب، فإن كان مع ذلك قد يسمع من بعض من أسلم منهم أو يسأله فإنما ذلك شأن العالم يسمع ما ليس بحجة لعله يجد فيه ما ينبهه ويلفت نظره إلى حجة."

انظر العلو للذهبي (ص/ ٥٧) والأنوار الكاشفة للمعلمي (ص/ ١١٨) والفتح للحافظ ابن حجر (٦/ ٣٣٨).

(١) يعني أنهم معبَّدون لله سبحانه، إذ أن كلمة العبد تارة يعنى به المعبَّد فيعم الخلق، كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، وتارة يعنى به العابد فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علماً وحالاً، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع. قاله شيخ الإسلام في الفتوى الحموية (ص/ ٥٢٤).

(٢) معنى تصرفه تدبيره سبحانه وتعالى.

قال الإمام المعلمي في العبادة: "ومن العجائب أنك تجد في هذا العصر كثيرًا من طلبة العلم - إن لم أقل من العلماء - يتوهَّمون أن المشركين يعتقدون في الأصنام وغيرها أنها واجبة الوجود قادرة على كلّ شيء، خالقة، رازقة، مدبِّرة للعالَم."

قال شيخ الإسلام: "فَهَذَا مَوْضِعٌ عَظِيمٌ جِدًّا يَنْبَغِي مَعْرِفَتُهُ لِمَا قَدْ لُبِّسَ عَلَى طَوَائِفَ مِنْ النَّاسِ أَصْلُ الْإِسْلَامِ حَتَّى صَارُوا يَدْخُلُونَ فِي أُمُورٍ عَظِيمَةٍ هِيَ شِرْكٌ يُنَافِي الْإِسْلَامَ لَا يَحْسِبُونَهَا شِرْكًا وَأَدْخَلُوا فِي التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ أُمُورًا بَاطِلَةً ظَنُّوهَا مِنْ التَّوْحِيدِ وَهِيَ تُنَافِيهِ وَأَخْرَجُوا مِنْ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ أُمُورًا عَظِيمَةً لَمْ يَظُنُّوهَا مِنْ التَّوْحِيدِ وَهِيَ أَصْلُهُ." انظر آثار المعلمي (٢/ ٣٤٢) والفتاوى الكبرى (٦/ ٥٦٦).

الأَدَلَّةُ عَلَى إِقْرارِ الكُفَّارِ بالرُّبُوبِيَّةِ [1]

فإذا أردت الدَّليل [2] على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ [3] يشهدون لله هذه الشهادة، [4] فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة يونس: ٣١]. [5]

---

(١) قال الشنقيطي في أضواء البيان (٣/ ١٩): "وَيَكْثُرُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى الْكُفَّارِ بِاعْتِرَافِهِمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى وُجُوبِ تَوْحِيدِهِ فِي عِبَادَتِهِ، وَلِذَلِكَ يُخَاطِبُهُمْ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِرُبُوبِيَّتِهِ احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَوَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ شِرْكَهُمْ بِهِ غَيْرَهُ، مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَهُ ؛ لِأَنَّ مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَهُ لَزِمَهُ الِاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ."

(٢) أي: الشيء الذي يدل على ذلك، ويرشد إلى المطلوب.

(٣) بأمر من الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الأنفال:٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:٣٦].

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما وغيره قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».

(٤) أي: توحيد الربوبيَّة.

قال السعدي في تفسيره (ص/ ٧٧٠): " فإقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك."

(٥) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٢): " يَحْتَجُّ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِاعْتِرَافِهِمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ عَلَى وحدانية الآلهة فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيْ: مَنْ ذَا الَّذِي يُنْزِلُ مِنَ

وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤-٨٩]. (١)

= السَّماءِ مَاءَ الْمَطرِ فَيَشُقُّ الْأَرْضَ شَقًا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا حَبًّا وَعِنَباً وَقَضْباً، وَزَيْتُوناً وَنَخْلًا، وَحَدائِقَ غُلْباً، وَفاكِهَةً وَأَبًّا، أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ، ﴿أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١] وقوله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ﴾ [يونس: ٣١] أَيْ: الَّذِي وَهَبَكُمْ هَذِهِ الْقُوَّةَ السَّامِعَةَ، وَالْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ، وَلَوْ شاء لذهب بها ولسلبكم إياها كقوله تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ﴾ [الملك: ٢٣] الآية. وَقَالَ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصارَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦] الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أَيْ: بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَمِنَّتِهِ الْعَمِيمَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْخِلَافِ فِي ذَلِكَ، وأن الآية عامة لذلك كُلِّهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} أَيْ: مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجارُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يسألون ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فَالْمُلْكُ كُلُّهُ الْعُلْوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ وَمَا فِيهِمَا مِنْ مَلَائِكَةٍ وَإِنْسٍ وَجَانٍّ فَقِيرُونَ إِلَيْهِ عَبِيدٌ لَهُ خاضعون لديه.

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي: وهم يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَعْتَرِفُونَ بِهِ.

{فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ أَيْ: أَفَلَا تَخَافُونَ مِنْهُ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ بِآرَائِكُمْ وَجَهْلِكُمْ".

(١) قال السِّعدي في تفسيره (ص/ ٥٥٧): " أي: ﴿قل﴾ لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه، وأقروا به، من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة، على ما أنكروه من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك. =

وَغَير ذَلك مِن الآياتِ.[١]

=

﴿لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات وجماد وبحار وأنهار وجبال، المالك لذلك، المدبر له؟ فإنك إذا سألتهم عن ذلك، لا بد أن يقولوا: الله وحده. فقل لهم إذا أقروا بذلك: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عندكم، مستقر في فطركم، قد يغيبه الإعراض في بعض الأوقات. والحقيقة أنكم إن رجعتم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو مملوك أبطل الباطل ثم انتقل إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ وما فيها من النيرات، والكواكب السيارات، والثوابت ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعلى المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فمن الذي خلق ذلك ودبره، وصرفه بأنواع التدبير؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سيقرون بأن الله رب ذلك كله. قل لهم حين يقرون بذلك: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عبادة المخلوقات العاجزة، [ص:٥٥٨] وتتقون الرب العظيم، كامل القدرة، عظيم السلطان؟ وفي هذا من لطف الخطاب، من قوله: ﴿أَفَلَا تذكرون﴾ ﴿أفلا تَتَّقُونَ﴾ والوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب، ما لا يخفى ثم انتقل إلى إقرارهم بما هو أعم من ذلك كله فقال: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: ملك كل شيء، من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نبصره، وما لا نبصره؟. و " الملكوت "ب صيغة مبالغة بمعنى الملك. ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ عباده من الشر، ويدفع عنهم المكاره، ويحفظهم مما يضرهم، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يجير على الله. ولا يدفع الشر الذي قدره الله. بل ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سيقرون أن الله المالك لكل شيء، المجير، الذي لا يجار عليه.
﴿قُلْ﴾ لهم حين يقرون بذلك، ملزما لهم، ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ أي: فأين تذهب عقولكم، حيث عبدتم من علمتم أنهم لا ملك لهم، ولا قسط من الملك، وأنهم عاجزون من جميع الوجوه، وتركتم الإخلاص للمالك العظيم القادر المدبر لجميع الأمور، فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون إلا مسحورة، وهي - بلا شك- قد سحرها الشيطان، بما زين لهم، وحسن لهم، وقلب الحقائق لهم، فسحر عقولهم، كما سحرت السحرة أعين الناس."

(١) أي: الآيات الدالة على ربوبية الله سبحانه وتعالى، والدالة على أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية.

=

* * *

= قال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في أضواء البيان (٢/ ٢١٨): "وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ جِدًّا، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُمْ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ لَا يُنْقِذُ مِنَ الْكُفْرِ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَهُ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، أَيْ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾."

بَيَانُ سَبب كُفرِ الكفَّار[١]

فإذا تحقَّقت [٢] أنَّهم [٣] مقرون بهذا [٤] ولم يدخلهم [٥] في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ. [٦]

---

(١) ذكر المصنف في هذه الفقرة سبع مقدِّمات، رتَّب عليها نتيجة جليلة، وهي:

أ) تحققك أنهم مقرون بتوحيد الربوبيَّة.

ب) عدم دخولهم في الإسلام.

ت) معرفتك بأنهم أنكروا توحيد الألوهيَّة.

ث) معرفتك بأن الرسول ﷺ قاتلهم لأجل هذا.

ج) وأن قتاله كان لأجل أن يكون الدين كله لله.

ح) معرفتك بأن إقرارهم بتوحيد الربوبيَّة لم يدخلهم في الإسلام.

خ) أنهم لا يريدون من آلهتهم إلا الشفاعة والتقرب إلى الله.

والنتيجة: عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون.
انظر شرح الشيخ صالح العصيمي على الكشف (ص/ ١٤).

(٢) من قولهم: حقَّق الشيء وتحقق منه، إذا صحَّ عنده، وأصبح على يقين عنده، وهذا التحقق إنما جاء لأجل الأدلة التي ذكرها المصنف قبل. فهي توجب التحقق. التوضيح والتتمات لعلي الخضير (ص/ ٣٣).

(٣) أي: الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ من المشركين. شرح الكشف لابن عثيمين (ص/ ٣٣).

(٤) أي: توحيد الربوبيَّة، والإقرار هو الاعتراف مع الإذعان له، حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٥).

(٥) لم يدخل توحيد الربوبيَّة كفار قريش فيما أراده النبي ﷺ منهم.

(٦) وهو توحيد الألوهية.

=

وعرفت أن التوحيد الذي جحدوا هو توحيد العبادة [١] الذي يسمِّيه المشركون في زماننا (الاعتقاد). [٢]

= وفي مسند الإمام أحمد وذكره الوادعي في الصحيح المسند برقم (١٦١٥) عن أم سلمة في قصة الهجرة أن جعفر بن أبي طالب قال للنجاشي: "أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ."

(١) وهو توحيد الطلب والقصد. قاله عبد الرحمن بن حسن في قرة عيون الموحدين (ص/ ١٩٣).

(٢) أي: أن المشركين في زمنه رحمه الله يسمون توحيد الألوهيَّة الاعتقاد، فيذكرون أن فلانا معتقد فيه، أو أن للناس فيه اعتقادا حسنا، ومرادهم تعلق قلوبهم بمن يتوقع فيه النفع أو الضر، فإذا ادَّعوا في شخص الاعتقاد فيعنون الادعاء فيه الألوهيَّة.

قال صالح آل الشيخ: "والاعتقاد هو تعلّق القلب بمن تقرب إليه ذلك المتقرب، فإذا تعلق قلب المسلم بالميت -تعلق به من جهة كشف ضرٍّ أو من جهة جلب نفع أو بالتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة- صار ذلك شركا منه مخرجا له من الملة ولو كان مصليا صائما."

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: "ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والإله، ليس فيه زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد، كما يفعله كثير من المسلمين، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن؛ إذ ليس الشرك هو بمجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات، بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به -سبحانه [وتعالى]،- سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم قط. ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بها يخاطب به أهل العلم." =

كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا.[١]

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم[٢] وقربهم من الله[٣] ليشفعوا له[٤] أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات،[٥] ...

= انظر شرح الشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ٣٨) والكلمات الواضحات (ص/ ٤٨) وشرح العصيمي (ص/ ١٥) وشرح صالح آل الشيخ (ص/ ٨٤) والضياء الشارق للشيخ سليمان بن سحمان (ص/ ٥٤) وتطهير الاعتقاد (ص/ ٦٧) وإعلام الموقعين (١/ ١٧٩) وإغاثة اللهفان (١/ ١٨٠) وفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ٣٣٩).

(١) أي: مجموع الكفار كانوا يدعون الله، وليس مقصود المصنف أن كلهم كانوا يدعون الله، فلا تمر لحظة إلا وفيها من يدعو الله منهم، والأدلة وإن دلَّت على أنهم كانوا يدعون الله خالصا في الشدَّة، لا في الرخاء كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء (٦٧)]، فمن الممكن أنه لا يخلو وقت من الأوقات من حاجة أو شدَّة، تمر بكثير منهم تدفعه هذه الحاجة أو الشدَّة إلى ذكر الله ودعائه.

قال شيخ الإسلام: "وَالنَّصَارَى مَعَ شِرْكِهِمْ لَهُمْ عِبَادَاتٌ كَثِيرَةٌ وَالْيَهُودُ مِنْ أَقَلِّ الْأُمَمِ عِبَادَةً وَأَبْعَدِهِمْ عَنْ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ."

قال المصنف: "وعرفت أن الكفار، خصوصا النصارى منهم من يتعبد الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلا في صومعة عن الناس، ومع هذا كافر، عدو لله، مخلد في النار، بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه، ويذبح له، وينذر له."

انظر دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (ص/ ٨٥). ومجموع الفتاوى (١٦/ ٥٦٧) والدرر السنية (٢/ ١١٩).

(٢) وهذه العلة أفسدت كثيرا من الناس، وما هو التلازم بين دعائهم وصلاحهم؟

(٣) ويزعمون أن من قرب من الله سبحانه وتعالى فهو مستحق للعبادة وهذا من جهلهم فإن العبادة حق الله وحده لا يشركه فيها أحد. شرح الكشف لابن عثيمين (ص/ ٢٥).

(٤) وخفي عليهم أن الشفاعة لا تكون لمشرك كما سيأتي.

(٥) أي: على قول، وإلا ففيه قولان ذكرهما ابن كثير وغيره.

=

...أو نبيًّا مثل عيسى. [١]

وعرفت [٢] **أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك** [٣]

= قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٢٢): " وَكَانَتِ اللَّاتُ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَنْقُوشَةً وَعَلَيْهَا بَيْتٌ بِالطَّائِفِ، لَهُ أَسْتَارٌ وَسَدَنَةٌ وَحَوْلَهُ فِنَاءٌ مُعَظَّمٌ عِنْدَ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَهُمْ ثَقِيفٌ وَمَنْ تَابَعَهَا، يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بَعْدَ قُرَيْشٍ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَانُوا قَدِ اشْتَقُّوا اسْمَهَا مِنَ اسم الله فَقَالُوا اللَّاتُ، يَعْنُونَ مُؤَنَّثَةً مِنْهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَحُكِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُمْ قَرَءُوا اللَّاتَّ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ وَفَسَّرُوهُ بِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا يَلُتُّ لِلْحَجِيجِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ السَّوِيقَ، فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ فَعَبَدُوهُ."

أثر ابن عباس في صحيح البخاري برقم (٤٨٥٩).

(١) وستأتي أدلَّة ذلك في الشبهة الثانية.

(٢) هذه معطوفة على قوله "فإذا تحققت". شرح الكشف لابن عثيمين (ص/ ٣٥).

(٣) الذي هو دعوة غير الله مع الله. وليس المراد بالشِّرك الشرك في الربوبية؛ لأن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يؤمنون بان الله وحده هو الرب وأنه مجيب دعوة المضطرين وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله – عز وجل – وحده.

قال المصنف كما في الدرر السنية (٢/ ٧٦): "واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام، والصالحين، مثل عيسى، وأمه، والملائكة، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم يقرون أن الله سبحانه، هو النافع، الضار، المدبر؛ كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الآية [سورة يونس آية: ٣١]."

انظر حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٦). وشرح ابن عثيمين (ص/ ٣٥).

ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، [(١)] كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [سورة الجن:١٨]. [(٢)]

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾ [سورة الرعد:١٤]. [(٣)] وتحقَّقت [(٤)] أن رسول الله ﷺ إنَّما قاتلهم...

(١) قال ابن عبد الهادي في الصَّارم المنكي (ص/ ٣٦): "وأصل دين الإسلام أن نعبد الله وحده ولا نجعل له من خلقه نداً ولا كفواً ولا سمياً قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم ٦٥) وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد﴾ (الإخلاص ٤) وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى ١١) وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ (البقرة ٢٢)."

(٢) يعني: لَا تُشْرِكُوا بِهِ فِيهَا شَيْئًا، وَلَكِنْ أَفْرِدُوا لَهُ التَّوْحِيدَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.
قال العلامة ابن مانع: "فدلت الآية الكريمة على أن دعاء الأموات ونداؤهم والاستغاثة بهم من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه." انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤٠) وحاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٦).

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٨٣): "قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ قَالَ: التَّوْحِيدُ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَمَالِكٌ عَنْ محمد بن المنكدر لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} الآية، أَيْ وَمَثَلُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً غَيْرَ اللَّهِ كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فاهُ.
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: كَمَثَلِ الَّذِي يَتَنَاوَلُ الْمَاءَ مِنْ طَرَفِ الْبِئْرِ بِيَدِهِ وَهُوَ لَا يَنَالُهُ أَبَدًا بِيَدِهِ، فَكَيْفَ يَبْلُغُ فَاهُ؟ وَقَالَ مُجَاهِدٌ كَباسِطِ كَفَّيْهِ يَدْعُو الْمَاءَ بِلِسَانِهِ وَيُشِيرُ إليه فَلَا يَأْتِيهِ أَبَدًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ كَقَابِضٍ يَدَهُ عَلَى الْمَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يُحْكِمُ مِنْهُ عَلَى شيء."

(٤) معطوف على قوله فإذا تحققت. شرح ابن عثيمين (ص/ ٣٦).

... ليكون الدَّعاء كله لله، (١) والنذر كلّه لله، (٢)

(١) الدّعاء لغة: هو النداء، يقال: (دعوت فلانا) إذا ناديته، واستدعيته، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ﴾ [سورة آل عمران:٣٨]. مع قوله: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾ [سورة مريم:٣].

واصطلاحا: الدعاء المراد به هنا نداء أحد لجلب المنفعة أو دفع المضرة.

قال شيخ الإسلام: "فَإِنَّ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ هُوَ طَلَبُ مَا يَنْفَعُ الدَّاعِيَ وَطَلَبُ كَشْفِ مَا يَضُرُّهُ وَدَفْعِهِ."

وهي على قسمين:

أ) دعاء العبادة وهو الطلب بلسان الحال. أي: أن تعمل عملا لله ترجو ثوابه، وتخاف عقابه.

ب) دعاء المسألة وهو الطلب بلسان المقال.

قال شيخ الإسلام " وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ فِيهِ دُعَاءَ الْمُشْرِكِينَ لِأَوْثَانِهِمْ فَالْمُرَادُ بِهِ دُعَاءُ الْعِبَادَةِ الْمُتَضَمِّنُ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ فَهُوَ فِي دُعَاءِ الْعِبَادَةِ أَظْهَرُ"

والدعاء التي تكون شركيّة هو دعاء المخلوق الميت أو الغائب مطلقا، أو الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وقال أيضا: "ومن أعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان أن يدعى غير الله فإن ذلك من الشرك والله لا يغفر أن يشرك به وإن الشرك لظلم عظيم".

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: "العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئًا من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك". أي: يتقرب به إلى غير الله، وإلا ففي دعاء المسألة تفاصيل معروفة.

انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠-١٣) والرد على البكري (١/ ٢١٠) وتيسير العزيز الحميد (ص/ ١٨٦).

(٢) النذر لغة: الإيجاب.

واصطلاحا: هُوَ إِيجَابُ الْمُكَلَّفِ عَلَى نَفْسِهِ شيئا مَا لَوْ لَمْ يُوجِبْهُ لَمْ يَلْزَمْهُ تعظيما للمنذور له

انظر: أحكام القرآن لقرطبي (١٩/ ١٢٤) وحاشية ثلاثة الأصول ابن قاسم (ص/ ٤٥) والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ٢٣٥).

والذَّبح كلّه لله، [١] والاستغاثة كلّها بالله، [٢] وجميع أنواع العبادات كلّها لله. [٣]

---

(١) الذبح لغة: قطع أو شق حلق الحيوان.

واصطلاحا: هو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص، والذبح الذي يتقرب لغير الله لا يكون إلا الشِّرك الأكبر.

قال الرافعي: "وَاعْلَمْ أَنَّ الذَّبْحَ لِلْمَعْبُودِ وَبِاسْمِهِ نَازِلٌ مَنْزِلَةَ السُّجُودِ وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِاَللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ". انظر المجموع (٨/ ٤٠٦).

(٢) الاستغاثة لغة: طلب الغوث.

واصطلاحا: هو طلب الإغاثة والتخليص من الكربة والشدَّة.

قال السعدي: "والفرق بين الدعاء والاستغاثة، أن الدعاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر."

والاستغاثة التي تكون شركا هي استغاثة المخلوق الميت أو الغائب، أو الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله.

انظر مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣) والرد على البكري (٨٨) والفتح الرباني للشوكاني (١/ ٣٠٦) والقول السديد (ص/ ٦١).

(٣) إذا قال قائل: إذا كان توحيد الألوهيَّة هو إفراد أفعال العباد كلها لله جلَّ وعلا، أي: العبادات، لماذا ذكر الشيخ هنا وغيره من علماء التوحيد هذه الأقسام ونحوها فقط؟

الجواب: قال الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص/ ٢٥): "وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة؛ لأن عباد القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى، أو أشركوا بين الله تعالى وبينهم فيها، وإلا فكل نوع من أنواع العبادة، مَنْ صرفه لغير الله، أو أشرك بين الله تعالى وبين غيره فيه، فهو مشرك. قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾."

وعرفت [(١)] أن إقرارهم بِتَوحيد الرُّبوبيَّة لم يُدخِلهم في الإِسلَام. [(٢)]

وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرّب إلى الله بذلك [(٣)] هو الذي أحلَّ دِمَاءَهم وَأَموالهم. [(٤)]

(١) معطوف على "تحقَّقت" الأولى. شرح ابن عثيمين (ص/ ٤٠).

(٢) قال شيخ الإسلام: "وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا هُوَ تَحْقِيقُ مَا أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَصِيرُ الرَّجُلُ بِمُجَرَّدِ هَذَا التَّوْحِيدِ مُسْلِمًا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا لِلَّهِ أَوْ مِنْ سَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ." مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٢). (٣/ ١٠٥).

(٣) قال المصنف: "فيا عباد الله، تفكروا في كلام ربكم تبارك وتعالى، إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أن دينهم الذي كفرهم به، هو الاعتقاد في الصالحين،... وذكر أنهم اعتقدوا فيهم، ودعوهم، وندبوهم، لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، هل بعد هذا البيان، بيان؟" الدرر السنية (١/ ٧٧).

(٤) قال المصنف في تفسير كلمة التوحيد: "ولكن الأمر الثاني، هو الذي كفرهم، وأحل دماءهم وأموالهم، وهو: أنهم لا يشهدون الله بتوحيد الألوهية وهو: أنه لا يدعى إلا الله، ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب، ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره، فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه هذا."

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: "فوجب على كل من عقل عن الله تعالى أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم، وسبي نسائهم، وإباحة أموالهم، مع هذا الإقرار والمعرفة، وما ذاك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله." انظر الدرر السنية (٢/ ١١٨) وتيسير العزي الحميد (ص/ ١٨).

عرفت [(١)] حينئذٍ: [(٢)]

التَّوحيد الذي دعت إليه الرسل [(٣)] وأبى عن الإقرار به المشركون. [(٤)]

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا جواب الشرط لكل ما تقدَّم.

(٢) أي: حين عرفت المقدمات السبعة.

(٣) قال المصنف كما في الدرر السنية (١/ ١٣٧): "واعلم أن التوحيد في العبادة، هو الذي خلق الله الخلق لأجله، وأنزل الكتاب لأجله، وأرسل الرسل لأجله. وهو أصل الدين، الذي لا يستقيم لأحد إسلام إلا به، ولا يغفر لمن تركه، وأشرك بالله غيره كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، و١١٦]."

وقال في نفس المصدر (٩/ ٤٠٠): "فتبين: أن زبدة الرسالة الإلهية، والدعوة النبوية، هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان."

انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٣٨٠) وعدة الصابرين (٣/ ٥٠).

(٤) إذا تأملت ما مرَّ من قوله (إذا تحققت) وما عُطِف عليها، تبيَّن لك التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وعرفت حقيقته؛ أنه توحيد الألوهية والعبادة. شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٣٥).

تَوحِيدُ العِبَادَة هُو مَعنَى (لَا إِلَه إِلَّا الله) [١]

(١) مراد المصنف من هذا الفقرة أن يبيِّن أن معنى (لا إله إلا الله) هو: لا معبود حق إلا الله، فالمراد منها توحيد الألوهية والعبادة وضعا ومطابقة، وإن كانت تتضمن الربوبية والأسماء والصفات، وأدلَّة هذا المعنى كثيرة منها:

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج (٦٢)].

الثَّاني: إجماع أهل العلم بأن معنى الإله هو المعبود.

الثَّالث: أنَّ الله جلَّ وعلا أخبر في كتابه أنه أرسل الرُّسل لأجل توحيد العبادة، فوجب تفسير الكلمة بهذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الْأَنبِيَاء ٢٥] مَعَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحْل ٣٦].

الرَّابع: أن أوَّل أمر تأمره الأنبياء أقوامهم هو عبادة الله واحدة، وقد حكى الله عنهم ذلك في القرآن.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف (٥٩)].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف (٦٥)].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف (٧٣)].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف (٨٥)].

الخامس: أنَّ قوم هود لما دعاهم هود عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى قَول (لَا الله إِلَّا الله) قَالُوا: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ الله وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ ففهموا من هذه الكلمة وهو حق أن مقصوده أنه لا يجوز أن يعبد غير الله، وهذا هو معنى هذه الكلمة، ولم ينكر الله جلَّ وعلا عليهم في القرآن هذا المعنى الذي فهموه، فدلَّ على أنَّ فهمهم هو الصواب بعينه، ولكن تركوه عنادا وانتصارا للآباء.

=

وهذا التَّوحيد [(١)] هو معنى قولك (لا إله إلا الله). [(٢)]

= السَّادس: أنَّ كفَّار قريش لمّا قال لهم النَّبي ﷺ: ((قُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله)) قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص ٥] ففهموا من هَذِه الْكَلِمَة أَنَّهَا تبطل عبَادَة الْأَصْنَام كلهَا، وتحصر الْعِبَادَة لله وَحده.

فَتبين بِهَذَا أَن معنى (لَا إِلَه إِلَّا الله) ومقتضاها: إِفْرَاد الله بِالْعبَادَة وَترك عبَادَة مَا سواهُ، وَأَن معنى الْإِلَه هُوَ المألوه: أَي المعبود.

فَإِذا قَالَ العَبْد (لَا إِلَه إِلَّا الله) فقد أعلن وجوب إِفْرَاد الله بِالْعبَادَة وَبطلَان عبَادَة مَا سواهُ من الْأَصْنَام والقبور والأولياء وَغَيرهم. انظر توضيح معنى الشهادتين لأبي مشكور الإسرافيلي (ص/ ٩).

(١) أي: توحيد الألوهيَّة، وهو "مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلاّ الله، فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد." انظر تجريد التوحيد المفيد المقريزي (ص/ ٨).

(٢) أي: مطابقة، وهي التي وُضعت له، وإن كانت قد دلت على توحيد الربوبيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات بطريق التضمّن.

قال شيخ الإسلام: "وَأَمَّا التَّوْحِيدُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ الْأَئِمَّةُ (شَهَادَةُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ) وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ".

وقال المصنف: "وأما توحيد الألوهية، فهو قولك: لا إله إلا الله، وتعرف معناها كما عرفت معنى الأسماء المتعلقة بالربوبية، فقولك: لا إله إلا الله، نفي وإثبات، فتنفي الألوهية كلها، وتثبتها لله وحده، فمعنى الإله في زماننا: الشيخ، والسيد، الذي يقال فيهما أو غيرهما: سر ممن يعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرة، فمن اعتقد في هؤلاء، أو غيرهم، نبيا كان أو غيره، فقد اتخذه إلها من دون الله."

انظر شرح كشف الشبهات للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٢١) (ص/ ٣٥) والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٥٦٤) والجواب الصَّحيح (٦/ ٢٩) والدرر السنية (٢/ ١٢٦).

فإن الإله عندهم [١] هو الذي يقصد [٢] لأجل هذه الأمور، [٣] سواء كان ملكا، أو نبيا، أو وليًّا، أو شجرة، أو قبرا، أو جنِّيا. [٤]

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر. [٥] فإنَّهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحده [٦] كما قدَّمت لك.

(١) أي: عند أهل اللسان من قريش وغيرهم الذين بُعث فيهم النبي ﷺ وخاطبهم بقوله: "قولوا (لا إله إلا الله تفلحوا)". شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٣٦).

(٢) أي: بالذَّبح والنذر والدعاء ونحو ذلك. انظر شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٣٦).

(٣) أي: طلب الشفاعة عنهم، والتوجه إلى الله بدعائهم من دون الله، ومع الله. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٧).

(٤) سئل الشيخ أحمد بن أحمد الفاسي رحمه الله عن معنى (لا إله إلا الله)؟ فقال: الإله أطلقته العرب على كلِّ معبود حق أو باطل، فجاء الشرع فنفى ما سواه، وهو (لا إله إلا الله) أي: لا معبود حق إلا الله، لأنه لا مستحق للاتَّصاف بالكمالات سواه. انظر: النوازل لأبي الحسن العلمي (٣/ ٢٩٧) وجهود المالكية في تقرير توحيد العبادة لعبد الله بن فهد (ص/ ٧٥-٧٦) وتصحيح مفاهيم العبيد لأبي فيروز الاندنوسي (ص/ ٣٨).

(٥) قال ابن القيم: "فإن عباد الأصنام كانوا مقرِّين بأنَّ الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته." عدة الصَّابرين (ص/ ٤٦).

(٦) قال شيخ الإسلام: "فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهَذَا وَهُمْ مُشْرِكُونَ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، بَلْ الْإِلَهُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِأَنْ يُعْبَدَ فَهُوَ إلَهٌ بِمَعْنَى مَأْلُوهٍ؛ لَا إلَهَ بِمَعْنَى آلِهٍ؛ وَالتَّوْحِيدُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْإِشْرَاكُ أَنْ يُجْعَلَ مَعَ اللَّهِ إلَهًا آخَرَ." مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١).

وإنما يعنون [١] بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيِّد). [٢]

---

(١) أي: إن المشركين الأولين كانوا يقصدون من لفظ الإله ما يقصده أهل زماننا بلفظ السيد.

قال الشيخ عبد اللطيف: "وهذا صحيح، فإن السيد عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يدعى ويستغاث به في الشدائد ويرجى للنوازل، ويحلف باسمه، وينحر له على وجه التعظيم والقربة. وبعضهم يطلق على ذلك اسم الولي، كما هو اصطلاح أهل مصر. وبعضهم يسمي هذا المعنى السر، فيقول: فلان فيه سر، ومن أهل السر. وهذا مشهور معروف. والاصطلاحات تحدث واللغات تختلف." انظر منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس (ص/ ٣١٣-٣١٤).

(٢) وهو الذي _عندهم_ ينخى وينذر له، ويطلب منه تفريج الكربات، غير الله تعالى.

قال المصنف كما في الدرر السنية (١٠/ ٣٠): " وأما قولي: إن الإله الذي فيه السر؛ فمعلوم: أن اللغات تختلف، فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامنا السيد، والشيخ، والذي فيه السر، والعرب الأولون: يسمون الألوهية ما يسمون عوامنا السر، لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يدعى ويرجى، ويخاف ويتوكل عليه.

فإذا قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وسئل بعض العامة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فسرت له إلا بلغة بلده؛ فتارة تقول: هي فاتحة الكتاب، وتارة تقول: هي أم القرآن، وتارة تقول: هي الحمد، وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن إن كان السر في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم، فهذا وجه الإنكار، فبينوا لنا."

قال ابن مانع: "مراده بالسيد ما يعتقده الجهال في بعض الأشخاص الدجالين والمشعوذين الذين يلبسون على العوام بأنهم أهل كرامات، وتصرف في الأمور، وأنه ينبغي الالتجاء إليهم، ودعاؤهم، والتوسل بهم إلى الله، فالعامة يسمون هذا الدجال سيِّدا، وهذا معروف معلوم، وهذا مراد الشيخ رحمه الله."

وقيل: السيِّد لقب لشيخ المكارمة في نجران، وكانوا يعظمونه ويقدسونه ويصرفون العبادة له، كالركوع والسجود وغيرها، فهو المعبود عندهم، والعبرة بالحقائق.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "وفي أرض نجران من تلاعب الشياطين، وخلع ربقة الإيمان ما لا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن، كذلك رئيسهم المسمى بالسيد، لقد أتوا من تعظيمه وطاعته وتقديسه وتصديره والغلو فيه، بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والإسلام، والانحياز إلى عبادة الأوثان والأصنام،: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التَّوحيد وهي (لا إله إلا الله). [(١)]

والمراد من هذه الكلمة [(٢)] معناها [(٣)]

= وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٣١]".

انظر الدرر السنية (٢/ ١٢١) (١٠/ ٩٧) ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٣٨٦). وحاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٧).

فائدة:

قال بعض أهل العلم: اشتهر عند الرافضة استخدام لفظ السيِّد والوليّ، وأما الصوفيَّة فقد اشتهر عندهم في الآونة الأخيرة لفظ الحبيب.

(١) التي فيها إبطال جميع ما يتعلقون به على غير الله بشيء من أنواع العبادة المفرِدة ربَ العالمين بالألوهية استحقاقاً وعملاً وفهماً لذلك.

وفي الصحيح المسند للعلامة الوادعي برقم (١٦٠) عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا» وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، قَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ. وأدلة ذلك كثيرة.

انظر: شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٣٧). وصحيح ابن خزيمة (١/ ١١٩) رقم (١٥٩).

(٢) أي: قول: (لا إله إلا الله). شرح ابن عثيمين (ص/ ٢٤). وشرح ابن إبراهيم (ص/ ٣٧).

(٣) أي: أن المراد هنا قولها على وجه يحصل به إفراد الله بالعبادة وترك ما يعبد معه، والبراءة منه، وأما مجرد اللفظ مع المخالفة للحقيقة فليس مراداً بإجماع أهل العلم، وذلك أن الإيمان لا بد فيه من اعتقاد الجنان، وإقرار اللسان، وعمل الأركان، وجهلوا من اقتصر في تعريف مسماه على أحد هذه الثلاثة.

قال المصنف في تفسير كلمة التوحيد: "واعلم أن هذه الكلمة، نفي، وإثبات: نفي الألوهية عما سوى الله تبارك وتعالى من المخلوقات، حتى عن محمد ﷺ وعن الملائكة، حتى جبرائيل، فضلا عن =

لا مجرَّد لفظها. (١)

والكفار الجهَّال يعلمون (٢) أن مراد النَّبي ﷺ بهذه الكلمة

= غيرهم من الأولياء والصالحين، وإثباتها لله جلَّ وعلا." الدرر السنية (٢/ ١١٦). مصباح الظلام (ص/ ٢٠٢).

(١) أي: أنه لا بدَّ من العلم بما دلَّت عليه هذه الكلمة من النفي والإثبات، والعمل بمقتضى ذلك، وفي هذا إشارة إلى شروطها السبعة المجموعة في قول الشاعر:

علـمٌ يَقِـيْنٌ وَإِخْـلَاصٌ وَصِـدْقُكَ مَـعَ ... مَحَبَّـةٍ وَانقيـادٍ والقَبـول لَهَـا

انظر الكلمات الواضحات (ص/ ٥٨). وتوضيح معنى الشهادتين (ص/ ٢٤).

(٢) فإن قيل: أليس من التناقض وصفه بهم الجهل ثم قوله: يعلمون؟

قلت: الجهل في كتاب الله على نوعين:

أ) عدم معرفة العلم الإدراكي. ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) سورة الحجرات.

ب) فوات علم القبول، أي: عدم العمل بالعلم، وهو الغالب على مسائل الكفر والإيمان والمخالفة، وهذا هو مراد الشيخ هنا، فإن كفار قريش يعلمون معنى (لا إله إلا الله) ولكن يستكبرون عن قبولها والعمل بها. ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧].

وهذه فائدة مهمَّة ينبغي التأمل فيها، ومن فهمها يفهم العذر بالجهل، على تفصيل فيه، لأن كثيرا من الناس قد يقول: لا عذر بالجهل لأن كفار قريش كانوا جهالا والله ما قبل منهم هذا الاعتذار مع أنه وصفهم بذلك، فيقال له: إن كفار قريش الذين وصفهم الله بالجهل إنما وصفهم لكونهم لم يعملوا به، لا لأنهم لم يدركوا حقيقة الأمر، وما يدعو إليه محمد ﷺ، وذلك أنَّ السلف كان يجعلون الفقيه مَن علم وعمل، وضده الجاهل، سواء لم يعلم، أو علم ولم يعمل به، ولهذا قال السلف: كل من عصى الله فهو جاهل.

قال شيخ الإسلام: "وذلك يقتضي أن العمل داخل في مسمى الفقه لازم له." =

هو (إفراد الله تعالى) بالتعلّق [١] و (الكفر) بما يعبد من دونه [٢] والبراءة منه.[٣] فإنه لما قال ﷺ قولوا (لا إله إلا الله) [٤] قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾..

= وقال ابن القيم: "لم يكن السّلف يطلقون اسْم الْفِقْه الا على الْعلم الَّذِي يَصْحَبهُ الْعَمَل".
مجموع المسائل لابن تيمية (١/ ١٣٢) ومجموع الفتاوى (٧/ ٢٢) ومفتاح دار السَّعادة (١/ ٨٩) شرح اللمعة ليوسف الغفيص الدرس(٩/ ٧).

(١) أي: تعلّق القلب به سبحانه، فلا يرجى أحد سواه، ولا يدعي غيره، ولا تطلب الحوائج إلا منه، ولا يستعان إلا به. حاشية كشف الشبهات لابن مانع (ص/ ٧).

(٢) كَهُبَل ونحوه، فإذا صرف المشركون لمن يعتقدون فيه شيئاً من هذه العبادة كانوا بذلك مشركين، فكذلك من يزعم أنه مسلم، ويتلفظ بالشهادتين، ويقر بسائر الأركان إذا صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً، ولا ينفعه اعتقاده أن الله إله واحد، وهو يعبد معه غيره، ولا تنفعه معرفته أن الأنبياء أنبياء، والأولياء أولياء وهو يشركهم في عبادة الله. انظر الضياء الشارق للعلامة سليمان بن سمحان (ص/ ٤٠٤).

(٣) يقول الشيخ صالح آل الشيخ في شرح الأصول الثلاثة (ص/ ١٩٩): "البراءة أصلها البغض، ويتبع البغض ثلاثة أشياء: المعاداة، والتكفير، والمقاتلة عند مشروعية ذلك."
قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما في الدرر السنية (١١/ ٥٤٥): "وأجمع العلماء سلفا وخلفا، من الصحابة والتابعين، والأئمة، وجميع أهل السنة أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك الأكبر، والبراءة منه وممن فعله، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة، والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله."

(٤) كأنه يشير إلى ما أخرجه الترمذي برقم (٣٢٣٢) وأحمد في مسنده وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَأَتَتْهُ قُرَيْشٌ، وَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُهُ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ مَقْعَدُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ فَقَعَدَ فِيهِ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَقَعُ فِي آلِهَتِنَا، وَقَالَ: مَا شَأْنُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ؟ قَالَ: " يَا عَمِّ أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ "، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: " =

.. [سورة ص:٥].(١)

= لَا إِلَهَ إِلا اللهُ " فَقَامُوا: فَقَالُوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ قَالَ: وَنَزَلَ: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، والتعليقات الحسان (٩/ ٣٧٣)، وفيه يحيى بن عمارة، ويقال: عباد. وهو مجهول، وتفرد عنه الأعمش. انظر مسند أحمد ط: الرسالة (٣/ ٤٥٨).

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٥): " أَيْ أَزَعَمَ أَنَّ الْمَعْبُودَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟ أَنْكَرَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَعَجَّبُوا مِنْ تَرْكِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَلَقَّوْا عَنْ آبَائِهِمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأُشْرِبَتْهُ قُلُوبُهُمْ فَلَمَّا دَعَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا."

قال السعدي في تفسيره (ص/ ٤٦٠): "ومن العجب أن السفه عند الاعتياد والممارسة وتلقيه عن الآباء الضالين بالقبول يراه صاحبه هو الرأي: السديد والعقل المفيد.

ويرى إخلاص الدين لله الواحد الأحد الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة هو السفه والأمر المتعجب منه كما قال المشركون: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾."

فائدة مهمَّة: ما هو الفرق بين الرب والإله؟

قال المصنف كما في الدرر السنية (١/ ١٠٦): " فاعلم أن الربوبية، والألوهية يجتمعان، ويفترقان، كما في قوله: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس آية: ١-٣]. وكما يقال رب العالمين، وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟

مثاله: الفقير والمسكين، نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. ونوع واحد في قوله: «افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد إلى فقرائهم».

إذا ثبت هذا، فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه من إلهك، لأن الربوبية التي أقر بها المشركون، ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج آية: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾ [الأنعام آية: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠]. فالربوبية في هذا، هي: الألوهية، ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران، فينبغي: التفطن لهذه المسألة." =

مَفَاهِيم خَاطِئَة فِي فَهمِ كَلمَة التَّوحِيد [١]

فإذا عَرَفت أن جهَّال الكفَّار يعرفون ذلك، [(٢)]

= وقال أيضا في الدرر السنية (٣/ ١٢): "الرب، والإله، في صفة الله تبارك وتعالى، متلازمة غير مترادفة ؛ فالرب، من الملك، والتربية بالنعم، والإله، من التأله وهو: القصد لجلب النفع، ودفع الضر بالعبادة ؛ وكانت العرب تطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أربابا لأجل ذلك، أي: لكونهم يسمون الله ربا، بمعنى: إلها. والله أعلم. "

(١) غلط كثير من الفرق الضالَّة في تفسير كلمة التَّوحيد، ومن أقوالهم في تفسيرها:

أ) لا موجود إلا الله.

ب) لا معبود إلا الله.

ت) هو الغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه.

ث) لا خالق ولا قادر على الاختراع إلا الله.

ج) إثبات الوجود المطلق مجرداً عن الماهية والصفة.

ح) إثبات الوجود المطلق مجرداً عن الصفة.

خ) إنكار قدر الله وعموم مشيئته في الكائنات وقدرته عليها.

د) إنكار مشيئة العبد.

ذ) لا حاكميَّة إلا الله.

انظر هذه الأقوال والرد عليها في المدارج (٣/ ١٥-١٧) ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٩/ ٣٣٩) والذخيرة في الفقه المالكي للقرافي (٢/ ٥٧) ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٥١٦) والدرر السنية (١٢/ ٣٤٦) (٢/ ٢٩٧) ومعنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع للفوزان (ص/ ٢٣).

(٢) يعنِي: يعرفون معنى لا إله إلا الله، وذلك حين قال لهم النبي ﷺ: (قولوا: لا إله إلا الله كلمة تدين لكم بِها العرب وتَملكون بِها العجم) -على تصحيح الحديث- أو غيرها من الكلمات عرفوا معناها معرفة تامة غير أنَّهم لَم ينقادوا لما دلت عليه من معنى النفي والإثبات عنادًا وكبرًا، فالمؤلف -رحمه =

فالعجب ممن يدَّعي الإسلام [١] وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفَّار!!، [٢] بل يظنّ أن ذلك [٣] هو التلفّظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. [٤]

= الله- يذكر أن الكفار عرفوا ما دلت عليه كلمة (لا إله إلا الله) من النفي والإثبات، وأبوا من الانقياد لما دلت عليه عنادًا وحسدًا وتعصبًا لما كان عليه آباؤهم من عبادة الأصنام والأوثان.

انظر التعليقات المباركات على كشف الشبهات للشيخ زيد المدخلي (ص/ ٣٣).

(١) بل يدعي العلم؛ بل يدعي الإمامة في الدين.

قال الشَّيخ العلَّامة زيد المدخلي: " ووجه التعجُّب من المؤلف -رحمه الله- !! أنه واجه أناسًا من أهل الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من أصناف العبادة، ولكنهم يتخذون وسائط بينهم وبين الله -تبارك وتعالى-، ويدَّعون بأنَّهم يستشفعون بِهم ويتوسلون بِهم ويتوسطون بِهم في قضاء حوائجهم من جلب المصالح ودفع المضار."

قال العلامة ابن إبراهيم: "هذا في الحقيقة من أعجب العجب؛ بل من أعظم الجهل وأفحش الخطأ."

انظر التعليقات المباركات (ص/ ٣٤) وشرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٣٨).

(٢) تقدَّم التعليق عليه.

(٣) أي: يظن تفسيرها، والمراد منها مجرد النطق بها، وهذا ظن فاسد. حاشية كشف الشبهات لابن مانع (ص/ ٨).

(٤) مراد المصنِّف أنه يظن أن المطلوب منه والواجب عليه هو: التلفظ بحروف (لا إله إلا الله) دون معرفة المعنى وعدم اعتقاد شيء من معانيها، وهذه حالة المنافقين.

قال شيخ الإسلام: "مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ بِمُجَرَّدِ تَلَفُّظِ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ بِحَالٍ: فَهُوَ ضَالٌّ، مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ قَدْ تَلَفَّظَ بِهَا الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ، وَهُمْ كَثِيرُونَ، بَلْ الْمُنَافِقُونَ قَدْ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَلَكِنْ لَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُمْ." =

والحاذق [(١)] منهم [(٢)] يظنّ أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله وحده. [(٣)]

= وقال ابن القيم: "وَالشَّارِعُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ حَاصِلًا بِمُجَرَّدِ قَوْلِ اللِّسَانِ فَقَطْ، فَإِنَّ هَذَا خِلَافُ الْمَعْلُومِ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَام، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ تَحْتَ الْجَاحِدِينَ لَهَا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، فَلَا بُدَّ مِنْ قَوْلِ الْقَلْبِ، وَقَوْلِ اللِّسَانِ، وَقَوْلُ الْقَلْبِ يَتَضَمَّنُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَالتَّصْدِيقِ بِهَا، وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ مَا تَضَمَّنَتْهُ - مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَنْفِيَّةِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ، الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، الَّتِي يَسْتَحِيلُ ثُبُوتُهَا لِغَيْرِهِ، وَقِيَامُ هَذَا الْمَعْنَى بِالْقَلْبِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَيَقِينًا، وَحَالًا - مَا يُوجِبُ تَحْرِيمَ قَائِلِهَا عَلَى النَّارِ."

انظر: معنى لا إله إلا الله للعلامة الفوزان (ص/ ٢٤) والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٣٧٧) ومدارج السَّالكين (١/ ٣٣٩).

(١) اسم فاعل من (حذق)، يقال (حذق الرجل في صنعته) أي: مهر فيها، وعرف غوامضها، ودقائقها. والمراد به هنا الذكي الفطن المتعلِّم المتمكن.
انظر: شرح الراجحي على الكشف، وشرح البراك (ص/ ٢٣) والمصباح المنير.

(٢) أي: من أولئك الذين يدَّعون الإسلام ولا يعرفون معناها.
يقول الشيخ ابن مانع في حاشيته (ص/ ٨): "وأقول: ما أكثر هذا الصنف-لا كثرهم الله- ظنوا أنَّ معنى هذه الكلمة والمراد منها هو توحيد الربوبيّة، فلهذا جهلوا توحيد العبادة، وصرفوا لغير الله، فطلبوه من الأموات والغائبين وسألوهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا هو الشرك الأكبر وإن سموه توسلا تدليسا وتلبيسا."

(٣) يعني أنها دلَّت على توحيد الربوبية، ومعلوم أن (لا إله إلا الله) دلت على توحيد الربوبية بالتضمُّن لكن معناها الذي وُضعت له مطابقة أن يكون الله وحده هو المعبود دون كل من سواه.
قال شيخ الإسلام: " وَلَيْسَ الْمُرَادُ (بِالْإِلَهِ) هُوَ الْقَادِرُ عَلَى الِاخْتِرَاعِ كَمَا ظَنَّهُ مَنْ ظَنَّهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ الْإِلَهِيَّةَ هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى الِاخْتِرَاعِ دُونَ غَيْرِهِ".
وقال ابن القيم في المدارج: " وَلَيْسَ التَّوْحِيدُ مُجَرَّدَ إِقْرَارِ الْعَبْدِ بِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، كَمَا كَانَ عُبَّادُ الْأَصْنَام مُقِرِّينَ بِذَلِكَ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، بَلِ التَّوْحِيدُ يَتَضَمَّنُ - مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَالذُّلِّ لَهُ، وَكَمَالِ الِانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَإِرَادَةِ وَجْهِهِ الْأَعْلَى بِجَمِيعِ =

فلا خير في رجلٍ [1] جُهَّال الكفار [2] أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله). [3]

= الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَنْعِ، وَالْعَطَاءِ، وَالْحُبِّ، وَالْبُغْضِ - مَا يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الْأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْمَعَاصِي، وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا".

قال الإمام أبا بطين: "وجميع العلماء من المفسرين، وشراح الحديث، والفقه، وغيرهم، يفسرون الإله بأنه: المعبود.

وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه، وكأن هذا القائل، لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون. ومن أبعد الأشياء أن عاقلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها، ويعترف به، ليلا ونهارا، سرا وجهارا، هذا ما لا يفعله، من له أدنى مسكة من عقل."

انظر: شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٣٩) ومجموع الفتاوى (٣/ ١٠١) ومدارج السالكين (١/ ٣٣٩) والدرر السنيَّة (٢/ ٢٩٧).

(١) أي: يدعي الإسلام بل يدعي أنه من أهل العلم ولا يفهم معنى (لا إله إلا الله) وقد فهمها كفار قريش وعرفوا معناها.

قال العلامة الفوزان: "إن الأمر خطير، والعار شنيع، والواجب على المسلمين أن ينتبهوا لدينهم ويتأملوا دعوة نبيهم ويفقهوا دينهم فقهًا صحيحًا ويقيموه على أساس سليم من عقيدة التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، ولا يكتفوا بمجرد التسمي والانتساب إليه مع البقاء على الرسوم والعادات المخالفة له، وترديد عبارات جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع". شرح كشف الشبهات للعلامة الفوزان (ص/ ٤٩).

(٢) قال المصنف في كتاب التوحيد: "فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام".

(٣) قال الشيخ محمد بن إبراهيم في شرح الكشف (ص/ ٣٩): "هذا رجلُ سُوءٍ لا خير فيه، هذا أقل ما يُقال فيه؛ فالمصنف اقتصر واقتصد على أدنى ما يقال فيه وإلا فهو يستحق أعظم، بل لا خير فيه بحال. إذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة وأضرابه أعلم منه بمعناها فلا جهلَ معنى هذه الكلمة التي هي أصل دين الإسلام وقاعدته وأساسه."

نِعمَةُ التَّوحِيدُ تُوجِبُ الفَرَح بِه وَالخَوف مِن سَلبِه [1]

إذا عرفت ما ذكرتُ لك [(٢)] معرفة قلبٍ، [(٣)] وعرفت [خطر] الشِّرك بالله [(٤)] الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء:٤٨]. [(٥)]

---

(١) قال الشيخ العلامة عبد اللطيف آل الشيخ كما في الدرر السنيَّة (١٢/ ٣١٤): "فيجب على من عرف حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنكر ما ينافيه من الشرك، وعادى في الله ووالى فيه أن يشكر الله على هذه النعمة، خصوصا إن تدبر ما في القرآن، من بيان ما جرى من الأمم المكذبة للرسل، وما جرى في هذه الأمة مما أخبر النبي ﷺ بوقوعه، من الشرك والضلال، وما جرى على النبي ﷺ في ابتداء دعوته. فيا لها نعمة ما أجلها لمن عرف قدرها، ورعاها حق رعايتها، وأحبها وسر بها، ولزم العمل بها وذكرها. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، غير مكفي ولا مكفور، ولا مودع، ولا مستغنى عنه، ربنا، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا." وفي الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٤): "وَأخرج ابْن أبي الدُّنْيَا وَالْبَيْهَقِيّ عَن سُفْيَان بن عُيَيْنَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا أنعم الله على الْعباد نعْمَة أعظم من أن عرّفهم (لَا إِلَه إِلَّا الله) وَأن (لَا إِلَه إِلَّا الله) لَهُم فِي الْآخِرَة كَالْمَاءِ فِي الدُّنْيَا."

(٢) أي: من أن التوحيد الذي أنزلت من أجله الكتب، وبعثت لأجله الرسل، هو توحيد العبادة والألوهية، وأنه هو المراد بـ(لا إله إلا الله).

(٣) يعني معرفة حقيقية واصلة إلى سويداء القلب، ليست مجرد دعوى باللسان؛ فإن مجرد دعوى اللسان من غير معرفة القلب ليست معرفة. قال المصنف: "مصداق كلامي لكم مرارا عديدة، أن الفهم الذي يقع في القلب، غير فهم اللسان." قال شيخ الإسلام: "وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول، أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار." انظر شرح الكشف للعلامة محمد بن إبراهيم (ص/ ٣٩). والدرر السنية (١٠/ ١٠١) واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٥٧).

(٤) وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى. حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (ص/ ٥٠).

(٥) قال الشنقيطي في أضواء البيان (١/ ٢٤٣): "ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ الْإِشْرَاكَ بِهِ وَأَنَّهُ يَغْفِرُ غَيْرَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا.
وَذَكَرَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ: أَنَّ مَحَلَّ كَوْنِهِ لَا يَغْفِرُ الْإِشْرَاكَ بِهِ إِذَا لَمْ يَتُبِ الْمُشْرِكُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ تَابَ غَفَرَ لَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ الْآيَةَ، فَإِنَّ الِاسْتِثْنَاءَ رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا

وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم [(١)] .

الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، [(٢)] وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا [(٣)] أفادك فائدتين: [(٤)]

= يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى الْكُلِّ جُمِعَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾."

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٩٦): "وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الشَّرَائِعَ، وَإِنْ تَنَوَّعَتْ فِي أَوْقَاتِهَا إِلَّا أَنَّ الْجَمِيعَ آمِرَةٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ ابْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ - إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ - وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢] وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤] الْآيَةَ [الْمَائِدَةِ: ٤٤] فَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهُوَ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ"

وقال أيضا في تفسيره (٣/ ٣٤٤): "قال عليه السلام «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ دِينُنَا وَاحِدٌ» فَإِنَّ أَوْلَادَ الْعِلَّاتِ هُمُ الْإِخْوَةُ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمَّهَاتٍ شَتَّى، فَالدِّينُ وَاحِدٌ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِنْ تَنَوَّعَتِ الشَّرَائِعُ الَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمَّهَاتِ، كَمَا أَنَّ إِخْوَةَ الْأَخْيَافِ عَكْسُ هَذَا بَنُو الْأُمِّ الْوَاحِدَةِ مِنْ آبَاءٍ شَتَّى، وَالْإِخْوَةُ الْأَعْيَانُ الْأَشِقَّاءُ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

(٢) قال شيخ الإسلام: "وَأَمَّا الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَنَاطِقَةٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَى الْحَنِيفِيَّةِ، وَهِي الْإِسْلَامُ الْعَامُّ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْإِيمَانُ بِكُتُبِهِ؛ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ". انظر مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٨).

(٣) أي بمعنى هذه الكلمة. أو بالتوحيد والشرك؛ فإن أكثرهم ما عرف دين الله هذا، بل عادَوا أهل التوحيد وعابوهم وحاربوهم. انظر: شرح ابن عثيمين (ص/ ٤٥). وشرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٠).

(٤) جواب قوله: "إذا عرفت ما ذكرت لك. . إلخ". والذي أفاد ذلك هو ما تقدم من كلام المصنف رحمه الله في الأمور التالية: **أ)** أن جُهال الكفار يعرفون التوحيد وأن المراد منه معرفة معناه والعمل بمقتضاه. =

الأولى: الفرح [(١)] بفضل الله ورحمته [(٢)]

كما قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [سورة يونس:٥٨]. [(٣)]

= **ب)** عظم جرم الشرك الذي لا يغفره الله تعالى. **جـ)** معرفة دين الرسل من أولهم إلى آخرهم والذي لا يقبل الله ديناً سواه. **د)** ما أصبح عليه غالب الناس فيه من الجهل بهذا التوحيد.

شرح ابن عثيمين (ص/ ٤٥). والتوضيحات الكاشفات للهبدان (ص/ ٨٢).

(١) هو انشراح الصدر بلذة عاجلة. قال ابن القيم في المدارج (٣/ ١٤٩): "وَقَدْ جَاءَ الْفَرَحُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى نَوْعَيْنِ. مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ. **فَالْمُطْلَقُ:** جَاءَ فِي الذَّمِّ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]. **وَالْمُقَيَّدُ:** نَوْعَانِ أَيْضًا: مُقَيَّدٌ بِالدُّنْيَا. يُنْسِي صَاحِبَهُ فَضْلَ اللَّهِ وَمِنَّتَهُ. فَهُوَ مَذْمُومٌ. كَقَوْلِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وَالثَّانِي: مُقَيَّدٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ. وَهُوَ نَوْعَانِ أَيْضًا: فَضْلٌ وَرَحْمَةٌ بِالسَّبَبِ. وَفَضْلٌ بِالْمُسَبَّبِ.

فَالْأَوَّلُ: كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وَالثَّانِي: كَقَوْلِهِ: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

فَالْفَرَحُ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ: دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِهِ عِنْدَ صَاحِبِهِ، وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَإِيثَارِهِ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ فَرَحَ الْعَبْدِ بِالشَّيْءِ عِنْدَ حُصُولِهِ لَهُ: عَلَى قَدْرِ مَحَبَّتِهِ لَهُ، وَرَغْبَتِهِ فِيهِ. فَمَنْ لَيْسَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الشَّيْءِ لَا يُفْرِحُهُ حُصُولُهُ لَهُ، وَلَا يُحْزِنُهُ فَوَاتُهُ. فَالْفَرَحُ تَابِعٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالرَّغْبَةِ... وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْفَرَحَ أَعْلَى أَنْوَاعِ نَعِيمِ الْقَلْبِ، وَلَذَّتِهِ وَبَهْجَتِهِ. وَالْفَرَحُ وَالسُّرُورُ نَعِيمُهُ."

(٢) قال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٣٨): "وَقَدْ دَارَتْ أَقْوَالُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ هِيَ الْإِسْلَامُ وَالسُّنَّةُ وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فَرَحُهُ بِهِمَا، وَكُلَّمَا كَانَ أَرْسَخَ فِيهِمَا كَانَ قَلْبُهُ أَشَدَّ فَرَحًا حَتَّى إِنَّ الْقَلْبَ لَيَرْقُصُ فَرَحًا إِذَا بَاشَرَ رُوحَ السُّنَّةِ أَحْزَنَ مَا يَكُونُ النَّاسُ، وَهُوَ مُمْتَلِئٌ أَمْنًا أَخْوَفَ مَا يَكُونُ النَّاسُ."

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٩): " أَيْ: بِهَذَا الَّذِي جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَلْيَفْرَحُوا، فَإِنَّهُ أَوْلَى مَا يَفْرَحُونَ بِهِ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ أَيْ: مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ الذَّاهِبَةِ لَا مَحَالَةَ."

وأفادك أيضا [(١)] الخوف العظيم. [(٢)] فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه مازحا، [(٣)] وقد يقولها وهو جاهل [(٤)] ...

---

(١) وهو الفائدة الثانية. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٩).

(٢) أي: أن تخاف على نفسك أن تقع فيما وقع فيه غالب الناس، وأنت لا تشعر فتهلك وهو الشرك. فإذا كان إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مع مقامه العظيم وهو سيد الأنبياء وسيد الحنفاء، ووالد الأنبياء - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - يسأل ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام ويقول: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ فكيف بغيره ! ! !.

قال البخاري في صحيحه (١/ ١٨): "بَابُ خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا» وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: " أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ " وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ: " مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ."

وفي تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧) عن إبراهيم التيمي أنه قال: "مَنْ يَأْمَنُ مِنَ الْبَلَاءِ بَعْدَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، حِينَ يَقُولُ: رَبِّ ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] " انظر شرح كشف الشبهات للراجحي.

(٣) دون قلبه. وهي زيادة من بعض النسخ. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٤١).

(٤) لعل المراد أنه يقولها جاهلا بدرجة الحكم عليها، أي: أن يكون جاهلا عما يترتب على الشيء، فيعرف أن هذا الشيء حرام، وأنه لا يجوز فعله، لكن ما يدري أن هذا كفر، أو كبيرة، فيؤاخذ عليها. لأن بعض الناس يقول الكلمة وهو يعرف أنها كلمة رديئة خبيثة، لكن يقول: أنا لا أدري أنها كفر، فلا يعذر، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وفي لفظ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

ويمكن أن يكون المراد بالجهل هو الناشئ عن الإعراض عن الحق بعد وصوله، لا الجهل الناشئ عند عدم البلاغ، والأوَّل أظهر. انظر شرح كشف الشبهات للبراك (ص/ ٢٧). وتعليقات كشف الشبهات لطلعت مرزوق (ص/ ١٨).

...فلا يعذر بالجهل، [١]

---

(١) أي: عما يترتب من ذلك الفعل كالكفر أو العقاب إذا كان يعلم حرمته، كما تقدم، ودليله ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ».

قال السيوطي في الأشباه والنظائر (ص/ ٢٠١): "قَاعِدَةٌ: كُلُّ مَنْ عَلِمَ تَحْرِيمَ شَيْءٍ وَجَهِلَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ، لَمْ يَفِدْهُ ذَلِكَ كَمَنْ عَلِمَ تَحْرِيمَ الزِّنَا، وَالْخَمْرِ، وَجَهِلَ وُجُوبَ الْحَدِّ. يُحَدُّ بِالِاتِّفَاقِ، لِأَنَّهُ كَانَ حَقُّهُ الِامْتِنَاعَ. وَكَذَا لَوْ عَلِمَ تَحْرِيمَ الْقَتْلِ، وَجَهِلَ وُجُوبَ الْقِصَاصِ: يَجِبُ الْقِصَاصُ."

ويمكن أن يكون مراد المصنِّف أنه قد لا يعذر له في بعض الأحوال، ولو كان جاهلا، والله أعلم.

وقد اختلف الناس في مسألة العذر بالجهل ومراد المصنف من هذا الكلام، وموقف المصنّف من هذه المسألة، وخاض فيها كثير ممن لم يفهمها، وهي مسألة في الحقيقة صعبة، لا ينبغي الخوض فيها إلا للضرورة، وسبب صعوبتها تعسر تصوّرها، وكثرة التقسيمات التي تدخل فيها، والتي لم ينتبه لها كثير ممن خاض فيها، ولذلك قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع (٦/ ٩٣): " وهذه المسألة ـ أعني مسألة العذر بالجهل ـ مسألة عظيمة شائكة، وهي من أعظم المسائل تحقيقاً وتصويراً."

فمن الناس من يرى أن المصنِّف لا يرى العذر بالجهل، ولا يشترط في إقامة الحجة، وأنه يتسرع في التكفير، وهذا باطل لوجوه:

الأوَّل: أن المصنِّف نفسه صرح في مواضع كثيرة من كتبه أنه لا يكفر إلا بعد إقامة الحجة، ومن ذلك قوله كما في الدرر السنية (١٠/ ١٣١): "ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله، ثم عاداه وصد الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان، بعدما عرف أنها دين المشركين، وزينه للناس، فهذا الذي أكفره؛ وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا رجل معاند، أو جاهل؛ والله أعلم، والسلام."

الثاني: أن المصنِّف صرَّح في بعض رسائله أن هذا من افتراءات أعدائه عليه، ومن ذلك قوله كما في الدرر السنيَّة (١٠/ ١١٣): " وأما ما ذكر الأعداء عني، أني أُكَفِّر بالظن وبالموالاة، أو أكفّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله."

=

=

الثالث: أن بعض طلابه صرحوا بأن مذهبهم أنه لا يكفرون أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه، ومن ذلك قول ولد الإمام الشيخ عبد الله كما في الدرر السنية (١٠/ ٢٣٦): " إذا فعل الإنسان الذي يؤمن بالله ورسوله، ما يكون فعله كفرا، أو اعتقاده كفرا، جهلا منه بما بعث الله به رسوله ﷺ ، فهذا لا يكون عندنا كافرا، ولا نحكم عليه بالكفر حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، التي يكفر من خالفها. فإذا قامت عليه الحجة، وبين له ما جاء به الرسول ﷺ ، وأصر على فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه، فهذا هو الذي يكفر."

الرَّابع: أنَّ طلابه نقلوا عنه أنه كان يقرر هذا في مجالسه، ومن ذلك قول الشيخ عبد اللطيف في منهاج التأسيس والتَّقديس (ص/ ٢٢٢): "وكان شيخنا محمد بن عبد الوهاب يقرّر في مجالسه ورسائله أنه لا يكفر إلا من قامت عليه الحجة الرساليَّة، وإلا من عرف دين الرسول وبعد معرفته تبين في عداوته ومسبته، وتارة يقول: وإذا كنا لا نكفر من يعبد الكواز ونحوه ونقاتلهم حتى نبين لهم وندعوهم فيكف نكفر من لم يهاجر إلينا؟ ويقول في بعضها: وأما من أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فلا أدري ما حاله؟".

الخامس: أن الشيخ المصنِّف من أعظم الناس توقفا عن تكفيرهم، قال الشيخ عبد اللطيف في منهاج التأسيس والتقديس (ص/ ٩٨): "والشيخ محمد رحمه الله من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفيره الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها."

وقال أيضا في مصباح الظلام (ص/ ٤٩٩): " فمن بلغته دعوة الرسل إلى توحيد الله، ووجوب الْإسلام له، وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله، وهذا هو الذي يُجْزم بتكفيره إذا عبد غير الله، وجعل معه الأنداد والآلهة، والشيخ وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا، وشيخنا رحمه الله قد قرَّر هذا وبينه وفاقًا لعلماء الأمة واقتداءً بهم، ولم يكفِّر إلاَّ بعد قيام الحجة وظهور الدليل، حتى إنه رحمه الله توقف في تكفير الجاهل من عُبَّاد القبور إذا لم يتيسَّر له من ينبِّهه."

السَّادس: أنَّ الذي عليه عمل أهل العلم من أئمة التوحيد بعد الشيخ وهو المتفق عليه، أنه عباد القبور يقام عليهم الحجة، ولذلك يقول الشيخ عبد اللطيف في مصباح الظلام (ص/ ٥٢): "وإنما تكلَّم الناس في بلاد المشركين، الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أندادًا لله ربِّ العالمين، أو يسندون إليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم: أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردَّة ولم يجعلوه كافرًا أصليًّا."

=

وقال الآلوسي في غاية الأماني (١/ ٥٣): "والذي تحصّل مما سقناه من النصوص: أن الغلاةَ ودعاةَ غير الله وعَبَدَةَ القبور إذا كانوا جهلة بحكم ما هم عليه ولم يكن أحد من أهل العلم قد نبههم على خطئهم فليس لأحد أن يكفرهم."

ومن النَّاس من يدَّعي أن المصنِّف لا يرى العذر بالجهل في المسائل الشركية، ويعكر على ذلك أن المصنف نفسه صرَّح أنه يعذر في الشرك، بكلام لا غموض فيه، وإن أطلق عليهم لفظ الشرك، ففرق بين إطلاق الكفر عليهم وبين إطلاق لفظ الشرك عليهم، ومن ذلك قوله: كما في الدرر السنية (١٠/ ١٢٨): "وإنما نكفّر من أشرك بالله في إلهيته، بعدما نبين له الحجة، على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسَّنه للناس، أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه، دون هذه المشاهد، التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها، وسعى في إزالتها؛ والله المستعان، والسلام."

وقال أيضا كما في الدرر (١/ ١٠٤): " وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟: {سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦] ."

قال الشيخ الألباني كما في موسوعة العقيدة (٥/ ٦٢٦): " سبحان الله، هذا كلام عظيم جداً، وأنا أقول: هذا هو الحق ما به خفاء *** فدعني عن بنيات الطريق".

والعذر في الشرك قد صرح به شيخ الإسلام في الاستغاثة (ص/ ٤١١) حيث قال: "ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه".

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح كشف الشبهات (ص/ ٤٦): " لا أظن الشيخ رحمه الله لا يرى العذر بالجهل اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يعذر بالجهل وإنما لا أظن ذلك من الشيخ لأن له كلاماً أخر يدل على العذر بالجهل."

ومن الناس من غلا في مسألة العذر بالجهل فأدخلوا في كل مسألة، ولم يلتفتوا إلى أن هناك حالات لا يجوز العذر بالجهل، وقد قعَّد الإمام المعلمي اليماني قاعدة جميلة في هذه المسألة، فقال في كتابه العبادة: "وها هنا قاعدة جليلة، وهي: أنَّ مَن رضي بالإسلام دينًا ولو إجمالًا فالأصل فيه أنه معذور في

= خطئه وغلطه، ومَن لم يرض بالإسلام دينًا فالأصل فيه أنه غير معذور، ولا يخرج أحدُهما عن أصله إلا ببيانٍ واضحٍ. هذا في الحكم الظاهر، فأمَّا عند الله عزَّ وجلَّ فالمدار على الحقيقة."

ومن تأمَّل كلام أهل العلم في هذه المسألة الصَّعبة يجد أن هناك حالات يعذر بالجهل، وحالات لا يعذر بالجهل، وخلاصة القول في المسألة أن يقال:

إنَّ الجاهل الذي وقع في الكفر على نوعين:

النَّوع الأوَّل: جاهل غير مسلم، يدين بغير دين الإسلام، أو لا يدين بشيء، وهو الكافر الأصلي، فهذا لا يعذر له بالجهل مطلقا، فإنه في الدنيا يأخذ أحكام الكفار، وأمَّا الآخرة فأمره إلى الله. وأدلَّته كثيرة في القرآن.

النَّوع الثَّاني: جاهل مسلم يدين بدين الإسلام، فهذا له حالتان:

١) أن يكون هذا الشيء المكفِّر مما لا يمكن الجهل به، كسبِّ الله وسبِّ رسوله ﷺ، وسبِّ دين الإسلام. فهذا لا يعذر له بالجهل مطلقا.

٢) أن يكون مما يمكن الجهل به، فهذا له حالتان أيضا:

أ) أن يكون جاهلا عما يترتب من هذا الفعل، أي: عقوبته وحكم فاعله، ويعلم تحريمه، كأن يعلم تحريم الشرك بالله، ولكن لا يعلم أنه يكفر به فاعله، فهذا لا يعذر به مطلقا. لحديث أبي هريرة في قصة الرجل الصائم الذي وقع في أهله نهارا في رمضان، وقد تقدم ذكره، وقد أشار إلى هذه الحالة شيخ الإسلام كما في المجموع (٧/ ٢٧٣).

ب) أن يكون جاهلا عن أصل الحكم، أي: تحريمه فهذا له أربع حالات:

- أن يكون الجاهل حديثَ عهدٍ بكفر، فهذا يعذر له بالجهل، ودليله حديث أبي واقد الليثي الذي سيأتي.
- أن يكون الجاهل نشأ ببادية بعيدة عن الإسلام. فهذا يعذر له بالجهل، ودليله الإجماع، نقله شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٧)

=

- أن يكون الجاهل مفرِّطا في تعليم دينه، ومعرضا عنه، فلا يتعلمه ولا يعمل به، أو كان في بلد اشتهر عند الخاصة والعامَّة بدون معارض قوي تحريم ما يفعله وهو لا يبالي فيفعله، فهذا لا يعذر به فيما يظهر، ومعنى ذلك أنه يعيش المسلم في جو إسلامي صحيح، وتكون العقائد منتشرة في ذلك الجو حتى صارت من قسم ما يسميه علماء الأصول بالمعلوم من الدين بالضرورة. كما قاله الإمام الألباني، ومثاله: رجل في بلاد السعودية فلا يعذر له في الشرك لكونه ظاهرا في تلك البلاد عند العامَّة والخاصَّة، وأشار إلى هذا الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٩٦).
- أن يكون الجاهل على غير تلك الحالات، وهذا باعتبار ما يقع فيه على نوعين:

١) أن يقع في غير الشرك بالله، فهذا لا شكَّ أنَّه معذور، وهو قول أهل السنَّة، ولا فرق في ذلك بين الأصول والفروع.

٢) أن يقع في الشرك بالله جَلَّ وَعَلا فهذا محلُّ خلاف بين أهل السنَّة، في تكفيره، لا في تسميته مشركا، فمنهم من وجد في بعض عباراته أنَّه لا يعذر له بالجهل، ولكنَّ الحق الذي عليه جمهور أهل السنَّة كشيخ الإسلام وإمام الدعوة ابن عبد الوهاب في صريح بعض عباراته، والإمام الألباني، والإمام الشنقيطي، والعلامة ابن عثيمين، والإمام الوادعي ومحدِّث المدينة عبد المحسن العباد، والعلامة عبد الرزاق عفيفي، وأستاذ العقيدة العلامة محمد أمان الجامي، وشيخنا العلامة يحيى بن عليّ الحجوري أنه يعذر له بالجهل، لأن الجهل عذر بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين في الجملة؛ أي: ليس في كل الصور. وقد أشار إلى القولين العلامة ابن باز كما نقله عنه العلامة عبد المحسن العباد في شرح شروط الصلاة (ص/ ٧٤)

قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع (٦/ ١٩٢): " الجهل عذر بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين في الجملة؛ أي: ليس في كل الصور. وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إلى قوله: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥] فدل هذا على أنه لو لم يرسل رسلاً إلى الخلق فلهم حجة على الله؛ لأنهم معذورون، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

= مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص]، وقال الله تعالى عن قريش: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه].

وقال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، والنصوص الدالة على أن الجهل عذر كثيرة جداً." وذكر أدلة أخرى وكلام أهل العلم في شرحه على الكشف (ص/ ٤٦-٦٢)، ثم قال: " والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً، وذلك الأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم."

وهذا التفصيل بهذا السياق لم أره لغيري، وهو ما فهمته من كلام أهل العلم، ولولا خوف الإطالة لذكرت عند كلّ قسم أقوال العلماء فيه، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه.

تنبيهات مهمَّة:

١) قال العلامة الجامي في شرحه على قرة عيون الموحدين عند قول الشيخ عبد الرحمن: "والمشركون من هذه الأمة" قال الجامي: "ولا تستنكر هذه العبارة كما أنكر أولئك، نحن نطلق عليهم أنهم مشركون، مع إثبات الفروق بين شركهم وشرك الأولين، ولا يجوز التوقف أن نطلق عليهم مشركون، وإنما البحث يأتي بعد ذلك، هل يعذر بجهله، يقال: عمله شرك، وظاهره شرك، لكن لا يخرج من الملَّة؟ هذا محلّ المبحث لطلاب العلم وأهل العلم، وأما إطلاق أنه مشرك فواجب، ولا يجوز الشك بذلك."

٢) العلماء الذين قالوا بعدم العذر في الشرك إنما مرادهم أنه لا يعذر بالجهل في تسميته في الدنيا كافرا، وأخذ أحكام الكفار، ولا يوجبون له بالنَّار، بل أمره إلى الله في الآخرة، والصحيح أنَّه مانع من التسمية والعقاب، أي: المترتب من هذا الفعل الذي فعله جهلا. وأمَّا التكفيريون اليوم فيرونه أنه كافر مخلَّد في النار، حسب ظنّي.

٣) لا أعلم من الأئمة المعاصرين من يرى أنه لا عذر بالجهل مطلقا، وإنما يطلقون بعض الأحيان ويريدون بعض تفاصيله، وبعض الجزئيات التي تناسب ذلك المقام.

=

وقد يقولها [(١)] وهو يظنّ أنها تقرّبه إلى الله تعالى زلفى [(٢)] .

= ٤) العلماء الذين وجد في بعض عباراتهم عدم العذر بالجهل في الشرك، قد وجد في بعض عباراتهم الأخر وهم يعذرون في الشرك عند التطبيق، ومن أشهر من ينقل أنَّه لا يعذر بالجهل في الشرك فيما أعلم العلامة أبا بطين، وهو القائل كما في الدرر السنيَّة (١٢/ ١٧٧): "وليعلم أننا لا نجترئ على تكفير من وجدنا في كلامه ألفاظا شركية، كصاحب البردة وأمثاله."

والمسألة من المسائل الصعبة كما قلنا، ولم أقرأ كتابا واحدا من الكتب المؤلفة في هذه المسألة، وإنما أخرجت نحو هذه التقاسيم من بطون كتب أهل العلم، وأنصح لكل طالب علم أن يبحث في المسألة بنفسه، وأن يتقى الله في تكفير المسلمين المساكين، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

المراجع: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩) (٣/ ٤٦) (١٢/ ٤٩٣) (١٣/ ٢٣١) (٧/ ٥٠٨) وموسوعة الألباني في العقيدة (٥/ ٧٣٥) وغاية الأماني في الردّ على النبهاني (١/ ٥٣). وآثار المعلّمي (٣/ ٩٣٣) والمغني لابن قدامة (٨/ ١٣١) والمحلى لابن حزم (١١/ ١٨٨). والفصل في الملل والنِّحل لابن حزم (٢/ ٢٦٩). والردّ على البكري المسمى بالاستغاثة (ص/ ٤١١). ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢/ ١٢٧-١٢٨) (٢/ ١٣٠) (٢/ ١٣٨) والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين (٦/ ١٩٢-١٩٦) ومجموع رسائل الشيخ العباد (٤/ ٣٧٢-٣٨٠) والدّرر السنيَّة (١/ ٥٦) (١/ ٦٦) (١/ ٧٣) ومنهج محمد بن عبد الوهاب في مسائل التَّكفير (ص/ ١٠١-١١١). منهاج أهل الحق والاتباع للشيخ سليمان بن سمحان (ص/ ٧٤). والأشباه والنظائر للسيوطي (ص/ ٢٠١). أحكام أهل الذمة لابن القيم (ص/ ٥٦٤) وطريق الهجرتين (ص/ ٧٢٧). والصفات الإلهيَّة للعلامة للجامي (ص/ ٣٥٣) وفتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١/ ١٧٢) وغارة الأشرطة للإمام الوادعي (٢/ ٢٩٦-٢٩٧)

(١) أي: كلمة الكفر والشرك.

(٢) كأن يسأل الموتى قضاء الحوائجَ والمدد وتفريج الكربات، يذبح لهم، وينذر لهم، ويظن أن هذا يقربه إلى الله، يظن أن هذا محبةً للصالحين.

قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد (ص/ ١٣٨): "ففيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يستحسن شيئا يظن أنه يقربه إلى الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه، ولا يعرف هذا =

كما كان ظنّ الكفار.[١] خصوصا[٢] إن ألهمك الله[٣] ما قص على قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم[٤] أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف:١٣٨].[٥]

= على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور، من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها، ويحسبون أنهم على شيء وهو الذنب الذي لا يغفره الله." انظر شرح كشف الشبهات للعلّامة الراجحي.

(١) في نسخة: (المشركون)، وقد تقدَّم أنَّ من دان بغير دين الإسلام فلا يعذر له بالجهل مطلقا، والله أعلم بالصَّواب، وإليه المرجع والمآب.

(٢) يسْتَعْمل بِمَعْنى (لَا سِيمَا) تَقول: يُعجبنِي فلَان خُصُوصا علمه وأدبه. المعجم الوسيط

(٣) الإِلْهَام: أَنْ يُلْقِيَ اللهُ فِي النَّفْس أمْراً، يَبْعَثُه عَلَى الفِعْل أَوِ التَّرْك. انظر النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٨٢).

(٤) الذي يظهر من القرآن الكريم أنهم كانوا جهالا، وإثبات العلم لهم فيه نظر، بل قال بعض العلماء: كانوا قومًا يتمكن منهم الجهل، يظنون أنَّ مَنْ تَقَرَّبَ إلى الله بعبادة غيره أن ذلك يُقَرِّبُهُ إلى الله!! ويعتقدون أن ذلك يصح! وهذا غاية الجهل، كما قال لهم نبي الله موسى: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} وصفهم بالجهل المطلق، وجاء بصيغة المضارع يشير إلى أن الجهل كأنه معهم في الحال والمستقبل لا يفارقهم.

قال ابن الوزير: "ومن المعلوم أن هؤلاء الجهلة ليسوا من العلماء بالله، المؤمنين الإيمان الصادق، ولم يكونوا مع ذلك كفاراً ولا منافقين، فكانوا كالذين قال الله فيهم: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات: ١٤]"

انظر العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ (٤/ ١٣٣) والعواصم والقواصم (٩/ ٢٣٢).

قلت: وقع في بعض النسخ: (وعملهم).

(٥) قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٢٩٩): "فأول تلاعب الشيطان بهذه الأمة في حياة نبيها، وقرب العهد بإنجائهم من فرعون وإغراقه وإغراق قومه، فلما جاوزوا البحر رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم فقالوا: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لنا إلهاً كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].
=

فحينئذ يعظم خوفك [١] وحرصك على ما يخلِّصك من هذا [٢] وأمثاله. [٣]

= فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هؤلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فأي جهل فوق هذا؟ والعهد قريب، وإهلاك المشركين أمامهم، بمرأى من عيونهم. فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها. فطلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلها مخلوقا وكيف يكون الإله مجعولا؟ فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه. والمجعول مربوب مصنوع، فيستحيل أن يكون إلها."

(١) لكثرة وقوع الناس فيه، حتى قال ابن القيم: "فَإِنَّهُ يَصْدُرُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَكِنْ لَا يَخُصُّ اللَّهَ فِي مُعَامَلَتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، بَلْ يَعْمَلُ لِحَظِّ نَفْسِهِ تَارَةً، وَلِطَلَبِ الدُّنْيَا تَارَةً، وَلِطَلَبِ الرِّفْعَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْجَاهِ عِنْدَ الْخَلْقِ تَارَةً، فَلِلَّهِ مِنْ عَمَلِهِ وَسَعْيِهِ نَصِيبٌ، وَلِنَفْسِهِ وَحَظِّهِ وَهَوَاهُ نَصِيبٌ، وَلِلشَّيْطَانِ نَصِيبٌ، وَلِلْخَلْقِ نَصِيبٌ، وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ." وقال أيضا:

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما ... من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم ... فالقلب بين أصابع الرحمن

انظر الجواب الكافي (ص/ ١٣١) والكافية الشافية مه شرحها لابن عيسى (١/ ١٣١).

(٢) أي: من الكفر وأسبابه، فإن هؤلاء العلماء الصلحاء طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها يدعونه من دون الله، وهذا حال عباد القبور في هذه العصور، تقربوا إلى الله بدعوة الأموات، والذبح لهم، والاستغاثة بهم، وهذا كفر يطردهم من رحمه الله. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٩-١٠). وقوله: (العلماء) تقدَّم ما فيه.

(٣) أي: من الكفريَّات. قال الشيخ العلامة ابن إبراهيم مفتي الديار السُّعوديَّة سابقا: "ومن أسبا الخلوص من هذا الداء العضال التفتيشُ عن مبادئه ووسائله وذرائعه خشية أن تقع فيه وأنت لا تشعر، وكان حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: "كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني". ومن أسباب التخلص من هذا صدقُ الابتهال إلى الله وسؤاله التثبيت، وكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: "اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك"، كما ابتهل الخليل عليه السلام إلى الله فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾. انظر شرح كشف الشبهات (ص/ ٤٢-٤٣).

دَوامُ العِداءِ لأَهلِ التَّوحِيد [١]

واعلم أنَّ الله سبحانه من حكمته [(٢)] لم يبعث نبيا [(٣)] بهذا التوحيد [(٤)] إلا جَعل له أعداء، [(٥)]

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (١/ ٨٥): "وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ظُهُورِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ، وَبَيَانِ حَقِيقَةِ أَنْبَاءِ الْمُرْسَلِينَ ظُهُورُ الْمُعَارِضِينَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ الْمُبِينِ... وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ إِذَا جُحِدَ وَعُورِضَ بِالشُّبُهَاتِ أَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِمَّا يُحِقُّ بِهِ الْحَقَّ، وَيُبْطِلُ بِهِ الْبَاطِلَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ بِمَا يُظْهِرُهُ مِنْ أَدِلَّةِ الْحَقِّ وَبَرَاهِينِهِ الْوَاضِحَةِ، وَفَسَادِ مَا عَارَضَهُ مِنَ الْحُجَجِ الدَّاحِضَةِ."
قال الشيخ ابن عثيمين في تقريب التدمرية (ص/ ١٠): "ولما كان من حكمة الله البالغة أن يجعل للحق معارضين يتبين بمعارضتهم صواب الحق وظهوره على الباطل، فإن خالص الذهب لا يظهر إلا بعرضه على النار، قبض الله جل وعلا بقدرته التامة ولطفه الواسع وقهره الغالب من يدحض حجج هؤلاء المعارضين ويبين زيف شبههم".

(٢) الحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، والله هو الحكيم والحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئا إلا لحكمة، ولا أمر بشيء إلا لحكمة.
انظر تفسير السِّعدي (ص/ ٤٨).

(٣) وهكذا كل داعٍ يدعو بدعوة رسل الله لا بدّ أن يؤذى، ولابد أن ينتصب له أعداء ويزخرفون الأقوال ويزينونَها لمن قلّ نصيبهم من العلم وقل حظهم من التوفيق؛ فيصرفون الناس عن دعوة الحق وعن دعوة الخير عامة كما هو حاصل من المشركين. انظر التعليقات المباركات على كشف الشبهات (ص/ ٥٦).

(٤) يقصد به توحيد الألوهية. انظر التوضيح والتتمات (ص/ ١١٥).

(٥) إلا قَيَّض له أعداء قصدُهم الإغواء والصَّدْف عن دين الله، والأعداء جمع عدو، وضابطه: هو ما يسره ما يسوءك، ويسوءه ما يسرك. قال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران (١٢٠)].
وذكر الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن (ص/ ٥٥٣): أنَّ العدوَّ ضربان:
أحدهما: بقصد من المُعَادِي نحو: ﴿فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ [النساء/ ٩٢] ﴿جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان/ ٣١]، وفي أخرى: ﴿عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام/ ١١٢].
=

كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[سورة الأنعام:١١٢]. (١)

= والثاني: لا بقصده بل تعرض له حالة يتأذّى بها كما يتأذّى ممّا يكون من العِدَى، نحو قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ﴾ [الشعراء/ ٧٧]. انظر التوضيح والتتمات (ص/ ١١٥). وشرح الكشف للشيخ ابن إبراهيم (ص/ ٤٣). وشرح الشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ١٥١).

(١) قَالَ أَبُو جَعْفَر الطبري في تفسيره (٩/ ٤٩٧): "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُسَلِّيَهُ بِذَلِكَ عَمَّا لَقِيَ مِنْ كَفَرَةِ قَوْمِهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَحَاثًّا لَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَا نَالَ فِيهِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ يَقُولُ: وَكَمَا ابْتَلَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ بِأَنْ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ أَعْدَاءً شَيَاطِينَ ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ لِيَصُدُّوهُمْ بِمُجَادَلَتِهِمْ إِيَّاكَ بِذَلِكَ عَنِ اتِّبَاعِكَ وَالْإِيمَانِ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، كَذَلِكَ ابْتَلَيْنَا مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، بِأَنْ جَعَلْنَا لَهُمْ أَعْدَاءً مِنْ قَوْمِهِمْ يُؤْذُونَهُمْ بِالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، يَقُولُ: فَهَذَا الَّذِي امْتَحَنْتُكَ بِهِ لَمْ تُخَصَّصْ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدَكَ، بَلْ قَدْ عَمَّمْتُهُمْ بِذَلِكَ مَعَكَ لِأَبْتَلِيَهُمْ وَأَخْتَبِرَهُمْ مَعَ قُدْرَتِي عَلَى مَنْعِ مَنْ آذَاهُمْ مِنْ إِيذَائِهِمْ، فَلَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا لِأَعْرِفَ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، يَقُولُ: فَاصْبِرْ أَنْتَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي: أَنَّهُ يُلْقِي الْمُلْقِي مِنْهُمُ الْقَوْلَ الَّذِي زَيَّنَهُ وَحَسَّنَهُ بِالْبَاطِلِ إِلَى صَاحِبِهِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ فَيَضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ".

قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (٢/ ٤٣٧): " فذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمر الأنبياء بما يزخرفه بعضهم لبعض من القول فيغتر به الأغمار وضعفاء العقول، فذكر السبب الفاعل والقابل، ثم ذكر سبحانه انفعال هذه النفوس الجاهلة به بصغوها وميلها إليه ورضاها به لما كسي من الزخرف الذي يغر السامع، فلما أصغت إليه ورضيته اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قولا وعملا، فتأمل هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنى العظيم القدر الذي فيه بيان أصول الباطل، والتنبيه على مواقع الحذر منها وعدم الاغترار بها. وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كسوها من العبارات، وتخيروا لها من الألفاظ الرائقة ما يسرع إلى قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة، وأكثر الخلق كذلك، حتى إن الفجار ليسمون أعظم أنواع الفجور بأسماء لا ينبو عنها السمع، ويميل إليها الطبع، فيسمون أم الخبائث أم الأفراح، ويسمون اللقمة الملعونة لقيمة الذكر والفكر، التي تثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، ويسمون مجالس الفجور والفسوق مجالس الطيبة، حتى إن بعضهم لما عذل عن شيء من ذلك قال لعاذله: ترك المعاصي والتخوف منها إساءة ظن برحمة الله، وجرأة على سعة عفوه =

وقد يكون لأعداء التَّوحيد علومٌ كثيرة [١] وكتبٌ [٢] وحججٌ [٣].

ومغفرته، فانظر ماذا تفعل هذه الكلمة في قلب ممتلئ بالشهوات، ضعيف العلم والبصيرة." وانظر مجموع الفتاوى (٩/ ٣٣) (١٨/ ٥٦).

(١) أي: لغويَّة، وغيرها، وقد يوحد منهم علماء، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء (١٩٧)].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن وهو يرد على بعض الناس الذين احتجوا بخالد الأزهري: "وأما ما ذكره عن خالد الأزهري، فخالد وما خالد؟ أغرك منه كونه شرح التوضيح، والآجرومية في النحو؟ وهذا لا يمنع كونه جاهلا بالتوحيد، الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه، ممن لهم تصانيف في المعقول، كالفخر الرازي، وأبي معشر البلخي، ونحوهما ممن غلط في التوحيد. وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوي وغيره، فما أنكر ذلك في شيء من كتبه، ولا نقل عنه أحد إنكاره.". انظر شرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٤) والدرر السنية (١١/ ١٥٠).

(٢) يرجعون إليها. شرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٥).

(٣) يعني هي حجج عند القائل بها، بمعنى أن عندهم آيات وأحاديث يستدلون بها على باطلهم، ولكنها عند التحقيق مثل السراب عند المناظرة تبين أنها لا شيء ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ عند الحاجة إليه. وهي في الحقيقة شبه وليست حججا؛ ولذلك قال عنها الخطابي:

حجج تهافت كالزجاج تخالها ... حقاً وكل كاسر مكسور

قال بعض مشايخنا: لو قال المصنف شبه لكان أحسن، لأنه ما عندهم حجة.

قلت: إذا كان معنى الحجة ما يحتج به الشخص سواء كان باطلا أو حقا فلا اعتراض على كلام المصنف، وقد ورد في القرآن ما يدل على جواز ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الشورى:١٦].

قال ابن القيم:

ولهم نصوص قصروا في فهمها ... فأتوا من التقصير في العرفان

قال شيخ الإسلام: "لَا رَيْبَ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَقُومُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ لَا عَقْلِيٌّ وَلَا شَرْعِيٌّ؛ سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْخَبَرِيَّاتِ أَوِ الطَّلَبِيَّاتِ. فَإِنَّ الدَّلِيلَ الصَّحِيحَ يَسْتَلْزِمُ صِحَّةَ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، فَلَوْ قَامَ عَلَى الْبَاطِلِ دَلِيلٌ

كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [سورة غافر:٨٣]. [١]

= صَحِيحٌ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ حَقًّا مَعَ كَوْنِهِ بَاطِلًا، وَذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ؛ مِثْلَ كَوْنِ الشَّيْءِ مَوْجُودًا مَعْدُومًا. ".

وقال ابن القيم: "فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ إِلَّا الْحَقَّ ".

انظر شرح ابن إبراهيم (ص/ ٦١) والجواب الصحيح (٥/ ١١٧) وإعلام الموقعين (٢/ ١٢٢).

(١) قال البسام في حاشيته على كشف الشبهات (ص/ ١٤): "أي: فرح هؤلاء المعاندون للرسل بما حصلوه من علوم دنيوية، واستكبروا على العلوم التي تأتي بها رسلهم من عند الله، وما أشبه الليلة بالبارحة، فإن ما نراه من بعض شباب هذا العصر من افتخار بما تعلموه من لغات أجنبيَّة، وبعض علوم طبيعيَّة ورياضية لا تعدو أن تكون وسيلة الكسب، ومع هذا يتعالون بها على العلوم الشَّرعيَّة، التي جاءت لسعادة الإنسانية في دينها ودنياها، إن ذلك يجعلنا أن نقرن حالهم بحال أولئك المجادلين للرسل، هدانا الله جميعا لما فيه صلاح ديننا ودنيانا."

ضَرُورَة التّسلّح بالعِلم لردِّ شُبَه المُعَانِدِين [١]

إذا عرفت ذلك [٢] وعرفت أن الطريق إلى الله [٣] لا بدَّ له من أعداء قاعدين عليه [٤] ...

(١) قال عبد الرحمن بن حسن كما في الدرر السنيَّة (١٤/ ١٢٧): "فالذي أوصيكم به: اصدقوا مع الله، وتعلموا من العلم ما ينجيكم من شبهات أهل الشك والريب، فبالعلم واليقين تدفع الشبهات، ولله الحمد على بقاء طائفة الحق، تدعو من ضل إلى الهدى، وتصبر منهم على الأذى."

(٢) أي: أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها الحق بالباطل فعليك أن تستعد لهم. شرح ابن عثيمين (ص/ ٦٦).

(٣) وهو الإيمان بالله وتوحيده ورسوله واتِّبَاع الْكتاب وَالسّنة قولا وفعلا وعقدا وَنِيَّة، هذا هو الطريق الذي يوصل إلى الله، وعنوانه: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)، وأساسه هو الصدق، والإخلاص.

قال ابن القيم: "وَلِهَذَا كَانَتِ الطَّرِيقُ كُلُّهَا فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَهِيَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: الطَّرِيقُ فِي: إِيَّاكَ أُرِيدُ بِمَا تُرِيدُ، فَجَمَعَ الْمُرَادَ فِي وَاحِدٍ، وَالْإِرَادَةَ فِي مُرَادِهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، فَإِلَى هَذَا دَعَتِ الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَإِلَيْهِ شَخَصَ الْعَامِلُونَ، وَتَوَجَّهَ الْمُتَوَجِّهُونَ، وَكُلُّ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ - مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا - مُنْدَرِجَةٌ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ، وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ وَمُوجِبَاتِهِ."

انظر الاستقامة (١/ ١١٠) ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨) (٢٠/ ٧٧) ومدارج السَّالكين (٣/ ٤٠٩).

(٤) على: للاستعلاء، وقعودهم عليه قعودٌ أصلي ملازم، بدلالة كلمة (عليه) بمعنى أن عداونهم ليست طارئة، وإنَّما أصلية متمكنة، وهذا فائدة التعبير بالقعود. التوضيح والتتمات (ص/ ١١٨).

...أهل فصاحة [(١)] وعلم وحجج، [(٢)] فالواجب عليك [(٣)] أن تتعلَّم من دين الله ما يصير سلاحا لك [(٤)] ....

---

(١) المراد بفصاحة الكلام تكونه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتآلفها،، ويسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعاني. انظر جواهر البلاغة للهاشمي (ص/ ٣٢).

(٢) على باطلهم؛ ولكنها ليست من الحجج الموروثة عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما هي منامات وأكاذيب إذا جاء عند التحصيل فإذا هي تخونهم أحوجَ ما يكونون إليها. شرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٦).

(٣) أي: الواجب العيني عليك حين وجود هذه الحالة، أن تعرف ما سيأتي، أو على الذين يتعرضون للرد عليهم.

(٤) أي: قوَّة تكون عدة لك، في مثل تلك الحالة. ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

قال الحافظ في الفتح (٣/ ٣٥٨): "قَوْلُهُ (سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ) هِيَ كَالتَّوْطِئَةِ لِلْوَصِيَّةِ لِتُسْتَجْمَعَ هِمَّتُهُ عَلَيْهَا لِكَوْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَهْلَ عِلْمٍ فِي الْجُمْلَةِ فَلَا تَكُونُ الْعِنَايَةُ فِي مُخَاطَبَتِهِمْ كَمُخَاطَبَةِ الْجُهَّالِ مِنْ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ."

وقال القرطبي: "وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم، ويعد الأدلة لامتحانهم، لأنهم أهل علم سابق، بخلاف المشركين وعبدة الأوثان."

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: "قلت: وفيه أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، والتنبيه على أنه ينبغي للإنسان أن يكون على بصيرة في دينه، لئلا يبتلى بمن يورد عليه شبهة من علماء المشركين، ففيه التنبيه على الاحتراز من الشبه، والحرص على طلب العلم."

انظر تيسير العزيز الحميد (ص/ ٩٦) وشرح كشف الشبهات لابن حميد (ص/ ٣٧).

...تقاتل به هؤلاء الشياطين [(١)] الذين قال إمامهم ومقدَّمهم [(٢)] لربك عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [سورة الأعراف:١٦-١٧]. [(٣)]ولكن إذا أقبلت على الله تعالى [(٤)] وأصغيت إلى حجج الله وبيِّناته [(٥)]

---

(١) أشار إلى ما هو في الآية، من شياطين الانس والجن الذين هم أعداء للحق.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤/ ١٨٦): "وَالْإِنْسَانُ لَوْ أَنَّهُ يُنَاظِرُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ: لَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ مِنْ الْحُجَّةِ مَا يُبَيِّنُ بِهِ الْحَقَّ الَّذِي مَعَهُ وَالْبَاطِلَ الَّذِي مَعَهُمْ."

(٢) أي: الذي تقدَّمهم في الشيطنة، ومعاداة الحق ونصرة الباطل، وهو إبليس اللعين عليه لعائن الله.

(٣) قال السعدي في تفسيره (ص/ ٢٨٤): "أي: قال إبليس - لما أبلس وأيس من رحمة الله - ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: للخلق ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: لألزمن الصراط ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه.

﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم. ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازما ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدَّق ظنه فقال: ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ فإن القيام بالشكر من سلوك الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. وإنما نبهنا الله على ما قال وعزم على فعله، لنأخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا، ونحترز منه بعلمنا، بالطريق التي يأتي منها، ومداخله التي ينفذ منها، فله تعالى علينا بذلك، أكمل نعمة."

(٤) بقلبك وقالبك، وعلم منك اللجوء إليه والتبرِّي والتخلّي من الحول والقوة إلا به. شرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٧).

(٥) أي: تتأمل فيها وتسمعها. قال شيخ الإسلام: "ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره. ومن اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته، كالأسحار، وأدبار الصلوات والسجود، ونحو ذلك، أغناه عن كل دعاء مبتدع، في ذاته أو بعض صفاته. فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما يظن من البدع أنه خير بنوعه من السنن، فإنه من يَتَحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَهُ. ".انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٧٠) ومجموع الفتاوى (٣/ ٣١٤).

فلا تخَف ولا تحزن [١] ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [سورة النساء:٧٦].[٢]

---

(١) أي: من الأعداء القاعدين لك على الصراط المستقيم؛ فعندك ما يحصنك من هذا؛ فالخوف عليك عندما تُعرِض عن حجج الله وبيناته، الخوف والحزن عليك من جهة نفسك ألا تُقبِل ولا تصغي. شرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٧).

(٢) يَعْنِي بِكَيْدِهِ: مَا كَادَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَحْزِيبِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ بِاللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ. يَقُولُ: فَلَا تَهَابُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّمَا هُمْ حِزْبُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ أَهْلُ وَهَنٍ وَضَعْفٍ. انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٢٩).

والعامِّي [(١)] من الموحِّدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين [(٢)] كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [سورة الصافات:١٧٣] [(٣)].

(١) أي: رجل عامي واحد يجالس العلماء ويتفقه على أيديهم ليس من المتبحرين في العلم لكنه جالس العلماء، وسمع القرآن، وسأل عن معانيه، وبحث عن السنة، وعرف الواجب من أحكام إسلامه وتوحيده. قال الشيخ البراك: "وليس المراد العامي الجاهل الساذج، وإنما المراد العامي الذي عنده بصيرة وفقه في دينه، فإن بعض العوام عنده من البصيرة ما يفحم به أهل الباطل".

قال أبو بكر الجصاص في الفصول في الأصول (٣/ ٣٧٥): "الْعَامِّيُّ الْغُفْلُ الَّذِي لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ طَلَبُ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ، يَفْزَعُ إلَى النَّظَرِ وَاسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ فِيمَا يَنُوبُهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ، كَمَا يَفْزَعُ إلَى الْحِسِّ فِيمَا طَرِيقُ مَعْرِفَتِهِ الْحِسُّ، وَإِلَى الْخَبَرِ فِيمَا (طَرِيقُ مَعْرِفَتِهِ) الْخَبَرُ."

انظر التعليقات المباركات للمدخلي (ص/ ٦١). وشرح كشف الشبهات للبراك (ص/ ٣٣).

(٢) لأن حججهم أوهى من بيت العنكبوت، فهم ليسوا على بيِّنة، وليس عندهم حجج على باطلهم. قاله ابن حميد. قال العلامة بن إبراهيم: "لأن حجج المشركين ترهات وأباطيل ومنامات كاذبة، وما كان معهم من الحق فهو رد في الحقيقة عليهم".

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: "وهذا صحيح؛ فإن عند العوام الذين علموا مسائل التوحيد، وأخذوها عن أهلها، عندهم من الحجج، ووضوح البينات في ذلك ما ليس عند بعض المتعلمين.".

ومن ذلك ما ذكره الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: "قد استدل بعض من يدعي العلم على مسألة تصرف الأولياء، وأنهم يُدعون بقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران : ١٦٩] فقال بعض عوام المسلمين : إن كانت القراءة يرزقون - بفتح الياء - فذلك متجه ، وإلا فالآية حجة عليك !؟ "

انظر شرح كشف الشبهات لابن حميد (ص/ ٣٨). تحفة الطالب والجليس (ص/ ٥٦) وشرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٨) والتَّمهيد لشرحِ كتاب التَّوحيد (ص/ ١٦٢).

(٣) يَقُولُ: وَإِنَّ حِزْبَنَا وَأَهْلَ وِلَايَتِنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ، يَقُولُ: لَهُمُ الظَّفَرُ وَالْفَلَاحُ عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِنَا وَالْخِلَافُ عَلَيْنَا. قاله الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٥٨).

فجند الله هم الغالبون بالحجَّة واللِّسان، [١] كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنان. [٢] وإنما الخوف على الموحِّد الذي يسلك الطريق [٣] وليس معه سلاح. [٤]

(١) أراد بجند الله هنا الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، وعملوا بما وهبهم من العلم النافع والعمل الصَّالح، وأصغوا إلى حجج الله وبيّناته، وأقبلوا على تعلم ذلك بصدق عزيمة، وإخلاص نيَّة، ودعوا الناس إلى ذلك، فإن نشر العلم النافع والدَّعوة إليه من الواجبات، ولو لم يطلب ذلك من الإنسان، كما ذكره المصنف في أول ثلاثة الأصول. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ١١).

(٢) أشار المؤلف رحمه الله إلى أن جند الله وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين: **الأول:** الحجة والبيان وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان.

الثاني: من يجاهد بالسيف والسنان وهو الرماح، وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم. قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٧٠): "فقوام الدّين بِالْعلمِ وَالْجهَاد وَلِهَذَا كَانَ الْجِهَاد نَوْعَيْنِ: جِهَاد بِالْيَدِ والسنان وَهَذَا المشارك فِيهِ كثير. وَالثَّانِي: الْجِهَاد بِالْحجَّةِ وَالْبَيَان وَهَذَا جِهَاد الْخَاصَّة من اتِّبَاع الرُّسُل وَهُوَ جِهَاد الائمة وَهُوَ أفضل الجهادين لعظم منفعَته وَشدَّة مُؤْنَته وَكَثْرَة اعدائه."

قال ابن عبد البر رحمه الله:

ومـــدار مـــا تجـــري بـــه أقلامهـــم ... أزكـــى وأفضـــل مـــن دم الشـــهداء
يـــا طـــالبي علـــم النبـــي محمـــد ... مـــا أنـــتم وســـواكم بســـواء

انظر شرح ابن عثيمين على الكشف (ص/ ٦٩). جامع بيان العلم لابن عبد البر (١/ ٣١)

(٣) لأنه ليس له علم يتسلح به فيخشى أن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات ويفحم به الخصم. انظر شرح ابن عثيمين (ص/ ٧٠).

(٤) أي: سلاح من العلم يدفع به عن قلبه، ويحفظ بها دينه. انظر شرح الكشف للعصيمي (ص/ ٣٧).

القُرآنُ ينقضُ جَمِيعُ الشُّبَه [١]

وقد منَّ الله (*) تعالى علينا بكتابه (٢) الذي جعله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [سورة النحل:٨٩]. (٣)

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقُضُها (٤) ...

(١) قال ابن تيمية: "قَاعِدَةٌ شَرِيفَةٌ: وَهِيَ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَحْتَجُّ بِهِ الْمُبْطِلُ مِنْ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ إنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الْحَقِّ؛ لَا تَدُلُّ عَلَى قَوْلِ الْمُبْطِلِ. وَهَذَا ظَاهِرٌ يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ؛ فَإِنَّ الدَّلِيلَ الصَّحِيحَ لَا يَدُلُّ إلَّا عَلَى حَقٍّ لَا عَلَى بَاطِلٍ. يَبْقَى الْكَلَامُ فِي أَعْيَانِ الْأَدِلَّةِ وَبَيَانِ انْتِفَاءِ دَلَالَتِهَا عَلَى الْبَاطِلِ وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْحَقِّ: هُوَ تَفْصِيلُ هَذَا الْإِجْمَالِ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا شَيْءٌ آخَرُ وَهُوَ: أَنَّ نَفْسَ الدَّلِيلِ الَّذِي يَحْتَجُّ بِهِ الْمُبْطِلُ هُوَ بِعَيْنِهِ إذَا أُعْطِيَ حَقَّهُ وَتَمَيَّزَ مَا فِيهِ مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَبَيْنَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ الْمُبْطِلِ الْمُحْتَجِّ بِهِ فِي نَفْسِ مَا احْتَجَّ بِهِ عَلَيْهِ وَهَذَا عَجِيبٌ قَدْ تَأَمَّلْته فِيمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ فَوَجَدْته كَذَلِكَ." انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٢٨٨).

(*)أي: أنعم وأجاد.

(٢) الذي هو السِّلاح كلَّ السِّلاح الأعظم. شرح ابن إبراهيم (ص/ ٤٩).

(٣) قال الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٣): "يَقُولُ: نَزَّلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ بَيَانًا لِكُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ يَقُولُ: وَبِشَارَةً لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَخَضَعَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَذْعَنَ لَهُ بِالطَّاعَةِ، يُبَشِّرُهُ بِجَزِيلِ ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَظِيمِ كَرَامَتِهِ."

(٤) أي: يبطلها، ويردها، وروى الخلال في سننه (٣/ ٥٤٦) عن الإمام أحمد أنه قال: "وَلَوْ تَدَبَّرَ إِنْسَانٌ الْقُرْآنَ كَانَ فِيهِ مَا يَرُدُّ عَلَى كُلِّ مُبْتَدِعٍ بِدْعَتَهُ".
قال شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٥٦): "فالقرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها دقيقها وجليلها كما قال الشعبي: "ما ابتدع أحد بدعه إلا وفي كتاب الله بيانها" وقال مسروق: "ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن قصر عنه."

... ويبيِّن بطلانها[١] كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٣]. [٢]

قال بعض المفسرين: [٣] "هذه الآية عامة في كل حجَّة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة". [٤]

---

(١) قال ابن تيمية: "أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله." نقله عنه ابن القيم في حادي الأرواح (ص/ ٢٩٣).

(٢) أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَأْتُونَهُ بِقِيَاسٍ عَقْلِيٍّ لِبَاطِلِهِمْ إلَّا جَاءَهُ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَجَاءَهُ مِنْ الْبَيَانِ وَالدَّلِيلِ وَضَرْبِ الْمَثَلِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ تَفْسِيرًا وَكَشْفًا وَإِيضَاحًا لِلْحَقِّ مِنْ قِيَاسِهِمْ.
قال ابن كثير: "أَيْ: وَلَا يَقُولُونَ قَوْلًا يُعَارِضُونَ بِهِ الْحَقَّ، إِلَّا أَجَبْنَاهُمْ بِمَا هُوَ الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَأَبْيَنُ وَأَوْضَحُ وَأَفْصَحُ مِنْ مَقَالَتِهِمْ."
وقال أبو حيان: "وَقِيلَ: وَلا يَأْتُونَكَ بِشُبْهَةٍ فِي إِبْطَالِ أَمْرِكَ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ الَّذِي يَدْحَضُ شُبْهَةَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَيُبْطِلُ كَلَامَ أَهْلِ الزَّيْغِ، وَالْمُفَضَّلُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ أَيْ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً مِنْ مَثَلِهِمْ".

انظر مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٦) (١٢/ ٨١) وتفسير ابن كثير (٦/ ٩٩) والبحر المحيط (٨/ ١٠٤).

(٣) لم أقف على قائل هذه المقولة من المفسرين بعد بحث طويل، وربما عبَّرها بالمعنى، وفي بعض هوامش الكتاب: قال بعض السَّلف، فظاهر هذه العبارة أنها مقولة لبعض السلف، وليست للمفسِّرين، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٤) قال ابن القيم في الصواعق (١/ ٢٣٠): " فالحق: هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب، والتفسير الأحسن: هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق فهي تفسيره وبيانه."
قال السعدي: "وكل من حاول أن يأتي بكلام يعارض به ما جاء به الرسول صار كلامه ضحكة للصبيان فضلا عن أهل النظر والعقول، وكل شبهة يدلون بها في معارضة الرسول من حين يوجه لها النظر الصحيح تضمحل وتزهق، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]". تفسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ص/ ٣٥).

بَيَان مَوضُوعِ الكِتَاب [١]

وأنا أذكر لك أشياء [(٢)] مما ذكر الله في كتابه [(٣)] جوابا لكلام احتجَّ به المشركون في زماننا علينا [(٤)].

فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: [(٥)]مجمل، [(٦)] ...

---

(١) قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في شرحه على الكشف (٥٠-٥١): "هذا فيه بيان موضوع الكتاب وما صُنِّف فيه؛ فهو في رد شُبَهٍ شَبَّه بها بعض المشركين على توحيد العبادة؛ فإن الشيخ رحمه الله لما تصدى للدعوة إلى الله وبيَّن ما عليه الكثير من الشرك الأكبر تصدى بعض الجهال بالتشبيه على جهالٍ مثلهم، وزعموا أن المصنف رحمه الله يكفِّر المسلمين، وحاشاه ذلك؛ بل لا يكفر إلا من عمل مكفراً وقامت عليه الحجة فإنه يكفره. فقصد كشف تلك الشُبه المشبهة على الجهال وردّها وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت لكن تشوش عليهم. وقدم المصنف رحمه مقدمة نافعة في بيان حقيقة دين المرسلين وما دعوا إليه وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؛ ليعلم الإنسان حقيقة دين المرسلين عند ورود الشبهة، ويعلم من هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، وبيَّن أن مشركي زمانه هم أتباع دين المشركين."

(٢) أراد رحمه الله أن يبيّن أشياء من حال أعداء الله ورسله القاعدين بالطريق الموصلة إلى معرفة دين الله ليصدوا عنه النَّاس. حاشية ابن مانع كشف الشبهات (ص/ ١٢).

(٣) أي: في القرآن ردا على شبه المشركين.

(٤) أي: في زمان المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب وأصحابه.

(٥) لأن الرد عليهم إما أن يكون مجملا عاما لا يختص بشبهة بعينها، أو مفصلا يوضح كل شبهة، ويكشف زيفها وفسادها. انظر شرح البراك (ص/ ٣٧).

(٦) المجمل لغة من (أجمل إجمالا) وهو التعميم والإطلاق، والمراد به هنا ما يصلح أن يكون جوابا لجميع الشبهات، أي: ينفع في الإجابة على كل شُبهة يوردها المجادل. وهو استدلال عام وبرهان عام يصلح للعالم المتبصر ولغيره. قال العصيمي: "والمراد به القاعدة الكلية التي ترد إليها تفاصيل المسائل المشتبهة."

=

... ومفصل.[١]

أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها،[٢] وذلك تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ [سورة آل عمران:٧].[٣]

= انظر شرح كشف الشبهات لابن باز (ص/ ٣٦). شرح العصيمي (ص/ ٤٢) وشرح صالح آل الشيخ (ص/ ١٧١).

(١) من (فصل) الشَّيْء جعله فصولا متميزة مُسْتَقلَّة، وَالْأَمر بَينه، وفي القرآن: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة الأنعام:١٢٦]. والمراد بها ما يصلح أن يكون جوابا لشبهة معيَّنة، أي: البرهان والدليل لإبطال كلِّ شبهة وحدها على وجه التفصيل.

قال العصيمي: "والمراد به الجواب عن كلِّ شبهة على حدة". شرح العصيمي (ص/ ٤٢) وشرح آل الشيخ (ص/ ١٧١).

(٢) أي: فهمها وعرفها، أما من كانت تجري على لسانه فقط، فإن هذا الجواب لا يكون له حجة. انظر شرح ابن إبراهيم (ص/ ٥١).

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤): "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أَيْ: بَيِّنَاتٌ وَاضِحَاتُ الدلالة لا التباس فيها على أحد، وَمِنْهُ آيَاتٌ أُخَرُ فِيهَا اشْتِبَاهٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ بَعْضِهِمْ، فَمَنْ رد ما اشتبه إِلَى الْوَاضِحِ مِنْهُ وَحَكَّمَ مُحْكَمَهُ عَلَى مُتَشَابِهِهِ عِنْدَهُ فَقَدِ اهْتَدَى وَمَنْ عَكَسَ انْعَكَسَ وَلِهَذَا قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ﴾ أَيْ: أَصْلُهُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ عِنْدَ الِاشْتِبَاهِ {وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ} أَيْ تَحْتَمِلُ دَلَالَتُهَا مُوَافَقَةَ الْمُحْكَمِ، وَقَدْ تَحْتَمِلُ شَيْئًا آخَرَ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ وَالتَّرْكِيبِ لَا مِنْ حَيْثُ الْمُرَادِ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أَيْ ضَلَالٌ وَخُرُوجٌ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ﴾ أَيْ إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ بِالْمُتَشَابِهِ الَّذِي يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُحَرِّفُوهُ إِلَى مَقَاصِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَيُنْزِلُوهُ عَلَيْهَا لِاحْتِمَالِ لَفْظِهِ لِمَا يَصْرِفُونَهُ فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَلَا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا =

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أَنَّه قال: [(١)] «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ». [(٢)]

= قال الله تعالى: ﴿ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أَيِ الْإِضْلَالِ لِأَتْبَاعِهِمْ إِيهَامًا لَهُمْ أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ. وقوله تعالى: ﴿وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أَيْ تَحْرِيفِهِ عَلَى مَا يُرِيدُونَ."

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: "الآيات المحكمات تعبَّد الله الخلقَ بالعلم بها، والعمل بها والإيمان بها. هذا هو حكم المحكم: **الأول:** الإيمان به أنه من عند الله. **الثاني:** معرفة معانيه. **الثالث:** العمل به.

والمتشابهات في الدلالة، ليس دلالتها واضحة مثل المحكمات. وحكمها:

أولاً: الإيمان بها أنها من عند الله أنزلها على العباد ليؤمنوا بها.

والثاني: ألا تفسر بما يخالفِ المحكم بل تُرد إلى الأم وهو المحكم وتفسَّر به."

انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٥٢).

فائدة: قال العلامة ابن عثيمين: "والمحكم الذي اتضح معناه وتبين، والمتشابه هو الذي يخفى معناه، فلا يعلمه الناس، وهذا إذا جمع بين المحكم والمتشابه، وأما إذا ذكر المحكم مفردا دون المتشابه فمعناه المتقن الذي ليس فيه خلل: لا كذب في أخباره، ولا جور في أحكامه، قال تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ ، [الأنعام: من الآية١١٥] ، وقد ذكر الله الإحكام في القرآن دون المتشابه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ، [يونس:١] ، وقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه﴾ ، [هود: من الآية١] . وإذا ذكر المتشابه دون المحكم؛ صار المعنى أنه يشبه بعضه بعضا في جودته وكماله، ويصدق بعضه بعضا ولا يتناقض، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]." انظر القول المفيد (٢/ ١٩٥).

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٤٧) ومسلم برقم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٢١٨): " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ التَّحْذِيرُ مِنْ مُخَالَطَةِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ، وَمَنْ يَتَّبِعُ الْمُشْكِلَاتِ لِلْفِتْنَةِ، فَأَمَّا مَنْ سَأَلَ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا لِلِاسْتِرْشَادِ وَتَلَطَّفَ فِي ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ، وَجَوَابُهُ وَاجِبٌ، وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَلَا يُجَابُ، بَلْ يُزْجَرُ وَيُعَزَّرُ كَمَا عَزَّرَ عُمَرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صبيغ بن عسل حِينَ كَانَ يَتْبَعُ الْمُتَشَابِهَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

قال البغوي: "قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم". شرح السنة (١/ ٢٢٧).

مِثَالٌ عَلَى الجَوابِ المجمَل [١]

مثال ذلك [(٢)] إذا قال بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [سورة يونس:٦٢].. [(٣)] أو إن الشَّفَاعة حقٌّ. [(٤)]

أو إن الأنبياء لهم جاه عند الله. [(٥)]

---

(١) قال السعدي: "الأمثلة تزيد البصير بصيرة، وتزيل عن الشاك الطالب للحق الريب والحيرة."
وقال أيضا: "كثرة الأمثلة توضح المعاني وتصور المقالات القبيحة بأشنع صورة."
انظر الدرة البهية شرح القصيدة التائية لابن تيمية (ص/ ٥٤) و(ص/ ٨١).

(٢) يعني مثل احتجاج المشركين بالمتشابه. والجواب عن ذلك بالجواب المجمل. شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٥٤).

(٣) قال السعدي في تفسيره (ص/ ٣٦٨): "يخبر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فقال: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال. ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.
ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي. فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله [تعالى] وليًا."

(٤) وواقعةٌ، وإذا كانت حقاً فهي تُطلَب من الأموات ونحوهم، فيهتف باسمه ويقول: يا فلان، اشفع لي، هذا مراده. انظر شرح الكشف للشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ٥٤).

(٥) ومراد المشرك من هذا الكلام أنَّ الله جلَّ وعلا أثنى عليهم، مع ما لهم من الشفاعة والجاه، وهذا دليل على جواز دعائهم، وطلب الشفاعة منهم.
وهذه في الحقيقة شبهة واهية، ليس لها رواج في سوق الحق والعدل، إذ أنه ليس في الثناء عليهم في هذه الآية تجويز دعائهم والاستغاثة بهم، والتوكل عليهم، فليس فيها شيء من ذلك ألبتة، وإنما هي بيان لحالهم، وما لهم عند الله ليس غير. الكلمات الواضحات (ص/ ١٠٢).

أو ذكر كلاما للنبي ﷺ يستدلّ به على شيء من باطله [١] وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره. [٢]

فجاوبه بقولك: [٣] إن الله ذكر لنا في كتابه أنَّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتَّبعون المتشابه. [٤] وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية [٥] وأنَّه كفَّرهم بتعلُّقهم على الملائكة أوالأنبياء أوالأولياء، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة يونس:١٨] هذا أمر [٦] محكم بيِّن،

---

(١) كقولهم: إن النبي ﷺ قَالَ "إِذَا أَعْيَتْكُمْ الْأُمُورُ فَعَلَيْكُمْ بِأَهْلِ الْقُبُورِ أَوْ فَاسْتَعِينُوا بِأَهْلِ الْقُبُورِ".

قال شيخ الإسلام: "فَهَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ مُفْتَرًى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِإِجْمَاعِ الْعَارِفِينَ بِحَدِيثِهِ لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ بِذَلِكَ وَلَا يُوجَدُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ الْمُعْتَمَدَةِ." انظر مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٦) (١١/ ٢٩٣).

(٢) يعني لا تفهم أنه يدل على مقصوده وتفهم وتعتقد أن هذه أمور باطلة. **وفيه** أنك إن كنت تفهم ما يقول فجاوبه بالجواب المفصل، وإن كنت لا تفهم فجاوبه بالجواب المجمل؛ فالجواب المجمل لا يصار إليه إلا في حالة الحاجة إليه في الرد على الخصم؛ وذلك إذا لم تفهم كلام الخصم والله أعلم. التوضيحات الكاشفات للهبدان (ص/ ١١٣). وشرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٥٤).

(٣) هذا الجواب مبني على قاعدتين: أ) رد المتشابه إلى المحكم الذي لا يرد عليه إشكال بوجه من الوجوه. ب) الثقة التامَّة بكلام الله ورسوله وبالعقيدة السَّلفيَّة. انظر الكلمات الواضحات للقصير (ص/ ١٠٤).

(٤) قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (٢/ ٧٧٢): "قسَّم الله سبحانه الأدلة السمعية إلى قسمين: محكم ومتشابه. وجعل المحكم أصلاً للمتشابه، وأمَّا له يرد إليه، فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يرد إلى المحكم، وقد اتفق المسلمون على هذا، وأن المحكم هو الأصل والمتشابه مردود عليه".

(٥) أي: بتوحيد الربوبيَّة.

(٦) يريد بذلك أمرين: **الأول:** أن المشركين الأولين مقرون بالربوبية. **الثاني:** وأنهم ما كانوا مشركين إلا بتعلقهم بالأولياء ونحوهم رجاء شفاعتهم وتقربهم إلى الله زلفى. فهذان الأمران محكمان لا يقدر أحد أن يغير معناهما. التوضيحات الكاشفات (ص/ ١١٤). وشرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٥٥).

لا يقدر أحد أن يغير معناه.[١]

وما ذكرتَ لي أيّها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه،[٢] ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض،[٣] وأن كلام النبيِّ ﷺ لا يخالف كلام الله.[٤]

---

(١) مضمون هذا الجواب أن القرآن قد دلَّ على أنَّ التعلق بالصالحين بالعبادة لهم، ويطلب شفاعتهم شرك وكفر، وهذا أصل ثابت في الشريعة، ولن يأتي ما يناقض ذلك، فكل ما يحتج به على خلاف هذا الأصل فهو مدفوع وباطل. شرح البراك على الكشف (ص/ ٣٨).

(٢) أي: هذه النصوص التي أتيت بها، وقوله: (لا أعرف معناه) يحتمل أمرين:

أ) لا أعرف معناه الذي تدعيه وتذكره وتستدل به. ب) لا أعرف معناه الذي ذكره أهل العلم.

انظر شرح العصيمي على الكشف (ص/ ٤٤). وشرح ابن عثيمين (ص/ ٧٨)

(٣) أي: لا يعارض بعضه بعضا. قال شيخ الإسلام: "وِممَّا يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ " أَدِلَّةَ الْحَقِّ لَا تَتَنَاقَضُ " فَلَا يَجُوزُ إذَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ سَوَاءٌ كَانَ الْخَبَرُ إثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا أَنْ يَكُونَ فِي إخْبَارِهِ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ الْخَبَرَ الْأَوَّلَ، وَلَا يَكُونُ فِيمَا يُعْقَلُ بِدُونِ الْخَبَرِ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ الْخَبَرَ الْمَعْقُولَ؛ فَالْأَدِلَّةُ الْمُقْتَضِيَةُ لِلْعِلْمِ لَا يَجُوزُ أَنْ تَتَنَاقَضَ، سَوَاءٌ كَانَ الدَّلِيلَانِ سَمْعِيَّيْنِ أَوْ عَقْلِيَّيْنِ، أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا سَمْعِيًّا وَالْآخَرُ عَقْلِيًّا، وَلَكِنَّ التَّنَاقُضَ قَدْ يَكُونُ فِيمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ دَلِيلًا وَلَيْسَ بِدَلِيل."

وقال ابن القيم في المدارج (٢/ ٣١٩): "وَهَكَذَا الْوَاقِعُ فِي الْوَاقِعِ حَقِيقَةً: أَنَّهُ مَا اتَّهَمَ أَحَدٌ دَلِيلًا لِلدِّينِ إِلَّا وَكَانَ الْمُتَّهِمُ هُوَ الْفَاسِدَ الذِّهْنِ. الْمَأْفُونَ فِي عَقْلِهِ، وَذِهْنِهِ. فَالْآفَةُ مِنَ الذِّهْنِ الْعَلِيلِ. لَا فِي نَفْسِ الدَّلِيلِ.

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَدِلَّةِ الدِّينِ مَا يُشْكِلُ عَلَيْكَ، وَيَنْبُو فَهْمُكَ عَنْهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ وَشَرَفِهِ اسْتَعْصَى عَلَيْكَ، وَأَنَّ تَحْتَهُ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْعِلْمِ. وَلَمْ تُؤْتَ مِفْتَاحَهُ بَعْدُ." انظر الجواب الصحيح (١/ ٣٧٩) ومجموع الفتاوى (٦/ ٤١٥).

(٤) قال ابن القيم في مختصر الصواعق (ص/ ٦١٢): "وَنَحْنُ نَقُولُ قَوْلًا كُلِّيًّا نُشْهِدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتَهُ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُخَالِفُ الْقُرْآنَ وَلَا مَا يُخَالِفُ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ، بَلْ كَلَامُهُ بَيِّنٌ لِلْقُرْآنِ وَتَفْسِيرٌ لَهُ وَتَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَهُ."

وهذا [١] جواب جيِّد سديد، [٢] ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله، فلا تَستَهوِن به[٣] فإنه [٤] كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [سورة فصلت:٣٥]. [٥]

* * *

---

(١) أي: الجواب المجمل.

(٢) يعني قول الإنسان لخصمه أن كلام الله تعالى لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله، وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم، فهذا أجاب بجواب سديد أي ساد لمحله لا يمكن لأحد أن يناقضه، أو يرد عليه الصلاة والسلام ما ينقضه لأنه كلام محكم مبني على الدليلين: السمعي، والعقلي وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه. شرح ابن عثيمين (ص/ ٧٩).

(٣) يعني أن هذا الجواب لا يفهمه إلا من وفقه الله، فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات.
قال ابن القيم: "وَالتَّوْفِيقُ إِرَادَةُ اللَّهِ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَفْعَلَ بِعَبْدِهِ مَا يُصْلِحُ بِهِ الْعَبْدَ، بِأَنْ يَجْعَلَهُ قَادِرًا عَلَى فِعْلِ مَا يُرْضِيهِ، مُرِيدًا لَهُ، مُحِبًّا لَهُ، مُؤْثِرًا لَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَيُبَغِّضَ إِلَيْهِ مَا يُسْخِطُهُ، وَيُكَرِّهَهُ إِلَيْهِ." شرح ابن عثيمين (ص/ ٧٩). ومدارج السالكين (١/ ٤١٥).

(٤) نظير الخصلة التي هي الدفع بالتي أحسن. انظر شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٥٧).

(٥) قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٦٥): "أَيْ: وَمَا يقبل هذه الموصية وَيَعْمَلُ بِهَا إِلَّا مَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَشُقُّ عَلَى النُّفُوسِ ﴿وما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أَيْ: ذُو نَصِيبٍ وَافِرٍ من السعادة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ."

وأما الجواب المفصل:

فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، [١] يصدّون بها النَّاس عنه،[٢] منها:

الشُّبهَةُ الأُولَى وَالرَّدُّ عَلَيهَا [٣]

قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئا، [٤] بل نشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبِّر الأمر، إلا الله وَحدَه لا شريك له، [٥]

---

(١) مراد المصنف رحمه الله باعتراضات الأعداء: الشبهات التي يلقيها المشركون في زمنه لنفي الشرك عن أنفسهم مع أنهم يفعلون الشرك. التوضيحات الكاشفات للهبدان (ص/ ١١٦).

(٢) يصدون الناس بهذه الاعتراضات والشبهات عن التوحيد وفهمه.

(٣) مضمون هذه الشبهة أن الطلب من الأولياء على أنهم شفعاء ووسطاء لا يعتبر شركا، إذا كان لا يعتقد فيهم الربوبيَّة، ولا النفع والضر، ولا يُعتقد أنهم يُعطون من ذات أنفسهم، وإنما هم مجرد واسطة، ولهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بواسطتهم، حتى يقربوننا إلى الله، فهو يظن أنَّ التَّوحيد المطلوب كله هو الإقرار بالربوبيَّة. **مثال ذلك:** إذا جاء رجل عند قبر الرسول ﷺ، وقال: يا رسول اللّه اشفع لي عند اللّه، فعند أهل الباطل لا يسمى مشركا -من قال بهذا القول- بمجرد الطلب، حتى نسأل هذا السائل، ونقول : هل تعتقد أن الرسول ﷺ ينفع أو يضر أو تعتقد أنه يُعطي من ذات نفسه استقلالا ؟، فإذا قال : لا أعتقد ، بل النافع والضار هو اللّه ،لكن أطلب من الله بهم فأجعلهم واسطة لي فقط قالوا إذاً ليس دعاؤك هذا شركاً ، وليس ما فعلته شركاً، مادام أنك لا تعتقد فيه الربوبية أو النفع والضر. انظر التوضيح والتتمات (ص/ ١٣٦).

(٤) نفى الشرك عن نفسه بادئ ذي بدء، وهم قد وقعوا فيه لكن نَفَوه عن أنفسهم جهلاً وضلالاً. شرح ابن إبراهيم (ص/ ٥٨).

(٥) ثم أثبت لنفسه إقراره بالتوحيد، وهذا التوحيد الذي يراه هو توحيد الربوبية! فهو أثبت توحيد الربوبية، وفرَّ من توحيد الألوهية الذي هو مدار الخلاف بيننا وبينه، فتأمَّل. التوضيحات الكاشفات للهبدان (ص/ ١١٨).

وأن محمدا ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًّا، (١) فضلًا عن عبد القادر (٢) أو غيره (٣). ولكن أنا مذنب، (٤)

(١) فمن باب أولى أنه لا يملك لي ولا لغيري، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٨].

(٢) هو الشيخ العالم محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي، إمام من أئمة الحنابلة القدماء، واعتقد الناس أنه ينفع ويضر، وتنسب إليه طريقة متصوفة، تسمى القادرية، وهو بريء منهم إن شاء الله. كما صرَّح المصنف كما في الدرر السنيَّة (١/ ٧٤-٧٥)، وقد ذكر بعض محاسنه عبد الرحمن بن حسن كما في الدرر السنيَّة (١١/ ٤٧٢-٤٢٩). وقد أنكر عليه بعض المسائل.

قال الذهبي: "وَفِي الجُمْلَة: الشَّيْخ عَبْد القَادِر كَبِيْرُ الشَّأْنِ، وَعَلَيْهِ مَآخذ فِي بَعْضِ أَقْوَالِه وَدَعَاويه، وَاللهُ المَوْعِدُ، وَبَعْضُ ذَلِكَ مَكْذُوْبٌ عَلَيْهِ."

قال ابن كثير في: "وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ، قَدَّسَ اللَّهُ رَوْحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ. كَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ثَامِنَ رَبِيعٍ الْآخَرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْمَدْرَسَةِ الَّتِي كَانَتْ لَهُ."

وقال عبد الرحمن بن حسن: "وله زهد وعبادة، وليس أفضل من الفضيل بن عياض، وبشر الحافي والجنيد، بل أهل العلم يعلمون أن هؤلاء أفضل منه، فهو فاضل بالنسبة إلى من دونه، مفضول بالنسبة إلى من ذكرنا من الأئمة قبله، وإن كان يذكر له كرامات الله أعلم بصحة ذلك، وما آفة الأخبار إلا رواتها، فإن صح منها شيء فكرامات الصحابة أعظم، كما وقع لعمر وعلى وغيرهما، فلم يعبدوا لأجل ما وقع لهم من الكرامات."

انظر الدرر السنية (١/ ٣٨٥) وتاريخ نجد للآلوسي (ص/ ٨) السير للذهبي (٢٠/ ٤٥١) والبداية والنهاية (١٦/ ٤١٩) وكشف ما ألقاه إبليس (ص/ ٢٦٢).

(٣) ممن له جاه ومنزلة ومقام كبير. شرح الكشف للشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ٥٩).

(٤) أي: لم أُؤَهَّل إلى الطلب من الجانب الأعلى. انظر شرح الكشف للشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ٥٩).

والصَّالحون لهم جاه عند الله، (١).

(١) أي: لهم منزلة ومكانة عند الله، بحيث يسمع لهم بخلاف غيرهم، وفي هذا إشارة إلى أنَّ سبب وقوع المشركين في طلب القربة والشفاعة أمور:

أ) ظنهم ألا أهليَّة عندهم لعبادة الله وحده، لكونهم أصحاب ذنوب ومعاصي.

ب) أن الأنبياء والملائكة والصالحين لهم جاه عند الله.

ت) قياسهم الفاسد، وهو أنهم جعلوا الله مثل ملوك الدنيا، فكما أنَّ للملك أقواما مقربين متوسطين بينه وبين الناس فكذلك الله بزعمهم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

والجواب عن الأوَّل أن يقال: هل ذنبكم أعظم من الكفر، فالله يقبل توبة الكافر المشرك، فمن باب أولى أنه يقبل توبة العاصي المذنب، لقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [سورة الأنفال:٣٨].

وقوله تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [سورة الزمر:٥٣].

وأما الجواب عن الثاني أن يقال: ليس في كونهم لهم منزلة وجاه ما يدل على جواز دعائهم والاستغاثة بهم، والتوكّل عليهم، فليس فيها شيء من ذلك ألبتة، وإنما هي بيان لحالهم، ومالهم عند الله ليس غير، وجاههم مقصور عليهم، وأصرح دليل لذلك ما أخرجه البخاري برقم (٢٧٥٣) ومسلم برقم (٢٠٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا».

وأما الجواب عن الثالث فهو أن يقال: إنّ الله جلَّ وعلا لا يحتاج إلى شيء من ذلك، وذلك لكمال علمه وقدرته ورحمته، فاللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ الأم بِوَلَدِهَا، وهو أرحم الرَّاحمين، وهو الذي يقوم بشؤون عباده، ويفرح إذا سألته، ويغضب إذا سألت غيره بشيء من خصائصه، وقياس الله على البشر تنقص لله جلَّ وعلا، وملوك الدنيا بحاجة إلى أن يقبلوا شفاعة الشافعين لأنهم بحاجة إلى الأعوان والوزراء، فلوا ردوا شفاعتهم لتنكروا عليهم وعادوهم. والحمد لله ربِّ العالمين.

=

وأطلب من الله بهم. [١]

فجاوبه بما تقدم [٢] **وهو: أن الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرتَ لي أيها المبطل.** [٣] **ومقرُّون أن أوثانهم لا تدبِّر شيئا،** [٤]

= انظر مجموع الفتاوى (١/ ١٥٠-١٥١) (١٤/ ٣٨٦) (١٥/ ٣٨١) (٢٧/ ٧٢-٧٤) ومدارج السالكين (١/ ٣٤١) ومصباح الظلام (ص/ ٢٨١-٢٨٣) والتبيان الألمع على القواعد الأربع (ص/ ٩٩) ودروس في شرح نواقض الإسلام (ص/ ٧٢).

(١) أي: بواسطتهم بأن يجعلهم وسائط بينه وبين الله، القريب المجيب، وهذا هو الذي عليه عبَّاد الأموات، وهو كفر بإجماع العلماء. كما تقدَّم.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "وقول هذا المشرك: (وأطلب من الله بهم)، أي: بواسطتهم. بمعنى أن هذا المشرك يدعوهم ويتوجه إليهم بالعبادات، وهم يدعو الله له، كما أخبر الله عن المشركين بقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]."

وقال العلامة المقريزي: "فمن اتخذ واسطةً بينه وبين الله - تعالى - فقد ظنّ به أقبح الظن، ومستحيل أن يشرعه لعباده، بل ذلك يمتنع في العقول والفطر.". حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ١٤) ومصباح الظلام (ص/ ٢٨٤) وتجريد التوحيد (ص/ ٣٣).

(٢) أي: بما تقدَّم من أنَّ المشركين في زمن النَّبي ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبيَّة، خلافا لتوحيد الألوهيَّة، فلم ينفعهم فهم مشركون.

(٣) أي: أنكم تقرون به من الخلق والرزق وغيره مما يتعلق بالربوبيَّة، ولكنَّ فعلكم واعتقادكم هذا مثل اعتقاد المشركين الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفَّرهم يطلبون من الله بواسطة الشفعاء مع أنهم كانوا لا يعتقدون فيهم أنهم ينفعون أو يضرون، إنَّما يعتقدون أن النافع والضار هو اللّه. التوضيح والتتمات (ص/ ١٣٧).

(٤) أي: هم معترفون بأنه ليس لمعبوداتهم من الأولياء والأصنام تصرف في الكون، بخلاف مشركي المتأخرين فإنهم يسندون التصرف في الكون من إحياء وإماتة وإعطاء الأولاد إلى بعض الأولياء كالشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره.

قال العلامة الجامي: "والفرق بين القوم في عهد الجاهليّة، واليوم أنه لا يوجد تصوُّف، فالتصوُّف هو الذي علَّم الناس في الآونة الأخيرة وجود أرباب يتصرفون في الكون مع الله، تنص كتب المتصوفة أو بعض كتبهم أنَّ الصَّالحين والأولياء مشغولون بالخدمة في حياتهم، وإذا ماتوا تفرغوا =

وإنما أرادوا ممن قصدوا [١] الجاه والشفاعة. [٢]

واقرأ عليه [٣] ما ذكره الله في كتابه [٤] ووضَّحَه. [٥]

= ليتصرفوا في هذا الكون لأتباعهم." انظر قرة عيون الموحدين (ص/ ١١٤) وشرح القواعد الأربع للعلامة الجامي (ص/ ٤٨).

(١) يعني الأصنام والأوثان والأولياء وغيرهم ممن قُصِدوا عبادة.

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص/ ٢٣٦): "والمقصود أن المشركين الأولين يدعون الملائكة والصالحين ليشفعوا لهم عند الله، كما تشهد به نصوص القرآن، وكتب التفسير والسير، والآثار طافحة بذلك."

(٣) أي: على هذا المشرك المجادل القائل بهذه المقولة.

(٤) أي من الآيات الدالة على كفر من دعا غير الله من الأنبياء والصالحين والأحجار والأشجار وغيرها؛ ولو كان مقرا بتوحيد الربوبيَّة.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "هذا بعينه هو قصد المشركين ومرادهم، وهو الذي دعاهم إلى عبادة الأنبياء والصالحين والتعلق عليهم لأجل الجاه والشفاعة.

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] [يونس: ١٨].

وأخبر تعالى عن قصدهم ومقالتهم، وأنكرها عليهم، وأخبر أنه لا يعلم وجود شفيع يشفع عنده لا في السماوات ولا في الأرض، وما لا يعلمه فهو مستحيل الوجود، فنزه نفسه عن هذا الشرك المنافي للعبودية التي هي الحكمة في إيجاد البرية.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨] [الأحقاف: ٢٨]. إذا ظهر هذا وعرفت أن كلام الشيخ متجه، لا غبار عليه". انظر مصباح الظلام (ص/ ٢٨١-٢٨٣) والتوضيحات الكاشفات (ص/ ١٢٠).

(٥) أي: فسِّر له الآيات.

والجواب عن هذه الشبهة يحصل بوجوه:

=

الشُّبهَةُ الثَّانِيةُ وَالرَّدُّ عَلَيهَا [١]

فإن قال: هؤلاء الآيات [(١)] نزلت فيمن يعبد الأصنام! [(٢)] كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ [(٣)] أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما؟ [(٤)]. فجاوبه بما تقدم. [(٥)]

= أ) بيان معنى توحيد الإلهية؛ لأن هذا ظنّ أن توحيد الإلهية هو أن يعتقد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له.

ب) بيان أن الإقرار بهذا هو إقرار بتوحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون.

ت) أن يقال: إن ما احتججت به هو الذي احتج به المشركون على رسلهم، فإنك تزعم أنك تطلب منهم الشفاعة وأنك ترغب في الجاه الذي عندهم، وأنت ليس عندك جاه، والله سبحانه وتعالى قد ذكر ذلك عن المشركين، وحكم عليهم بالشرك بهذا، وهو ظاهر البطلان لأمرين:

١) لأن الجاه الذي يكون للصالحين جاه يتعلق بهم، ولا يلزم منه جواز دعائهم، وصرف العبادات لهم، كما تقدَّم.

٢) أنَّ العبد المذنب لم يؤمر شرعا إذا وقعت منه خطيئة، واقترف سيئة أن يفزع إلى الصالحين ليطلبوا له من الله المغفرة، بل هو مأمور بأن يستغفر الله ويتوب إليه.

انظر شرح كشف الشبهات لخالد المصلح الدرس (٥/ ١١) وشرح العلامة العصيمي (ص/ ٤٧).

(١) الشبهة الثانية كأنها اعتراض على جواب الشبهة الأولى. ومحاولة التفريق بينهم، وهو أن المشركين الأولين كانوا يعبدون الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، فعلى هذا الآيات التي نزلت في الأصنام لا تنطبق على من يستشفع بالصالحين والأنبياء، ويجعلهم واسطة شفعاء.

والجواب عن ذلك واضح، مع توضيح ما تقدَّم، وهو أن منهم من كان يعبد ما تعبدون، والنبي ﷺ ما فرق بينهم، والقاعدة أنه لا فرق بين المخلوقات في عدم استحقاق العبادة.

انظر شرح العلامة الرَّاجحي. والتوضيح والتتمات (ص/ ١٥٨).

فإنَّه [(٦)] إذا أقرَّ أن الكفَّار يشهدون بالربوبيَّة كلّها لله، [(٧)] وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا القربة والشفاعة. [(٨)]

ولكن إذا أراد أن يفرِّق بين فعله وفعلهم بما ذَكَرَ، [(٩)]

= (١) أي: الآيات التي فيها النهي عن الشرك، والتحذير منه، وبيان عاقبة أهله، أو الآيات الدالة على كفر من دعا غير الله، من الأموات والأحجار والأشجار وتقرب إليهم بالذبائح والنّذر. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ١٤).

(٢) في المشركين الذين يعبدون الأصنام وهؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام. انظر شرح ابن عثيمين (ص/ ٨٢) والدرر السنيَّة (١٠/ ٤١٨).

(٣) هو في هذا يحصر عبادة غير الله في الأصنام.

(٤) فيه استعمال أسلوب من أساليب أهل الباطل وهم أنهم ينسبون إلى أهل الحق الذين يُنزلون الأولياء والصالحين منازلهم التي أنزلها الله لهم بدون إفراط ولا تفريط؛ بأنهم ينتقصون الصالحين ويبخسونهم حقهم ومنزلتهم. التوضيحات الكاشفات (ص/ ١٢٢).

(٥) أي: في جوابك عليه في الشبهة الأولى، وملخصه أن المشركين إنما عبدوا من عبدوا لطلب الشفاعة والجاه. وأنهم مقرون بالربوبية؛ وأن الله تعالى الخالق وحده لا شريك له الرازق.

وليس مراد المصنِّف فيما يظهر لي أنَّ ما تقدَّم يصلح أن يكون جوابا لهذه الشبهة، وإن كان ممكنا، وإنما مراده أن يتأكَّد من الخصم إقراره بالجواب المتقدِّم، أو أن يكون بين الخصمين مسلَّمات يرجعان إليه، وإلا فلا فائدة في النقاش معه، إلا ذهاب العمر.

انظر شرح كشف الشبهات للمصلح الدرس(٦/ ٢). وشرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٢).

(٦) أي: هذا القائل. شرح ابن عثيمين (ص/ ٨٢).

(٧) في مؤلفات الشيخ (١/ ١٦٢) سقط لفظ (لله).

(٨) فإنه بذلك قد خُصم، والسبب في ذلك أن المشركين الذي كفَّرهم الله تعالى كانوا يدعون الصالحين والأولياء، كما أنهم أيضاً كانوا يدعون الأصنام والأوثان. التوضيحات الكاشفات (ص/ ١٢٢).

(٩) وهو أن المشركين يعبدون أصناماً وهو لا يعبد صنماً. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٢).

فاذكر له [(١)] أن الكفَّار:

منهم من يدعو الأصنام. [(٢)]

ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [سورة الإسراء:٥٧]. [(٣)]

---

(١) جواب قوله: فإنه إذا أقر أن الكفار إلخ. شرح ابن عثيمين (ص/ ٨٣).

(٢) ذكر بعضهم أن أكثر من كان يعبد الأصنام هم كفار قريش، وأكثر من كان يعبد الصالحين أهل الطَّائف، وأكثر من كان يعبد النبيين أهل الكتاب. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وقال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٤): "فوضع الصنم إنما كان الأصل على شلك معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته، ليكون نائبا، وقائما مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده، ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده.".

(٣) قال السعدي في تفسيره (ص/ ٤٦٠): "ثم أخبر أيضا أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله وابتغاء الوسيلة إليه فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ من الأنبياء والصالحين والملائكة ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب."

قال ابن القيم رحمه الله: "أي: هؤلاء الذين يعبدونهم من دوني هو عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي ويخافون عذابي كما ترجون أنتم رحمتي وتخافون عذابي، فلماذا تعبدونهم من دوني ؟ ".

وورد في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] قَالَ: «كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يُعْبَدُونَ، فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ».

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٩٧): " أَيِ: اسْتَمَرَّ الْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ عَلَى عِبَادَةِ الْجِنِّ وَالْجِنُّ لَا يَرْضَوْنَ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ أَسْلَمُوا وَهُمُ الَّذِينَ صَارُوا يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ".

انظر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٣) وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص/ ٢٦٥).

ويدعون عيسى ابن مريم وأمَّه [١] وقد قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [سورة المائدة:٧٥-٧٦]. [٢]

---

(١) وهم النَّصارى فجعلوا الآلهة ثلاثة.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٤٣): "وقوله تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أَيْ: لَهُ سَوِيَّةُ أَمْثَالِهِ مِنْ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ الْكِرَام، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٥٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أَيْ: مُؤْمِنَةٌ بِهِ مُصَدِّقَةٌ لَهُ، وَهَذَا أَعْلَى مَقَامَاتِهَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ.

وقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ أَيْ: يَحْتَاجَانِ إِلَى التَّغْذِيَةِ بِهِ، وَإِلَى خُرُوجِهِ مِنْهُمَا، فَهُمَا عَبْدَانِ كَسَائِرِ النَّاسِ، وَلَيْسَا بِإِلَهَيْنِ كَمَا زَعَمَتْ فِرَقُ النَّصَارَى الْجَهَلَةِ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ} أَيْ: نُوَضِّحُهَا وَنُظْهِرُهَا {ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أَيْ: ثُمَّ انْظُرْ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ وَالْوُضُوحِ وَالْجَلَاءِ أَيْنَ يَذْهَبُونَ، وَبِأَيِّ قَوْلٍ يَتَمَسَّكُونَ، وَإِلَى أَيِّ مَذْهَبٍ مِنَ الضَّلَالِ يَذْهَبُونَ.

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى مَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، وَمُبَيِّنًا لَهُ أَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ شيئا من الإلهية، فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَابِدِينَ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ سَائِرِ فِرَقِ بَنِي آدَمَ وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ النَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً﴾ أي: لا يقدر على دفع ضر عنكم ولا إيصال نفع إليكم، ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أَيِ: السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، الْعَلِيمُ بكل شيء، فلم عدلتم عنه إِلَى عِبَادَةِ جَمَادٍ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا لِغَيْرِهِ وَلَا لِنَفْسِهِ؟".

=

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة سبأ: ٤٠-٤١]. (١)

= وقال العلامة ابن القيم في الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٢-٤٨٣): "وقد تضمنت هذه الآية الحجة دليلين يبطلان إلهية المسيح وأمه:

أحدهما: حاجتهما إلى الطعام والشراب وضعف بنيتهما عن القيام بنفسهما، بل هي محتاجة فيما يقيمها إلى الغذاء والشراب؛ والمحتاج إلى غيره لا يكون إلهاً؛ إذ من لوازم الإله أن يكون غنياً.

الثاني: أن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره من انفصالها عنه، بل يستحي من التصريح بذكرها.

ولهذا - والله أعلم - كنَّى سبحانه عنهما بلازمها من أكل الطعام الذي ينتقل الذهن منه إلى ما يلزمه من هذه الفضلة ، فكيف يليق بالرب سبحانه أنه يتخذ صاحبة ولا وولداً من هذا الجنس .. فانظر ما تضمنه هذا الكلام الوجيز البليغ المشتمل على هذا المعنى العظيم الجليل الذي لا يجد سامعه مغمزاً له، ولا مطعناً فيه، ولا تشكيكاً، ولا سؤالاً يورده بل يأخذ بقلبه وسمعه."

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٦٣): "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَقْرَعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رؤوس الْخَلَائِقِ، فَيَسْأَلُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: {أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ} أَيْ: أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بعبادتكم، كما قال تعالى فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الْفُرْقَانِ: ١٧] وَكَمَا يَقُولُ لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١١٦] وَهَكَذَا تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿سُبْحانَكَ﴾ أَيْ: تَعَالَيْتَ وَتَقَدَّسْتَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ.

﴿أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ﴾ أَيْ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، ﴿بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يَعْنُونَ الشياطين، لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ."

قال السمعاني في تفسيره (٤/ ٣٣٨): "فَإِن قيل: كَيفَ يَصح قَوْله: ﴿بل كَانُوا يعْبدُونَ الْجِنّ﴾) وهم عبدُوا الْمَلَائِكَة؟ وَالْجَوَاب من وَجْهَيْن: =

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة المائدة:١١٦]. (١)

فقل له: أعرفت أن الله كفَّر من قصد الأصنام؟ (٢)

= أَحدهمَا: أَنه قَالَ: ﴿بل كَانُوا يعْبدُونَ الْجِنّ﴾ لِأَن الْجِنّ هم الَّذين زَينُوا لَهُم عبَادَة الْمَلَائِكَة، (وَالْمرَاد من الْجِنّ الشَّيَاطِين.
وَالْقَوْل الثَّانِي: أَنهم صوروا صور الْجِنّ، وَقَالُوا: هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَة فاعبدوهم."

(١) قال السعدي في تفسيره (ص/ ٢٤٩): "وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك. ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فأنت أعلم بما صدر مني و ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: "لم أقل شيئا من ذلك" وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة."

(٢) فعرفت من هذه الآيات أن من المشركين من يدعو الأولياء والصالحين، ومنهم من يدعو الأنبياء، ومنهم من يدعو الملائكة. وأن الآيات منها ما نزل فيمن يعبد الأولياء، وبعضها فيمن يعبد الأنبياء، وبعضها فيمن يعبد الملائكة، وأنها ليست منحصرة فيمن يعبد الأصنام فقط؛ فلا فرق بين المعبودات، بل الكلُّ تسويةُ المخلوق بالخالق، والكل عدل به تعالى سواه في العبادة، فالكل شرك والكل مشركون. فعرفت من الآيات أنه مثلُهم فبذلك انكشفت شبهتُه واندحضت حجته. =

وكفَّر أيضا من قصد الصالحين؟ [(١)] وقاتلهم رسول الله ﷺ؟ [(٢)]

* * *

= قال الشوكاني في الدرر النضيد (ص/ ٨١): " ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله، أو معه حجرا، أو شجرا، أو ملكا، أو شيطانا كما كانت تفعل ذلك الجاهلية، وبين أن يكون إنسانا من الأحياء، أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين. وكل عالم يعلم هذا ويقر به فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله وتشريك غيره معه تكون للحيوان كما تكون للجماد وللحي كما تكون للميت ... فمن زعم أن ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر وينفع، وبين من اعتقد من ميت من بني آدم، أو حي منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله فقد غلط غلطا بينا، وأقر على نفسه بجهل كبير؛ فإن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء ". وانظر شرح الشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ٦٤).

(١) قال المصنف كما في الدرر السنية (٢/ ١٢٨): "فإذا عرفت حال المعتقدين في عيسى بن مريم، والمعتقدين في الملائكة، والمعتقدين في الصالحين، وحالهم معهم، أنهم: لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فضلا عن غيرهم، عرفت أن من اعتقد فيمن دونهم أضل سبيلا، فحينئذ يتبين لك معنى لا إله إلا الله."

(٢) قال الصنعاني في تطهير الاعتقاد (ص/ ٦٤): " فإن قلتَ: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام؟
قلتُ: نعم! قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك، بل زادوا عليهم في الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم."

الشُّبهَةُ الثَّالثَةُ وَالرَّدُّ عَلَيهَا [١]

فإن قال: الكفَّار [٢] يريدون منهم، [٣] وأنا أشهد أن الله هو النَّافع الضَّار المدبر لجميع الأمور، لا أريد إلا منه، [٤] والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، [٥] ولكن أقصدهم، أرجو من الله شفاعتهم. [٦]

---

(١) مضمون هذه الشبهة كما يظهر لي أنها اعتراض على جواب الشبهة الأولى كالشبهة الثانية، ومحاولة التفريق بينهم وبين المتقدمين، وذلك أنه يدعي هنا أن المشركين المتقدمين يطلبون من المعبودات ويريدون منهم مباشرة، أي: يطلبون من الصنم بذاته، أو من الشجر أو الصالح، وأما نحن فنطلب من الله بواسطة الصالحين لا منهم مباشرة.

هذا هو الفرق بين الشبهة الأولى والثالثة.

ومنهم من يرى أنهم في الشبهة الأولى اعتمدوا على الجاه، وفي هذه الشبهة اعتمدوا على الشفاعة.

ومنهم من يرى أنه لا فرق بينهما، قال الشيخ البراك في شرح كشف الشبهات: "والشبهة الثالثة تشبه الأولى، إلا أن ألفاظها وعباراتها تختلف، ولعل الشيخ كررها باعتبار أنهم يعبرون بهذا، وتارة يعبرون بهذا، وهذه الشبه الثلاث والتي بعدها في بعضها تداخل وتقارب."

انظر: التوضيح والتتمات (ص/ ١٣٥) شرح كشف الشبهات لخالد المصلح الدرس (٦/ ٣). شرح البراك على الكشف(ص/ ٤٦).

(٢) الذين نزل فيهم القرآن؛ أبو جهل وأضرابه. شرح الشيخ محمد إبراهيم (ص/ ٦٦).

(٣) أي: أنهم يطلبون من الأصنام أو الصالحين أو غيرهم ممن يُعْبَد مع الله، قضاء الحاجات وتفريج الكربات. التوضيحات الكاشفات (ص/ ١٢٦).

(٤) أي: لا أريد قضاء الحوائج والنفع والضر إلا من الله.

(٥) يعني من أمر الربوبيَّة.

(٦) والهالك لهم للمطلوب هو الله وأقصدهم ليطلبوا لي من الله الشفاعة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "ولا ريب أن اتخاذ الشفعاء والتوجه إليهم بالقلب واللسان ينافي إسلام القلب والوجه لله وحده والاستشفاع بالأموات يتضمن أنواعاً من العبادة: سؤال غير الله،

فالجواب: إن هذا قول الكفَّار سواء بسواء. (١)

واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر:٣]. (٢)

= وإنزال الحوائج به من دون الله، ورجاءه والرغبة إليه والإقبال عليه بالقلب والوجه والجوارح واللسان؛ وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله". انظر شرح الكشف للعلامة محمد بن إبراهيم (ص/ ٦٦) والقول الفصل النفيس (ص/ ٨٦-٩٠) باختصار. نقلاً من تعليقات على كشف الشبهات للشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف (ص/ ٥٤) والتوضيحات الكاشفات (ص/ ١٢٧).

(١) أي: أنَّ الكفار لم يكونوا يعتقدون أنَّ النافع الضار استقلالا هي الأصنام، وإنما هو الله سبحانه وتعالى، ولكنهم جعلوا وسائط وشفعاء بينهم وبين الله.

قال الرَّازي: "إِنَّهُمْ وَضَعُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ عَلَى صُوَرِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَكَابِرِهِمْ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مَتَى اشْتَغَلُوا بِعِبَادَةِ هَذِهِ التَّمَاثِيلِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ الْأَكَابِرَ تَكُونُ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّه تَعَالَى، وَنَظِيرُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ اشْتِغَالُ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ بِتَعْظِيمِ قُبُورِ الْأَكَابِرِ، عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّهُمْ إِذَا عَظَّمُوا قُبُورَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّه."

قال شيخ الإسلام: "فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْ خِطَابِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَفِي مَغِيبِهِمْ وَخِطَابِ تَمَاثِيلِهِمْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْمَوْجُودِ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا مِنْ الشِّرْكِ وَالْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾.

فَإِنَّ دُعَاءَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَفِي مَغِيبِهِمْ وَسُؤَالَهُمْ وَالِاسْتِغَاثَةَ بِهِمْ وَالِاسْتِشْفَاعَ بِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَنَصْبَ تَمَاثِيلِهِمْ - بِمَعْنَى طَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ - هُوَ مِنْ الدِّينِ الَّذِي لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ وَلَا ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولًا وَلَا أَنْزَلَ بِهِ كِتَابًا وَلَيْسَ هُوَ وَاجِبًا وَلَا مُسْتَحَبًّا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا فَعَلَهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَلَا أَمَرَ بِهِ إمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ"

انظر تفسير الرَّازي (١٧/ ٢٢٦) ومجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) (١/ ١٢٤).

(٢) قال الطبري: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَعْبُدُكُمْ أَيُّهَا الْآلِهَةُ إِلَّا لِتُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، قُرْبَةً وَمَنْزِلَةً، وَتَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَهُ فِي حَاجَاتِنَا."

=

وقوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [سورة يونس:١٨]. (١)

قال ابن كثير: "وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ هي التي اعتمدها المشركون قَدِيم الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ وَجَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بِرَدِّهَا وَالنَّهْيِ عَنْهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ هَذَا شَيْءٌ اخْتَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ فِيهِ وَلَا رَضِيَ بِهِ بَلْ أَبْغَضَهُ وَنَهَى عَنْهُ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحْلِ: ٣٦] ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٥] وَأَخْبَرَ أن الملائكة التي فِي السموات من الملائكة الْمُقَرَّبِينَ وَغَيْرِهِمْ كُلَّهُمْ عَبِيدٌ خَاضِعُونَ لِلَّهِ لَا يَشْفَعُونَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنِ ارْتَضَى وَلَيْسُوا عِنْدَهُ كَالْأُمَرَاءِ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ يُشَفَّعُونَ عِنْدَهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فِيمَا أَحَبَّهُ الْمُلُوكُ وَأَبَوْهُ {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ} [النَّحْلِ: ٧٤] تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ علوا كبيرا."

انظر تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٦) وتفسير ابن كثير (٧/ ٧٥).

(١) قال الطبري: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَعْبُدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ صِفَتَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْآلِهَةُ وَالْأَصْنَامُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا. ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا رَجَاءَ شَفَاعَتِهَا عِنْدَ اللَّهِ."

قال ابن القيم: "فالآلهة التي تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله، وهي محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه، فالشفاعة بإذنه من نعمة فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له؛ إذ ليس كل أحد أهلا أن يشفع له فمن المنعم على الحقيقة سواه."

فَإِن قَالَ قَائِل: كَيفَ قَالُوا: ﴿هَؤُلَاءِ شفعاؤنا عِنْد الله﴾ وهم لَا يُؤمنُونَ بِالْبَعْثِ؟

الْجَواب: أَنهم كَانُوا يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ شفعاؤنا عِنْد الله فِي مصَالح مَعَايشنَا فِي الدُّنْيَا.

وقيل: منهم من كان يقر بالبعث.

وقيل: منهم من كان عنده شك، فيقول: هم شفعاؤنا فِي الْآخِرَةِ عَلَى تَقْدِيرِ وَجُودِهَا، وَيَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنِ الْكَافِرِ: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، لِأَنَّ إِنَّ الشَّرْطِيَّةَ تَدُلُّ عَلَى الشَّكِّ فِي حُصُولِ الشَّرْطِ.

واعلم أن هذه الشُّبه الثَّلاث هي أكبر ما عندهم.[١]

فإذا عرفت أن الله وضَّحها لنا في كتابه، وفهمتها فهما جيِّدا، فما بعدها أيسر منها.[٢]

* * *

= انظر تفسير الطبري (١٢/ ١٤٢) وشفاء العليل (ص/ ٣٧) وتفسير السمعاني (٢/ ٣٧٢) والفتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٩٢) ودفع إيهام الاضطراب (ص/ ١١٤).

(١) أي: عند المشركين اللذين كانوا في زمانه، مما يستدلون به على أهل التَّوحيد.

وإنما صارت هذه الشبه أكبر ما عندهم لمعنين اثنين:

أ) استعمالهم لها، ومشركو زمان المصنف كانوا يكثرون من هذه الشبه الثلاث.

ب) أن أكثر الشبه التي ستأتي إنما هي نتائج لهذه الشبه، وفيها اتكاء عليها.

كذا أفاده بعضهم.

(٢) لأنه إذا كانت هذ الشُّبه هي أكبر ما عندهم _ على وضوحها كما رأيت وسهولة الرد عليها -فما بعدها من باب أولى أن تكون أيسر وأسهل؛ ففيه تهوين وتنشيط لما سيذكره المؤلف في رسالته. وهذا غاية الجودة والإتقان في فن التأليف والتصنيف.

انظر التوضيحات الكاشفات (ص/ ١٣٠).

الشُّبهَةُ الرَّابِعَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا [1]

---

(١) مضمون هذه الشبهة ظاهرة، وهي أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة، والسبب هو الجهل بتعريف العبادة.

واعلم أنَّ تعريف العبادة ومعرفتها من أهمَّ ما يجب على طالب علم التوحيد، وذلك لأن سبب الخلاف منوط بها، فكثير من الناس يظنون أنَّ العبادة هي الأعمال الظاهرة فقط، فالمسألة كبيرة، ولذلك قال الإمام المعلمي اليماني: "إنّي تدبَّرت الخلاف المستطير بين الأمَّة في القرون المتأخَّرة في شأن الاستعانة بالصالحين الموتى، وتعظيم قبورهم ومشاهدهم، وتعظيم بعض المشايخ الأحياء، وزَعْم بعض الأمَّة في كثيرٍ من ذلك أنه شركٌ، وبعضِها أنه بدعةٌ، وبعضها أنه من الحقِّ، ورأيتُ كثيرًا من الناس قد وقعوا في تعظيم الكواكب والروحانيِّين والجنِّ بما يطول شرحه، وبعضه موجودٌ في كتب التنجيم والتعزيم كـ "شمس المعارف" وغيره، وعلمتُ أن مسلمًا من المسلمين لا يُقْدِمُ على ما يعلم أنه شركٌ، ولا على تكفير مَن يعلمُ أنه غير كافرٍ، ولكنه وقع الاختلاف في حقيقة الشرك، فنظرتُ في حقيقة الشرك؛ فإذا هو – بالاتِّفاق –: اتِّخاذ غير الله عزَّ وجلَّ إلهًا من دونه، أو عبادة غير الله عزَّ وجلَّ، فاتَّجه النظرُ إلى معنى الإله والعبادة؛ فإذا فيه اشتباهٌ شديدٌ؛ فإنَّ المعروف في تفسير (إله) قولهم: (معبود)، أو: (معبود بحق)، ومعنى العبادة مشتبهٌ جدًّا – كما ستراه إن شاء الله تعالى – فعلمتُ أن ذلك الاشتباه هو سبب الخلاف، وإذا الخطر أشدُّ مما يُظَنُّ. " انظر رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (١/ ٣) بتحقيق الدكتور عثمان بن معلم الصَّومالي.

فلما كان الأمر كما ذكره الإمام المعلمي أحببت أن أذكر هنا بعض المسائل المتعلقة بالعبادة باختصار لتتضح الشبهة.

المسألة الأولى: تعريف العبادة.

العبادة لغة: هو التذلل والخضوع، ومنه قولهم (طريق معبَّد) (بعير معبَّد) أي: مذلل.

واصطلاحا أي: في الشرع: عبارة عما يجمع فيه غاية وكمال المحبَّة والخضوع، سواء لذاته أو لغيره لكونه وسيطا، والعبادة بهذا المعنى حق خاص لله جلَّ وعلا.

فزاد الشرع وجود المحبَّة على المعنى اللغوي، وهو الخضوع، كما نبَّه عليه بعض العلماء.

قال شيخ الإسلام: " وَالْعِبَادَةُ تَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ."

وقال أيضا: "والعبادة أصلُها عبادة القلب، وهي غاية الذلِّ بغاية الحبِّ، وذلك إنما يكون بشعورٍ في القلب وعلمٍ وإحساس وبإرادةٍ وقصدٍ واختيار."

=

=

وقال أبا بطين: "ومن عرفها بالحب من الخضوع، فلأن الحب التام، مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد، هو الذي ذل لله الحب والخضوع لمحبوبه، فبحسب محبة العبد لربه وذله له، تكون طاعته."

ولها إطلاقان:

أ) إطلاق فعلي، وهو التذلّل للمعبود محبة وتعظيما، سواء لذاته، أو لغيره، وهو فعل العباد، فتحركاته عند التذلل وأفعاله تسمى عبادة في الشرع.

ب) إطلاق مفعولي، وهي ما يتعبَّد به المعبود، أي: صور العبادة التي يقوم بها العبد، من صلاة أو غيره، سواء كانت مشروعة أم لا، فهي تسمى عبادة.

انظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٨) وشبهات توحيد العبادة (١/ ١٢٤) وما بعدها. ومجموع الفتاوى (٨/ ١٤١) (١٠/ ٢٥١) وجواب الاعتراضات المصريَّة (ص/ ٩١) والجواب الصحيح (٦/ ٣١) والنبوات (ص/ ٨٨) والدرر السنية (٢/ ٢٩٠).

المسألة الثانية: ركنا العبادة:

يظهر مما تقدَّم أن للعبادة ركنين، هما: وجود غاية الذل والخضوع، ووجود غاية المحبَّة والرَّغبة. فمتى وجد هذين الأمرين، فقد وجدت العبادة. قال ابن القيم في النونية:

وعبــــادة الــــرحمن غايــــة حبــــه ... مــــع ذل عابــــده همــــا قطبــــان

وعلــــيهما فلــــك العبــــادة دائــــر ... مــــا دار حتــــى قامــــت القطبــــان

وقال أيضا: "والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي: مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا."

وقال شيخ الإسلام: " وَهِيَ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ لِلَّهِ وَنِهَايَتَهُ، وَكَمَالَ الذُّلِّ لِلَّهِ وَنِهَايَتَهُ، فَالْحُبُّ الْخَلِيُّ عَنْ ذُلٍّ وَالذُّلُّ الْخَلِيُّ عَنْ حُبٍّ لَا يَكُونُ عِبَادَةً، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ مَا يَجْمَعَ كَمَالَ الْأَمْرَيْنِ وَلِهَذَا كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا تَصْلُحُ إلَّا لِلَّهِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مَنْفَعَتُهَا لِلْعَبْدِ وَاَللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ فَهِيَ لَهُ مِنْ جِهَةِ مَحَبَّتِهِ لَهَا وَرِضَاهُ بِهَا."

انظر الكافية الشافية (ص/ ٣٥) والمدارج (١/ ٩٥-٩٦) ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٩).

المسألة الثَّالثة: أقسَامُ العِبَادة

=

=

للعبادة أقسام كثيرة باعتبارات مختلفة، فمنها:

١) باعتبار ذاتها:

فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى خمسة أقسام:

الأول: العبادات الاعتقاديَّة، أي: قول القلب واعتقاده وعمله.

الثاني: العبادات القولية، أي: المتعلقة باللسان، ومنها الذكر والدعاء وتلاوة القرآن.

الثالث: العبادات البدنية، أي: التي تؤدى بالجوارح، كالصلاة والصيام والجهاد.

الرابع: العبادات المالية، كالزكاة والصدقة، والنذر بالمال.

الخامس: التركية، ككف القلب واللسان والجوارح عن المحرمات.

٢) باعتبار حكمها:

فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوَّل: عبادة شرعيَّة، وهي العبادة التي وردت في الشرع، مع الإخلاص لله جلَّ وعلا، فيجتمع فيها الإخلاص والمتابعة.

والأشياء التي يتعبد بها الرب جلَّ وعلا هي ما جمعه شيخ الإسلام بقوله: " اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ."

وقيل: ما أمر به شرعا، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي.

الثاني: عبادة بدعيَّة، وهي العبادة التي لم ترد في الشرع، ولو وجد فيها الإخلاص، كبدعة المولد.

الثالث: عبادة شركيَّة، وهي التي لم يوجد فيها الإخلاص والتوحيد، سواء كانت مأمورة في الشرع أم لا، قال عبد الرحمن بن حسن: "المشرك، لا بد أن يحب معبوده، ولا بد أن يذل له".

انظر تطهير الاعتقاد للصنعاني (ص/ ٥٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٦) والدرر السنية (٢/ ٢٤٩)

المسألة الرَّابعة: كيفية معرفة العبادة الشرعيَّة

تعرف بأمور منها:

١) أمر الشارع بها، مثاله قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [سورة المائدة:٢٣].

٢) نهي الشارع عن تركها، مثاله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ ٢٨٢﴾ [سورة البقرة:٢٨٢].

=

=

٣) ثناء الشارع على فاعلها، نحو قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾ [سورة الإنسان:٧].

٤) ذكر الثَّواب لهذا الفعل، ﴿۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾ [سورة المائدة:١٢].

٥) ذم الشارع تاركها، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾ [سورة الحاقة:٣٤].

٦) ذكر العقاب لتارك هذا الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ [سورة النساء:٩٧].

٧) ذم من صرفها لغير الله، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾ [سورة البقرة:١٦٥].

ومثله ما رواه مسلم برقم (١٩٧٨) عن عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

٨) تنصيص الشَّارع على أنها عبادة، ومثاله ما أخرجه الخمسة وصححه الألباني والوادعي في الصحيح المسند (٢/ ٢١٥) عن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠].

٩) تنصيص الشارع على أنها من الدِّين، أو من الإيمان، مثاله ما في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ».

١٠) تكفير الشارع أو تفسيقه تاركه، وإن كان كفرا أو فسقا أصغر، نحو: ﴿أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤]. ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [سورة المائدة:٤٧].

وهذه فائدة عزيزة لم أر من ذكرها على هذا السياق، أو جمعها قريبا من هذا الجمع.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، [(١)] وهذا الالتجاء [(٢)] إلى الصالحين ...

(١) فإن قال : أي: المشرك المجادل. أنا لا أعبد إلا الله، فبدأ بنفي العبادة لغير الله عن نفسه، وذلك لأن كلمة (فلان يعبد غير الله) يستثقلها كثير من المسلمين، يقول العلامة الجامي: "وسبب هذا الاستغراب هو الجهل بأنواع العبادة، لأن العبادة عند كثير من جماهير المسلمين أركان الإسلام الخمس، أما الدعاء والاستغاثة والذبح والنَّذر والالتجاء والتضرع والتذلل أمام الأضرحة والمشاهد وأمام القبور، وتلك الهمسات في آذان الموتى لا يعتبرون أنَّ تلك عبادة، تلك أهمّ العبادات!!!." شرح القواعد الأربع للعلامة الجامي (ص/ ٣٩).

(٢) هو طلب الملاذ، يقال: لجأ إليه: لاذ به، وفي لسان العرب(١/ ١٥٢): "يُقَالُ: لَجَأْتُ إِلَى فُلَانٍ وَعَنْهُ، والتَجَأْتُ، وتَلَجَّأْتُ إِذَا اسْتَنَدْتَ إِليه واعْتَضَدْتَ بِهِ، أَو عَدَلْتَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ."

فالالتجاء من معاني الاستعاذة، والاستعاذة من العبادات التي أمر الله تعالى بها وهي: الاعتصام والتحرز والالتجاء إلى الله وحده والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ". قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

قَالَ الطِّيبِيُّ: فِي نَظْمِ هَذَا الذِّكْرِ عَجَائِبُ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْمُتْقِنُ مِنْ أَهْلِ الْبَيَانِ، فَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: (أَسْلَمْتُ نَفْسِي) إِلَى أَنَّ جَوَارِحَهُ مُنْقَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَبِقَوْلِهِ: (وَجَّهْتُ وَجْهِي) إِلَى أَنَّ ذَاتَهُ مُخْلِصَةٌ لَهُ بَرِيئَةٌ مِنَ النِّفَاقِ، وَبِقَوْلِهِ: (فَوَّضْتُ أَمْرِي) إِلَى أَنَّ أُمُورَهُ الْخَارِجَةَ وَالدَّاخِلَةَ مُفَوَّضَةٌ إِلَيْهِ لَا مُدَبِّرَ لَهَا غَيْرُهُ، وَبِقَوْلِهِ: (أَلْجَأْتُ ظَهْرِي) إِلَى أَنَّهُ بَعْدَ التَّفْوِيضِ يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِمَّا يَضُرُّهُ وَيُؤْذِيهِ مِنَ الْأَسْبَابِ كُلِّهَا، قَالَ: وَقَوْلُهُ: (رَغْبَةً وَرَهْبَةً) مَنْصُوبَانِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ عَلَى طَرِيقِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ، أَيْ: فَوَّضْتُ أُمُورِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً. وَقَوْلُهُ: (عَلَى الْفِطْرَةِ) أَيْ: عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ.

انظر الكلمات الواضحات (ص/ ١٢٥). والتوضيحات الكاشفات (ص/ ١٣١). فتح الباري (١١/ ١١١).

ودعاؤهم [١] ليس بعبادة. [٢]

فقل له: [٣] هل أنت تقرّ أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله، وهو حقه عليك؟ [٤]

فإذا قال: نعم. [٥] فقل له: بيِّن لي هذا الذي فرضه الله عليك؟ [٦]

---

(١) أي: دعاء الصالحين، وقد تقدم معنى الدعاء ومعنى الصَّالح في أوَّل الكتاب.

(٢) وهذا عين الجهل بالعبادة، وهو الذي عليه عبَّاد الأموات، سمُّوا هذ العبادة توسُّلا، وصرفوها لغير الله. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ١٧).

(٣) جواب المصنِّف عن هذه الشبهة بديع، وذلك أنَّه أبطل هذه الشبهة بأمور أربعة مرتَّبة:

الأوَّل: تقرير المشبِّه أنَّ الله أمره بعبادته، أي: حمله على الإقرار أنه مأمور بجعل العبادة لله، وأنَّ العبادة فرض عليه. **الثَّاني:** بيان حقيقة العبادة، والإشارة إلى كيفية معرفتها. **الثالث:** إيضاح أنَّ من جعل شيئا منها لغير الله فقد أشرك. **الرَّابع:** تحقيق أنَّ المشركين الذين نزل فيهم القرآن كانت عباداتهم لمألوهاتهم في الدعاء والذبح والنَّذر والالتجاء.

قال الشَّيخ العصيمي: "ومنتهى هؤلاء الأربع بأن يقر أن الالتجاء إلى الصالحين هو عبادة شركيَّة، لأن الله أمره أن يلجأ إليه، فاللجوء إليه عبادة، وجعلها لغيره شرك، وكان هذا في أهل الجاهلية الأولى، فما تفعله أنت هو كفعلهم." شرح الكشف للعصيمي (ص/ ٥٢).

(٤) بل هو أعظم حق عليك، لحديث معاذ الذي تقدَّم ذكره، مع بيان حقوق الله سبحانه وتعالى هناك.

(٥) فلا يمكنه جحد ذلك، وإن جحد ذلك كفانا مُؤْنَةَ الرد عليه. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٨).

(٦) أي: عن حقيقة ما فرضه الله عليك.

وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقّه عليك. [(١)] فإن كان لا يعرف العبادة [(٢)] ولا أنواعها [(٣)].

فبيِّنها له بقولك: [(٤)]

(١) التي لأجلها خلق الخلق، وكَذَلِكَ إِنَّمَا أرسل إِلَيْهِم رسله وَأنزل عَلَيْهِم كتبه ليعبدوه فالعبادة هِيَ الْغَايَة الَّتِي خلقُوا لَهَا. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢٣) والفوائد لابن القيم (ص/ ١٤٠).

(٢) في نسخة: "فإنه لا يعرف العبادة" وهذا هو الظاهر، إذ لو عرفها وأنواعها لما نفاها عن نفسه ولما تقدَّم على عبادة الله وغيرَه؛ لكنه من أجهل الجاهلين وأضل الضالين؛ فإن الجهل أنواع عظمها الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وهو أعظم من الجهل بشرعه ودينه، فهو متغلظ جهله بأمرين:

أحدهما: أنه جهل بالتوحيد الذي هو أساس الملة.

والثاني: أنه جهل بشيء مستفيض واضح عند كل أحد، والجهل بالشيء المعلوم الواضح أعظم من الجهل بالشيء الخفي. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٩).

(٣) تقدم في أوَّل الشبهة تعريف العبادة وأنواعها، فراجعه.

(٤) يعني بيِّن له أن الدعاء والطلب عبادة، وذلك أنَّ الله أمر بها، وقد تقدَّم أنه مما يعرف كون الشيء عبادة أمر الشارع بها، وقد أمرنا الله تعالى بدعائه وحده في هذه الآية.

قال الشوكاني: " فاعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادة المطلوبة من العباد، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيدا للمطلوب، أعني كونه من العبادة قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وقال تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فهذه الآيات البينات دلت على أن الدعاء مطلوب لله عز وجل من عباده، ثم توعد على عدم الدعاء فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادة، فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غير الله سبحانه، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾" انظر: الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ١٧١).

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [سورة الأعراف:٥٥]. [١]

فإذا أعلمته بهذا، [٢] فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ [٣] فلا بدَّ أن يقول: نعم. [٤]

والدعاء مخُّ العبادة. [٥]

---

(١) قال الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٤٧): " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ادْعُوا أَيُّهَا النَّاسُ رَبَّكُمْ وَحْدَهُ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ دُونَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ. ﴿تَضَرُّعًا﴾ يَقُولُ: تَذَلُّلًا وَاسْتِكَانَةً لِطَاعَتِهِ. ﴿وَخُفْيَةً﴾ يَقُولُ: بِخُشُوعِ قُلُوبِكُمْ وَصِحَّةِ الْيَقِينِ مِنْكُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، لَا جِهَارًا مُرَاءَاةً، وَقُلُوبُكُمْ غَيْرُ مُوقِنَةٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، فِعْلَ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْخِدَاعِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ".

(٢) إذا أعلمته أن الآية تدل على أنه عبادة. وفي نسخة: "إذا علمت"، وفي أخرى: "عملت". انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٩).

(٣) في نسخة: (هل هو عبادة).

(٤) لا يمكنه أن يجحد، فإن جحد سقط الكلام معه وعُرِف أنه مكابر وانتقل معه إلى الجلاد، إن أمكن.
قال بعض أئمَّة الدَّعوة: "فالدعاء من أجل الطاعات وأعظم العبادات، وصرفه لغير الله من أعظم المنكرات، وقد بين الله في كتابه العزيز، خصوصا، فيه: الآيات المحكمات، ولم يكثر الله في نوع من أنواع العبادة في كتابه أعظم من الدعاء، كالسجود لغير الله، فذكر الذبح في موضعين، وذكر أنواع العبادة كذلك، وأما الدعاء فذكره في نحو ثلاثمائة موضع على أنواع."

انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٩) والدرر السنية (١٢/ ٤٨٦).

(٥) هذا نص حديث أخرجه الترمذي من حديث ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس به، وهو ضعيف، وفيه عنعنة الوليد بن مسلم، ويغني عنه ما أخرجه الخمسة وصححه الألباني والوادعي في الصحيح المسند (٢/ ٢١٥) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].
ومعنى مخ العبادة: أن الدعاء لبُّ العبادة وخالصها؛ لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقها.

=

فقل له: (١) إذا أقررت أنها عبادة (٢) ودعوت الله ليلا ونهارا، خوفا وطمعا، (٣) ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، (٤) هل أشركت في عبادة الله غيره؟(٥)

فلا بدَّ أن يقول: نعم. (٦)

= انظر تحفة الأحوذي (٩/ ٣١١). والتوضيحات الكاشفات (ص/ ١٣٥).

(١) يعني إذا بينت أن الدعاء عبادة وأقر به، فقل له: ألست تدعو الله تعالى في حاجة ثم تدعو في تلك الحاجة نفسها نبياً أو غيره فهل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول: نعم لأن هذا لازم لا محالة، هذا بالنسبة للدعاء. انظر شرح العلامة ابن عثيمين (ص/ ٨٨).

(٢) قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١/ ٣١٢): "وَالدُّعَاءُ مِنْ جُمْلَةِ الْعِبَادَاتِ فَمَنْ دَعَا الْمَخْلُوقِينَ مِنْ الْمَوْتَى وَالْغَائِبِينَ وَاسْتَغَاثَ بِهِمْ - مَعَ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ أَمْرَ إيجَابٍ وَلَا اسْتِحْبَابٍ - كَانَ مُبْتَدِعًا فِي الدِّينِ مُشْرِكًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُتَّبِعًا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ."

(٣) أي: خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ. تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٠).

(٤)أي: من المخلوقين من الملائكة والجن.

(٥) أي: هل وقعت في هذا شركا بحيث جعلت حق الله الخاص به لغيره، وأشركت معه غيره؟

(٦) إن كان عنده التفات إلى الدليل؛ فإن من لازم إقراره بالثانية فبذلك انكشفن شبهته.

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر: "فنقول: الذي نعتقده وندين الله به، أن من دعا نبيا أو وليا، أو غيرهما، وسأل منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أن هذا من أعظم الشرك، الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء، يستجلبون بهم المنافع، ويستدفعون بهم المضار بزعمهم. قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾." انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٩). والدرر السنية (١٠/ ٢٨٧-٢٨٨).

فقل له: فإذا عملت [١] بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [سورة الكوثر:٢]. [٢]

وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة؟ [٣] فلا بدَّ أن يقول: نعم. [٤]

فقل له: فإذا [٥] نحرت لمخلوق [٦] نبيٍّ أو جنيٍّ أو غيرهما، [٧]

---

(١) في نسخة: (فإذا قال الله).

(٢) قال شيخ الإسلام: "أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ وَهُمَا الصَّلَاةُ وَالنُّسُكُ الدَّالَّتَانِ عَلَى الْقُرْبِ وَالتَّوَاضُعِ وَالِافْتِقَارِ وَحُسْنِ الظَّنِّ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ وَطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ إلَى اللَّهِ وَإِلَى عُدَّتِهِ وَأَمْرِهِ وَفَضْلِهِ وَخُلْفِهِ".
ثم قال: "وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الصَّلَاةَ وَالنُّسُك هُمَا أَجَلُّ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ أَتَى فِيهِمَا بِالْفَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى السَّبَبِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ ذَلِكَ وَهُوَ الصَّلَاةُ وَالنَّحْرُ سَبَبٌ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ إيَّاهُ مِنْ الْكَوْثَرِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ فَشُكْرُ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ وَعِبَادَتُهُ أَعْظَمُهَا هَاتَانِ الْعِبَادَتَانِ بَلْ الصَّلَاةُ نِهَايَةُ الْعِبَادَاتِ وَغَايَةُ الْغَايَاتِ. كَأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْك بِذَلِكَ لِأَجْلِ قِيَامِك لَنَا بِهَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ شُكْرًا لِإِنْعَامِنَا عَلَيْك وَهُمَا السَّبَبُ لِإِنْعَامِنَا عَلَيْك بِذَلِكَ فَقُمْ لَنَا بِهِمَا فَإِنَّ الصَّلَاةَ وَالنَّحْرَ مَحْفُوفَانِ بِإِنْعَامٍ قَبْلِهِمَا وَإِنْعَامٍ بَعْدِهِمَا وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ النَّحْرُ وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الصَّلَاةُ."

انظر مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣١-٥٣٢).

(٣) أي: هل فعلك هذا يكون عبادة؟

(٤) وذلك لأنه تقرَّر عنده أنَّ كلَّ ما أمره الله به عبادة.

(٥) في نسخة (فإن).

(٦) النحر يستعمل في الإبل، وهو أن يضرب بحربة أو نحوها في الوهدة التي بين أصل عنقها وصدرها.

(٧) ممن ينحر لهم عند قبورهم من الأولياء وغيرهم.

هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ [(١)] فلا بدَّ أن يقرّ ويقول: نعم. [(٢)]

وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللّات [(٣)] وغير ذلك؟ [(٤)] فلا بدَّ أن يقول: نعم. [(٥)]

فقل له: وهل كانت عبادتهم إيَّاهم إلا في الدّعاء، والذَّبح، والالتجاء، ونحو ذلك؟ [(٦)]

---

(١) وتكون بذلك مشركا.

(٢) ما يمكن أن يجحد الثاني بعد الأول، بل إقراره بالأول يلزمه الإقرار الثاني، يعني وكذلك سائر العبادات إما أن يقر أنها عبادة أولا، فإن أنكر كونها عبادة أقيمت عليه الحجة، فإن أقرّ خصم. فبهذا ظهر واتضح جهله وضلاله وانكشفت شبهته وأن قوله: أنا لا أعبد إلا الله ... إلخ. محضُ جهل منه، وأن هذا عبادة لغير الله، وتبيَّن أنه عابدٌ غيرَ الله، وأن ما يصنعه معهم عبادة لهم وأنه عابدٌ الله وعابدٌ غيره. من شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٦٩).

(٣) هو من باب عطف العام على الخاص.

(٤) أي: من المخلوقات من الأصنام والجن.

(٥) أي: لا بدَّ أن يقرّ أنهم كانوا يعبدون، لدلالة القرآن عليه، وقد تقدَّم تقرير ذلك في الشبهة الثَّانية.

(٦) يعني: أنها ما كانت عبادتهم إلا هكذا، هل هو هذا أو غيره؟ فإنه لا يجد دليلاً غير هذا، فقل له: أنا عندي دليل وهي أن عبادتهم هي هذه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

قال شيخ الإسلام: "وَالِالْتِجَاءُ إلَيْهِ دَاخِلٌ فِي عِبَادَتِهِ فَهُوَ بَعْضُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ إبْرَاهِيمَ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَتَبَرَّءُوا مِنْ أَنْ يَعْبُدُوا إلَّا اللَّهَ أَوْ يَتَوَكَّلُوا إلَّا عَلَيْهِ وَهَذَا تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ".

قال ابن القيم: "فَلَا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا الِالْتِجَاءُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا الْخَوْفُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا الرَّجَاءُ إِلَّا لَهُ، وَلَا الطَّمَعُ إِلَّا فِي رَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ أَعْرَفُ الْخَلْقِ بِهِ ﷺ «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ» وَقَالَ «لَا مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ»."

=

وإلا فهم مقرُّون أنهم عبيده وتحت قهرالله، وأن الله هو الذي يدبِّر الأمر، ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة، [(١)] وهذا ظاهر جدًّا. [(٢)]

* * *

= انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧١). ومجموع الفتاوى (٨/ ٥٥٤). والمدارج (٣/ ٤٦٣).

(١) كما تقدَّم.

(٢) أي: في كشف شبهته. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧١).

الشُّبهَةُ الخَامِسَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا [1]

---

(١) مضمون هذه الشبهة فرية يفتريها الأعداء وهي أنَّ الوهَّابيَّة ينكرون شفاعة النبي ﷺ. وإنما ذكر المصنِّف هذه الشبهة بعد السَّابقة لأن المشرك يسمي عبادة غير الله شفاعة، فالذين يسألون النبي عليه الصلاة والسلام ويستغيثون به ويطلبون منه، أو يسألون غيره من الأولياء أو الأنبياء إذا قيل لهم: ما ذا تفعلون، قالوا: هذه هي الشفاعة، والوهابية لما ينكرون علينا هذا كأنهم ينكرون الشفاعة.

واعلم يا طالب التَّوحيد أنَّ موضوع الشفاعة من أهمِّ أبواب التَّوحيد، حتى قال بعض أئمة التَّوحيد: "من لم يعرفها لم يعرف حقيقة التَّوحيد والشِّرك"، ولذلك يحسن أن نتكلم على بعض مباحثها باختصار:

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة.

الشفاعة لغة: جعل الشيء اثنين، وهو ضد الوتر، يقال: جعلت الوتر شفعا، أي: اثنين، أو أربعة، واصطلاحا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

المسألة الثانية: أركان الشفاعة.

الشفاعة لها أربعة اركان:

١) الشافع وهو الواسطة بين المشفوع له والمشفوع إليه.

٢) المشفوع إليه، وهو الذي بيده الخير من جلب منفعة أو دفع مضرة.

٣) المشفوع له وهو الذي يريد ذلك الخير.

٤) الطلب، وهو إما بجلب الخير، أو دفع الضر.

المسألة الثالثة: أقسام الشفاعة:

تنقسم الشفاعة إلى قسمين:

الأول: الشفاعة الأخروية، وهي التي تكون في أمور الآخرة، وهي تنقسم إلى قسمين أيضا:

أ) الشفاعة المنفية، وهي التي لم تتوفر فيها شروط الشفاعة.

ب) الشفاعة المثبتة، وهي التي توفرت فيها شروط الشفاعة التي ستأتي، وهي تنقسم إلى قسمين أيضا:

١) الشفاعة العامَّة وهي التي يأذن الله لعباده لمن شاء منهم أن يشفعوا لمن أذن الله بالشفاعة لهم، وتكون للأنبياء والملائكة والمؤمنين.

=

= ٢) الشفاعة الخاصَّة بالنبي ﷺ، وهي الشفاعة العظمى، وشفاعة أبي طالب، وشفاعة أهل الجنة للدخول فيها.

الثَّانية: الشفاعة الدنيويَّة وهي التي تكون في الأمور الدنيوية، وتنقسم إلى مشروعة، وممنوعة، فالمشروعة هي التي وجدت فيها شروط الشفاعة التي ستأتي، والممنوعة عكسها.

المسألة الرابعة: شروط الشفاعة

تقدَّم أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين: دنيوية، وأخروية، ولكل منهما شروط.

أما الشفاعة الأخروية فشروطها ستَّة:

١) قدرة الشافع على الشّفاعة، بخلاف الأصنام لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة الزخرف:٨٦].

٢) إسلام المشفوع له، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة غافر:١٨].

٣) الإذن للشافع، لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴿٢٥٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

٤) الرّضا عن المشفوع له، لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٨].

٥) الرّضا عن الشافع، لقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النجم:٢٦].

٦) ألا يكون الشَّافع من اللاعنين، لما ثبت في صحيح مسلم عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأمَّا الشفاعة الدنيوية فيشترط فيها أربعة شروط:

١) أن يكون المشفوع إليه حيًّا، وإلا فشرك.

٢) أن يكون المشفوع إليه حاضرا، أو كالحاضر كالتواصل، وإلا فشرك.

٣) أن يكون المشفوع إليه قادرا وإلا فلغو.

٤) أن تكون في الخير، أي: في أمر مشروع أو مباح، وإلا فحرام كشفاعة حدّ من حدود الله.

المسالة الخامسة: من هم الشافعون؟

=

فَإن قَال: أَتنكر شفاعة رَسول الله ﷺ وتبرّأ منها؟ (١)

فقل له: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها. (٢)

= الشافعون كثر، والذي ثبت عن النبي ﷺ أنهم يشفعون هم أصناف أربعة:

١) الأنبياء.

٢) الصالحون.

٣) الملائكة.

٤) الأفراط

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

المسألة السادسة: أقسام الناس في الشفاعة

الناس في أمر الشفاعة على ثلاثة أقسام:

١) صنف غلا في إثباتها وهم المشركون والقبوريون.

٢) صنف أنكر بعض الشفاعة كالمعتزلة والخوارج.

٣) صنف توسَّط، وهم أهل السنَّة والجماعة.

انظر القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٢٣٠) والشفاعة للإمام الوادعي رحمه الله، ومجموع الفتاوى (١٤/ ٤١١) ومدراج السالكين (١/ ٣٤٠) والدرر السنية (٢/ ١٥٧-١٥٩) ومجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين (٢/ ٤٥-٤٦).

(١) أي: تتخلى عن القول بها ما دمت أنك تنكر شفاعة الأولياء والصالحين. انظر الكلمات الواضحات (ص/ ١٣٥).

(٢) قال المصنف: "ثم بعد هذا يذكر لنا: أن أعداء الإسلام، الذين ينفرون الناس عنه يزعمون أننا ننكر شفاعة الرسول ﷺ، فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشَّافع المشفَّع، صاحب المقام المحمود، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم: أن يشفعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه. هذا اعتقادنا، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح، من المهاجرين والأنصار، والتابعين، وتابع التابعين، والأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين." انظر الدّرر السنية (١/ ٦٣) ومجموع مؤلفات الشيخ (٧/ ٤٨).

بل هو ﷺ الشَّافع [(١)] المشفَّع [(٢)] وأرجو شفاعته. [(٣)]ولكن الشفاعة كلّها لله [(٤)] كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر:٤٤]. [(٥)]

ولا تكون إلا من بعد إذن الله، [(٦)] كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. [(٧)]

---

(١) أي: الواسطة بين المشفوع له، والمشفوع إليه، كما تقدَّم.

(٢) بفتح الفاء، وهو الذي تقبل شفاعته. انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٨٥).

(٣) أي: أرجو أن أكون من الذين يشفع فيهم النَّبيّ ﷺ، انظر شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ١٠٧).

(٤) أي: ولكن حقيقة أمر الشفاعة أن الله سبحانه هو مالكها وليس لمن تطلب منه شيء منها، وهو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود، فهذا هو حقيقة الشفاعة، لا كما يظن المشركون والجهال أن الشفاعة هي كون الشفيع يشفع ابتداءً فيمن شاء، وينجيه من النار، ولهذا يسألونها من الأموات وغيرهم إذا زاروهم. قاله الشيخ سليمان بن عبد الله. انظر تيسير العزيز الحميد (ص/ ٥١) وتحفة الطالب والجليس للشيخ عبد اللطيف (ص/ ٩٣) وفتح المجيد (ص/ ٢٧٩).

(٥) قال السعدي (ص/ ٧٢٦): "﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ لأن الأمر كله لله. وكل شفيع فهو يخافه، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين."

(٦) أي: من شروط الشفاعة الأخروية إذن الله للشافع، كما تقدَّم، قال الشيخ محمد بن إبراهيم: "فأي قائل أو أي إنسان يخرج النبي من هذا العموم؟" شرح كشف الشبهات (ص/ ٧٣).

(٧) قال الشوكاني في الفتح القدير (١/ ٣١١): "قَوْلُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فِي هَذَا الِاسْتِفْهَامِ مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَفَاعَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَالتَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ لَهُ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مِنَ الدَّفْعِ فِي صُدُورِ عُبَّادِ الْقُبُورِ، وَالصَّدِّ فِي وُجُوهِهِمْ، وَالْفَتِّ فِي أَعْضَادِهِمْ، مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، وَلَا يُبْلَغُ مَدَاهُ."

ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه [(١)] كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨]. [(٢)]

وهو لا يرضى إلا التوحيد، [(٣)] كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران:٨٥]. [(٤)]

---

(١) هكذا في جميع النسخ التي وقفت عليها، والمناسب أن يقول: ولا يشفع في أحد إلا إذا كان مرضيا عند الله جلَّ وعلا، اللهم إلا أن يكون مراده أن الشافع ولو أذن له إذنا عاما لا يشفع إلا بعد الإذن الخاص لأن يشفع لشخص معيَّن، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٢) أَيْ: يَشْفَعُ الشَّافِعُونَ لَهُ، وَهُوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَقِيلَ: هُمْ أَهْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. انظر الفتح القدير للشَّوكاني (٣/ ٤٧٨).

(٣) ولذلك ورد في صحيح البخاري برقم (٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّه مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ».

قال ابن القيم في تهذيب السنن (٧/ ١٣٤): "وفي قوله في حديث أبي هريرة: (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله) سرٌّ من أسرار التوحيد وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيدا كان أحرى بالشفاعة لا أنها تنال بالشرك بالشفيع كما عليه أكثر المشركين وبالله التوفيق."

وقال شيخ الإسلام في الاقتضاء (٢/ ٣٦٢): "فكلما كان الرجل أتم إخلاصا لله؛ كان أحق بالشفاعة، وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين، يرجوه ويخافه؛ فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة." انظر المجموع (١٤/ ٤١٢).

(٤) قال القاسمي في تفسيره (٢/ ٣٤٥): "وَمَنْ يَبْتَغِ أي: يطلب غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً أي: غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى. كدأب المشركين صريحا. والمدعين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتابين. فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ لأنه لم ينقد لأمر الله."

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلّا لأهل التَّوحيد

تبيَّن لك أن الشَّفاعة كلها لله، وأنا أطلبها منه. (١)

فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفِّعه فيَّ ﷺ، وأمثال هذا. (٢)

---

(١) أي: إنما تطلب ممن يملكها دون كل ما سواه؛ لأن ذلك عبادة وتأله لا يصلح إلا لله. ولأن طلبها من الأموات والغائبين، طلب لما لا يقدر عليه إلا الله، وهو خلاف لما أمر الله تعالى به، وارتكاب لما نهى عنه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "فطلب الشفاعة من النبيّ ﷺ وغيره بعد وفاته، وبعده عن الداعي، لا يحبه الله تعالى، ولا يرضاه، ولا رسوله ﷺ؛ ... والحاصل: أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شفيعا من دونه يسأله، ويرغب إليه، ويلتجئ إليه؛ وهذا هو العبادة، ومن صرف من ذلك شيئا لغير الله، فقد أشرك مع الله غيره، كما دلت عليه الآيات المحكمات؛ وهذا ضد إفراد الله بالعبادة. وكيف يتصور إفراد الله بالعبادة، وقد جعل العبد ملاذا ومفزعا سواه؟ فإن هذا ينافي الإفراد، فأين ذهب عقل هذا وفهمه؟"

انظر الدرر السنية (١١/ ١٥٧-١٥٩) ومجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٢٤٨) وفتح المجيد (ص/ ٢٧٩).

(٢) أي: من الأدعية، كأن تقول: اللهم إني أسألك شفاعة نبيك ﷺ ، ومن السلف من كره مثل هذا الدعاء، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. انظر شرح الكشف للعصيمي (ص/ ٥٥).

فائدة:

قال ابن القيم في المدارج (١/ ٣٤٩): "وَتَأَمَّلْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ - وَقَدْ سَأَلَهُ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ - قَالَ «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ» كَيْفَ جَعَلَ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا شَفَاعَتُهُ تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ، عَكْسَ مَا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُنَالُ بِاتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ شُفَعَاءَ، وَعِبَادَتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فِي زَعْمِهِمُ الْكَاذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ سَبَبَ الشَّفَاعَةِ هُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، فَحِينَئِذٍ يَأْذَنُ اللَّهُ لِلشَّافِعِ أَنْ يُشَفَّعَ. =

الشُّبهَةُ السَّادِسَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا [١]

فإن قال: النبيّ ﷺ أعطي الشَّفاعة وأنا أطلبه [٢] مما أعطاه الله. [٣]

فالجواب: أنَّ الله أعطاه الشَّفاعة، ونهاك عن هذا [٤] فقال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ ...

وَمِنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِ اعْتِقَادُهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَهُ وَلِيًّا أَوْ شَفِيعًا أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ، وَيَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا يَكُونُ خَوَاصُّ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُمْ مَنْ وَالَاهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وَبَقِيَ فَصْلٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا التَّوْحِيدَ، وَاتِّبَاعَ الرَّسُولِ، وَعَنْ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ يَسْأَلُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، كَمَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: كَلِمَتَانِ يُسْأَلُ عَنْهُمَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ .
فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ، تَقْطَعُ شَجَرَةَ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبِ مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَلَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ، وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ."

(١) مضمون هذه الشبهة أنه يقول: ما دام أنكم تقرون شفاعة النبي ﷺ، فإنها أعطيت له، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله، فهو يظن أنه إعطاء مطلق بدون شروط.

(٢) بمعنى: (وأنا أطلب منه)، وقد كرَّر الشيخ هذه الكلمة، فالظاهر أنها مألوفة هناك، قاله محب الدين الخطيب. انظر تعليقات كشف الشبهات لطلعت مرزوق (ص/ ٢٧).

(٣) يعني: أطلب من النبي صلى الله عليه وسلم من شيء أعطاه ربه إياه، قاله بعضهم.

(٤) أي: ليس من لازم إعطاء النبيّ ﷺ وغيره الشفاعة جواز طلبها منهم وهم أموات، وذلك لأنَّ الله الذي أعطاه الشفاعة هو الذي نهاك عن طلبها منه لكونها شركا، لأنها نوع من الدعاء والسؤال، فطلبها منه في دار العمل عبادة، وهي لا تصلح إلا لله جلَّ وعلا كما تقدَّم.

قال الشيخ عبد اللطيف: "وليس قولهم: (إنه أعطى الشفاعة) بمعنى: ملكها وحازها، كسائر العطايا والأملاك التي يعطاها البشر. وأيضا: فإن الله يعطي رسله وأولياءه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أفيقال: إنَّ الله أعطاهم ذلك، وملَّكهم إياه فيطلب منهم، ويرغب إليهم

...[سورة الجن:١٨]. [(١)]

وطلبك من الله شفاعة نبيِّه ﷺ عبادة، [(٢)] والله نهاك أن تشرك في هذه العبادة أحدا، فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [سورة الجن:١٨]. [(٣)]

= فيه؟ فإن كان ذلك مشروعا وسائغا فالشفاعة من جنسه، مع أن الشفاعة قيدت بقيود لم تقيد بها هذه العطايا والمواهب السَّنِيَّة. وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر -٤٤]. وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وأما غير الشفاعة مما أعطيه أهل الجنة: فقد ذكر تعالى أنه حرمه على الكافرين. وكذلك الشفاعة، لأنها وسيلة إليه."

شرح كشف الشبهات للعلامة الفوزان (ص/ ٨٦). ومصباح الظلام (ص/ ٣٩٧).

(١) أي: فَلَا تَدْعُوا أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ فِيهَا شَيْئًا، وَلَكِنْ أَفْرِدُوا لَهُ التَّوْحِيدَ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: "وأيّ ملازمة بين كونه أُعطي الشفاعة وبين كونها تُطلب منه، والمشركون أكثر ما يعبدون صلحاء ومع ذلك أي دليل على طلبها؟ أقر أحد أو جاء شيء من النصوص؟! الصحابة طلبوه إياها؟! بل النصوص جاءت بالنهي عن ذلك. وأما دعاء غير الله هو أن يقول: يا فلان، اشفع لي. هذا شركهم؛ يدعون مخلوقاً رجاء شفاعته، فصار لا فرق بين أن يصرِّح بنفس تلك العبارة فيقول اشفع لي، أو يذبح لأن يشفع له. ".

انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤٠) وحاشية شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧٥).

(٢) أي: لا يجوز أن تطلب الآن من رسول الله ﷺ، لأنها عبادة، وانصرافك إلى النبيّ ﷺ ترجو منه الشفاعة شرك. قال العلامة الجامي: "وهذه العبارة يستصعبها العاطفيون الذين يظنُّون أنهم وحدهم الذين يحبون الله ورسوله". انظر شرح القواعد الأربع (ص/ ٦٤).

(٣) قال شيخ الإسلام: "فَمَنْ وَالَى أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ وَدَعَاهُ وَحَجَّ إلَى قَبْرِهِ أَوْ مَوْضِعِهِ وَنَذَرَ لَهُ وَحَلَفَ بِهِ وَقَرَّبَ لَهُ الْقَرَابِينَ لِيَشْفَعَ لَهُ: لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا. وَكَانَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ شَفَاعَتِهِ وَشَفَاعَةِ غَيْرِهِ. فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ إنَّمَا تَكُونُ: لِأَهْلِ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْقَلْبِ وَالدِّينِ لَهُ. وَمَنْ تَوَلَّى أَحَدًا =

وأيضا: فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ [١] فصحَّ أن الملائكة يشفعون[٢]، والأولياء يشفعون، [٣] والأفراط يشفعون، [٤]

= مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ. فَهَذَا الْقَوْلُ وَالْعِبَادَةُ الَّذِي يَقْصِدُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الشَّفَاعَةَ: يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الشَّفَاعَةَ. فَالَّذِينَ عَبَدُوا الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ - لِيَشْفَعُوا لَهُمْ - كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إيَّاهُمْ وَإِشْرَاكُهُمْ بِرَبِّهِمْ الَّذِي بِهِ طَلَبُوا شَفَاعَتَهُمْ: بِهِ حُرِمُوا شَفَاعَتَهُمْ وَعُوقِبُوا بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاَللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا". انظر مجموع الفتاوى (١٤/ ٤١٢).

(١) أي: أصل الشفاعة ليست من خصائصه، وإن كان يختص ببعضها.

(٢) دليله ما رواه البخاري برقم (٧٤٣٩) ومسلم برقم (٣٠٢) واللفظ له عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وفيه: (فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

(٣) في صحيح مسلم برقم (١٨٣) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وفيه: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ."

(٤) الأفراط هم الصِّغار الذين ماتوا قبل آبائهم. وأشارت أدلة كثيرة إلى شفاعتهم بشرط الاحتساب، منها: حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري برقم (٦٦٥٦) ومسلم برقم (٢٦٣٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ».

وفي صحيح البخاري برقم (١٢٤٨) وغيره عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ، يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاَثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٣٥) عَنْ أَبِي حَسَّانَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ».

أتقول: إن الله أعطاهم الشَّفاعة فأطلبها منهم؟ [(١)]

فإن قلت هذا [(*)] رجعت إلى عبادة الصالحين، [(٢)] التي ذكر الله في كتابه أنها الشِّرك الذي لا يغفره. [(٣)]

وإن قلت: لا، [(٤)] بَطَلَ قولك: أعطاه الله الشَّفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله. [(٥)]

---

(١) يعني مقتضى قوله: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبها منه يدل على ذلك. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧٧). (*)أي: سأطلبها منهم.

(٢) أي: إن قلت: إنني أطلب الشفاعة من غير النبي كالأولياء والملائكة فقد وقعت في الشرك الذي هو عبادة الصالحين. قال الشيخ أحمد بن عيسى: "قد أخبر تعالى أن الشفاعة جميعها له، فمن طلبها من غير الله، فقد طلبها ممن لا يملكها، ولا يسمع ولا يستجيب، وفي غير الوقت الذي تقع فيه، ولا قدرة له عليها، إلا برضاه ممن هي له، وإذنه فيها وقبوله، فطلبها ممن هي له في دار العمل عبادة من جملة العبادات، وصرف ذلك الطلب لغيره شرك عظيم." انظر الرد على شبهات المستعينين بغير الله (ص/ ٤٥). وقال الشنقيطي في أضواء البيان (١/ ٣٦): "وَادِّعَاءُ شُفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ لِلْكُفَّارِ أَوْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ بِهِ جَلَّ وَعَلَا، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يونس:١٨]".

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس:١٨]

(٤) أي: ما سأطلبها منهم.

(٥) وذلك لأنَّ الباب واحد، فالله أعطاه وأعطاهم، ونهانا أن نسأله أو نسألهم. شرح الكشف للشيخ العصيمي (ص/ ٥٦). وبقي أوجه أخرى لردِّ هذه الشبهة منها:

أ) من المَعْلُوم أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كما في آيات كثيرة، فهل يجوز ويشرع دعاء الملائكة؟ والجواب لا، فكَذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ غَيْرَهُ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ يَدْعُو

الشُّبهَةُ السَّابِعَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا [١]

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلّا، [٢] ولكن الالتجاء إلى الصَّالحين ليس بشرك(*). فقل له: إذا كنت تقرّ أن الله حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، [٣]

= وَيَشْفَعُ لِلْأَخْيَارِ مِنْ أُمَّتِهِ هُوَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ هُمْ يَفْعَلُونَ مَا أَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فِيهِ بِدُونِ سُؤَالِ أَحَدٍ. فلم يشرع الطلب منهم.

ب) أَنَّ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ كالشفاعة لأحد معيَّن هُمْ سَيَفْعَلُونَهُ، وَإِنْ لَمْ يُطْلَبْ مِنْهُمْ، وَمَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ من الشفاعة لَا يَفْعَلُونَهُ وَلَوْ طُلِبَ مِنْهُمْ فَلَا فَائِدَةَ فِي الطَّلَبِ مِنْهُمْ.

ت) أَنَّ دُعَاءَهُمْ وَطَلَبَ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ يُفْضِي إلَى الشِّرْكِ بِهِمْ فَفِيهِ هَذِهِ الْمَفْسَدَةُ فَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ فِيهِ مَصْلَحَةً لَكَانَتْ هَذِهِ الْمَفْسَدَةُ رَاجِحَةً فَكَيْفَ وَلَا مَصْلَحَةَ فِيهِ. ذكر هذه الأوجه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١/ ١٧٩-١٨٠).

(١) مضمون هذه الشبهة ظاهر، وهي أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، وهي تشبه مضمون الشبهة الرَّابعة إلا إن الفرق بينهما ظاهر، وذلك لأنه كان يدَّعي قبل أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة، ويدَّعي الآن أنها ليست بشرك، وهذه شبهة أوهى من بيت العنكبوت لمن تقررت عنده أنها عبادة، وذلك لأن القاعدة المسلَّمة أن ما ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شرك، فمن أقر أنها عبادة فلا بدَّ أن يقرَّ أن صرفها لغير الله شرك، اللهم إذا كان القائل لا يدري معنى الشِّرك، والتبس عليه ضابط الشرك، ويكون النقاش معه في الشبهة التالية، ولذلك لم يطل المصنف في الكلام في هذه الشبهة.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: "فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله كما تقدم، فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء - هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله." انظر تيسير العزيز الحميد (ص/ ١٧٩).

(٢) أي: لا تقع ولم تقع ولا سمح الله. (*)تقدَّم معنى الالتجاء، وأنه نوع من أنواع الدعاء والعبادة.

(٣) وذلك لأنه أعظم ذنب عصي الله به كما وردت بذلك الأدلة، ولأن الله رتَّبه عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه. انظر إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٦٠) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ٨٨).

وتقرّ أن الله لا يغفره، [١]فما هذا الأمر الذي حرّمه الله [٢] وذكر أنه لا يغفره؟ [٣]فإنه لا يدري. [٤]

(١) قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٦٠): "والمقصود: أن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرهها له، وأشدها مقتا لديه. ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يتخذوهم عبيدا، وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين."

(٢) في نسخة: (عظَّمه الله).

(٣) يعني: فسِّر لي حقيقة الشرك بالله، يعني وما معنى عبادة الله. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧٨).

(٤) عن الشرك ولا عن التوحيد إذا طلبت منه بيان هذا وهذا، وَقف فأين هذا من التوحيد؟

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "والعجب كل العجب أن مثل هؤلاء يقرؤون كتاب الله، ويتعبدون بتلاوته، وربما عرفوا شيئاً من قواعد العربية، وهو في هذا الباب من أضل خلق الله، وأبعدهم عن فهم وحيه وتنزيله.

ومن الأسباب المانعة عن فهم كتاب الله أنهم ظنوا أن ما حكى الله عن المشركين، وما حكم عليهم به، ووصفهم به، خاص بقوم مضَوا، وأناس سلفوا وانقرضوا، لم يعقبوا وارثاً. وربما سمع بعضهم قول من يقول من المفسرين: هذه نزلت في عباد الأصنام، هذه نزلت في النصارى، هذه في الصابئة، فيظن الغُمر أن ذلك مختص بهم، وأن الحكم لا يتعداهم، وهذا من أكبر الأسباب التي تحول بين العبد وبين فهم القرآن والسنة." انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧٨). وتحفة الطالب والجليس (ص/ ٦٤-٦٥).

فقل له: [١] كيف تبرّئ نفسك من الشِّرك وأنت لا تعرفه؟[٢]

أم كيف يحرِّم الله عليك هذا [٣] ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه، ولا تعرفه؟!![٤]

أتظنَّ أن الله يحرِّمه ولا يبيّنه لنا؟ [٥]

---

(١) أي: إذا كان لا يدري، وهو كذلك.

(٢) أي: إذا كنت لا تعرف حقيقة الشرك، ولا حقيقة التَّوحيد، فكيف تقول: أنا لا أشرك بالله شيئا وأنت لا تدري معنى الشرك والتوحيد، وهل الحكم على الشيء إلا بعد تصوره، فحكمك براءة نفسك من الشرك وأنت لا تعلمه حكم بلا علم فيكون مردوداً. انظر شرح الشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٢٧١) وشرح ابن عثيمين (ص/ ٩٥-٩٦).

(٣) أي: الشِّرك.

(٤) أي: لماذا لا تسال ولا تتعلم عن الشرك الذي حرمه الله تعالى أعظم من تحريم قتل النفس والزنا وأوجب لفاعله النار وحرم عليه الجنة، فعدم معرفتك له وعدم مبالاتك به يدل على أنك لا تعرف دينك، وأنك لست من التدين في شيء، صادٌ غافل مُعرِض عن الدِّين ومعرفته، فحقُّك السكوت، ولأي شيء تتكلم.

قال ابن القيم: "وَهَذَا لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ وَالشِّرْكَ، وَمَا عَابَهُ الْقُرْآنُ وَذَمَّهُ وَقَعَ فِيهِ وَأَقَرَّهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَصَوَّبَهُ وَحَسَّنَهُ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ نَظِيرُهُ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُ، أَوْ دُونَهُ، فَيَنْقُضُ بِذَلِكَ عُرَى الْإِسْلَامِ عَنْ قَلْبِهِ، وَيَعُودُ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، وَالسُّنَّةُ بِدْعَةً، وَيَكْفُرُ الرَّجُلُ بِمَحْضِ الْإِيمَانِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، وَيُبَدَّعُ بِتَجْرِيدِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمُفَارَقَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَقَلْبٌ حَيٌّ يَرَى ذَلِكَ عِيَانًا، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ."

انظر شرح العلامة ابن إبراهيم على الكشف (ص/٧٨) وشرح ابن عثيمين (ص/ ٩٥-٩٦) والمدارج (١/ ٣٥١-٣٥٢).

(٥) لأن ما حرَّمه الله وغلظ تحريمه لا بدَّ أن يكون بيانه واقعا على وجه الوضوح، حتى يتهيأ للخلق اجتنابه.

=

الشُّبهَةُ الثَّامِنَة وَالردُّ عَلَيها [١]

= قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر: "ومعلوم أن الله سبحانه أنزل كتابه تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

وقد أخبر في كتابه أنه أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا، فكيف يجوز أن يترك بيان الشرك، الذي هو أعظم ذنب عصي الله به سبحانه؟! فإذا أصغى الإنسان إلى كتاب الله وتدبره، وجد فيه الهدى والشفاء. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]." انظر شرح الكشف للعصيمي (ص/٥٩) الدرر السنية (١١/١٨) ومجموعة الرسائل والمسائل (٤/٦٠١).

(١) مضمون هذه الشبهة أن المشرك يدعي بخصوصية الشرك بعبادة الأصنام، ومنهم من يجعل ضمن الشبهة السَّابقة، وليس ببعيد، ولكن ترتيبنا أسهل وأضبط.

وينبغي أن نذكر حقيقة الشِّرك لتتضح الشبهة، فنقول:

إن مادَّة (شرك) تفيد في اللغة أن يكون الشيء بين اثنين، لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلانا في الشيء، إذا صرت شريكه، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ٣٢﴾ [سورة طه:٣٢]. أي: اجعل شريكي فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٩﴾ [سورة الزمر:٢٩].

واصطلاحا: الشرك عند أهل السنَّة هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، لقول الله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [سورة الشعراء:٩٨].

قال ابن القيم: " حقيقة الشرك هو التشبّه بالخالق والتشبيه للمخلوق به."

وهذه التسوية التي حصلت من المشركين إنما كانت في بعض الأشياء التي يستحقها الرب جلَّ وعلا، لا في جميعها، إذ لم يوجد أحد سوَّى بين الله وبين مخلوق في جميع الأشياء.

قال شيخ الإسلام: "وأصل الشِّرك أَن تعدل بِاللَّه تَعَالَى مخلوقاته فِي بعض مَا يسْتَحقّهُ وَحده؛ فَإِنَّهُ لم يعدل أحد بِاللَّه شَيْئا من الْمَخْلُوقَات فِي جَمِيع الْأُمُور، فَمن عبد غَيره أَو توكل عَلَيْهِ فَهُوَ مُشْرك بِهِ."

وَهَذه التَّسوِية تنقَسم إِلَى ثلاثة أقسام:
=

١) تسوية تقع في القلب والنيات، فالأصل فيه أنه شرك أكبر مخرج من الملَّة، وقد يكون أصغر كيسير الرياءِ والسمعة واعتقاد سببية ما ليس بسبب ونحوها فأصغر.

٢) تسوية تقع في الأفعال، فهذه قد تكون أكبر كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وقد تكون أصغر كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاءِ أو دفعه، وكتعليق التمائم خوفاً من العين، على أنها سبب.

٣) تسوية تقع في الألفاظ والكلمات، أي: أن يستخدم الألفاظ الخاصة بالله جلَّ وعلا في المخلوق، كالحلف بغير الله، وهذا شرك أصغر، وإن صاحبه الاعتقاد صار أكبر.

قال ابن القيم: " وَمِنَ الشِّرْكِ بِهِ سُبْحَانَهُ الشِّرْكُ بِهِ فِي اللَّفْظِ، كَالْحَلِفِ بِغَيْرِهِ".

أقسام الشِّرك:

للشِّرك تقسيمات باعتبارات مختلفة، فمنها:

الأوَّل: تقسيم الشِّرك باعتبار حكمه:

الشرك بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين:

١) الشرك الأكبر هو كلُّ شرك أطلقه الشَّارع وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه.

٢) الشرك الأصغر هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركا.

والفرق بينهما من وجوه:

أ) أنَّ ألأكبر لا يغفره الله لصاحبه إلا بالتوبة، بخلاف الأصغر على الصحيح.

ب) أن الأكبر محبط لجميع الأعمال بخلاف الأصغر.

ت) أن الأكبر مخرج من الملَّة الإسلامية بخلاف الأصغر.

ث) أن الأكبر يحل النفس والمال بخلاف الأصغر.

ج) أن الأكبر يخلد صاحبه في النَّار، بخلاف الأصغر.

ويجتمعان في شيئين:

١) أنهما من أكبر الكبائر.

٢) أنه يستحق صاحبهما الوعيد.

الثَّاني: تقسيم الشِّرك باعتبار ما يقع فيه:

=

فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) شرك الألوهيَّة، وهو اتخاذ مع الله إلها، يصرف لهم العبادات، سواء كان هذا المعبود صنما، أو وليا، أو نبيا، أو جنيا، بهذا يتضح بطلان الشبهة.

٢) شرك في الربوبيَّة، وهو اعتقاد مساو لله يفعل مثل أفعال الله الخاصة به، كالرزق والإحياء والإماتة وتصرف الكون.

٣) شرك في الأسماء والصِّفات وهو اعتقاد مساو لله في أسمائه وصفاته على الوجه الذي اختص به، وهو الكمال المطلق، وهذا هو شرك التمثيل.

وأمَّا شرك التعطيل فهو تعطيل ذات الرب جلَّ ذكره عن أسمائه وصفاته وكماله المقدَّس.

وقد أفتى شيخنا يحيى حفظه أن الشرك الذي يكون في الأسماء والصفات لا يكون أصغر، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

الثَّالث: تقسيم الشِّرك باعتبار ظهوره وخفائه:

ينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

١) الشرك الجلي، وهو الجلي واضح من جهة ما يقوم به من الظاهر أو من جهة الحكم الشَّرعي.

٢) الشِّرك الخفي هو عكس الجلي.

مسالة: كيفيّة التخلص من الشّرك:

قال شيخ الإسلام: "وَطَرِيقُ التَّخَلُّصِ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ كُلِّهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وَلَا يَحْصُلُ الْإِخْلَاصُ إلَّا بَعْدَ الزُّهْدِ وَلَا زُهْدَ إلَّا بِتَقْوَى وَالتَّقْوَى مُتَابَعَةُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ."

انظر الشرك في القديم والحديث (١/ ١٤١) وحاشية ابن قاسم على كتاب التَّوحيد (ص/ ١٥) الداء والدواء (ص/ ١٣٤) (ص/ ٢١٣) والاستقامة لابن تيمة (١/ ٣٤٤) والمدارج (١/ ٣٦٨) وفتح المجيد (ص/ ٦٤٩) والقول المفيد (٢/ ٩٨) ومجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٣) وفتاوى الجنة الدائمة (١/ ٥١٧) وفتاوى ابن عثيمين (٢/ ٢٠٢) ومجموع ابن تيمية (١/ ٩٤) وفتاوى شيخنا العلامة الحجوري (٢/ ٤).

فإن قال: الشِّرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام. (١)

فقل له: وما معنى عبادة الأصنام؟ (٢)

أتظن أنهم كانوا يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق، وترزق، وتدبِّر أمرَ من دعاها؟ (٣)

فهذا يكذِّبه القرآن، (٤) كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة يونس: ٣١].الآية.

---

(١) زعم أن الشرك عبادة الأصنام بخصوصه، وهو في زعمه أنه لا يعبد الأصنام بل الولي، فجاوبه بالاستفسار والتحدي فبه يندحض وتنكشف شبهته، ويظهر جهله وضلاله، وأنه أجنبي مما عليه المرسلون وما هو دين المشركين. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧٩).

(٢) قال الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع في حاشيته على كشف الشبهات (ص/ ٢٢): "معنى عبادة الأصنام اتَّخاذها وسائط بأن يتقرب إليها عابدها بما يزعم أن يقربه إلى الله كالذبح لها، والنذر ودعائها، كما يفعله المشركون عبَّاد الأموات."

(٣) قال ابن القيم: " وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار {تالله إن كنا لفي ضلال مبين - إذ نسويكم برب العالمين} [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم - بل أكثرهم - يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله". انظر المدارج (١/ ٣٦٨).

(٤) أي: إن قال: نعم، فهذا يكذبه القرآن، لأنه دال على أنهم لا يعتقدون فيها ذلك أصلاً. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٧٩).

وإن قال: [(١)] هو مَن قَصد خشبة [(٢)] أو حجَرا، أو بِنية على قبر، [(٣)] أو غيرها، يدعون ذلك، ويذبحون له، [(٤)] ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زُلفى، [(٥)] ويدفع الله عنَّا ببركته، أو يعطينا ببركته. [(٦)]

---

(١) أي: المشرك، وسقط هذا اللفظ عن بعض النسخ، فظن بعضهم أن إثباتها خطأ، لأن المشرك لا يدري حقيقة الشرك، فكيف يقول هذا؟ وخفي عنه أنه لما ادَّعى المشرك حصر الشرك في الأصنام، طلب منه تعريف عبادة الأصنام، فعرَّف بهذا التعريف، وهذا كلّه من باب الافتراض وإلزام الخصم، لأنه قيل: شركهم أما أن يكون في أصل الربوبية أو يكون في الألوهية، فالاحتمال الأوَّل قد كذَّبه القرآن، فلم يبق له إلا أن يأخذ الاحتمال الثاني، فقال هذا القول، مع أنه ينتبه أنَّ (إن) لا تفيد حصول المطلوب، فربما لا يقوله، وإنما هو من باب الافتراض، والحمد لله ربِّ العالمين.

(٢) في نسخة: (إنهم يقصدون خشبة)، وفي بعضها: (أو هو قصد أثر عبد صالح خشبة أو حجرا).

(٣) واحدها بنية، وهو ما يجعل على قبر من نوع البناء ويعكف عنده.

(٤) أي: أنه كان شركهم في الألوهية، وصرف العبادات لهم.

(٥) أي: قربة ومنزلة. انظر تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٦).

(٦) أي: يقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، يدفع الله عنا بها، فيعبدونها، ويقولون: تقبل النذر، أي: تقبل العبادة من دون الله تعالى، فإن النذر عبادة وقربة، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ويتمسحون بذلك النصب، ويستلمونه.

قال عبد الرحمن بن حسن: "وقد عرفت أن عبادة الأشجار والقبور والأحجار، بدعائهم لها باستمداد البركة منها في زعمهم، أنه أبطل الباطل، وأمحل المحال، كما دل عليه الكتاب والسنة؛ وهذا الجواب يكفيك عما تقدم، من السؤالات، فكل ما كان يفعل عند القبور من التعظيم لها ولأربابها، وقصدها، والتبرك بها، والدعاء عندها، أو لها، كل هذا شرك وضلال.

فتأمل قوله عن خليله عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩] ، والحنيف هو: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه."

=

فقل: صدقت. [(١)]

وهذا هو فعلكم عند الأحجار، والأبنية التي على القبور وغيرها. [(٢)]

= وقال الشيخ صالح آل الشيخ: "وتحقيق المقام: أن التبرك بالشجر، أو بالحجر أو بالقبر، أو ببقاع مختلفة، قد يكون شركا أكبر، وقد يكون شركا أصغر.

فيكون شركا أكبر: إذا طلب بركتها، معتقدا أنه بتمسحه بهذا الشجر، أو الحجر أو القبر، أو تمرغه عليه، أو التصاقه به: يتوسط له عند الله. فإذا اعتقد فيه أنه وسيلة إلى الله فهذا: اتخاذ إله مع الله جل وعلا وشرك أكبر

ويكون التبرك شركا أصغر: إذا كان يتخذ هذا التبرك بنثر التراب عليه، أو إلصاق الجسم به، أو التبرك بعين ونحوها، أسبابا لحصول البركة بدون اعتقاد أنها توصل وتقرب إلى الله، يعني: أنه جعلها أسبابا فقط".

انظر إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٢١٢) والتَّمهيد لشرح كتاب التَّوحيد (ص/ ١٢٩) والدرر السنية (١١/ ٥٠٩) ومجموعة الرسائل والمسائل (٢/ ٤٤).

(١) أي: في تفسير عبادة الأصنام.

(٢) أي: هذا الذي ذكرت هو بعينه ما وقعتم فيه مع معظميكم.

قال الشيخ حمد بن ناصر: "وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور، التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله تعالى، والأحجار التي تقصد بالتعظيم والتبرك، والنذر والتقبيل، فلا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض، مع القدرة على إزالتها؛ وكثير منها بمنْزلة اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، وأعظم شركا عندها وبها، والله المستعان.

فلم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت، يعتقد أنها تخلق، وترزق وتميت، وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها، ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم. فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع. وغلب الشرك على أكثر النفوس، لظهور الجهل وخفاء العلم".
انظر شرح الكشف للشيخ العصيمي (ص/ ٦٠) والدرر السنية (١١/ ١٠٠).

فهذا قد أقرَّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، [١] وهو المطلوب. [٢]

ويقال له أيضا: قولك: الشِّرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشِّرك مخصوص بهذا؟ [٣]

وأن الاعتماد على الصالحين[٤] ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟. [٥]

فهذا يردّه ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة، وعيسى والصالحين، [٦] فلا بدّ أن يقرّ لك أنَّ من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين[٧] فهو الشِّرك المذكور في القران، [٨] وهذا هو المطلوب. [٩]

---

(١) وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى العبادة التي أمر بها عباده في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البيِّنة (٥)] الآية، وغيرها من الآيات الدالَّة على ذلك. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٢٢)

(٢) المطلوب إقرارُه بالحق وكشف شبهته، وقد انكشفت شبهته واندحضت حجته، وتبين جهالته وضلالته. انظر شرح الكشف لمحمد بن إبراهيم (ص/ ٧٩).

(٣) محصورٌ دون عبادة من سواهم. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم على الكشف (ص/ ٨٠).

(٤) أي: التعلق بهم. شرح الكشف للشيخ العصيمي (ص/ ٦٠).

(٥) أي: فلا يكون شركا. شرح الكشف للشيخ العصيمي (ص/ ٦٠).

(٦) أي: أن القرآن العزيز بيَّن كفر من تعلق على هؤلاء، وكفر من تعلق على هؤلاء، كما تقدم، وأن عبادة الأصنام قسم من أقسام الشرك. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٨٠).

(٧) نبي أو ملك أو جني.

(٨) أي: أصل الشرك في العالم هو عبادة البشر الصالحين، وعبادة تماثيلهم، وإن كان منه عبادة الكواكب والأشجار. انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦٠).

(٩) وتبين أن من عبد صنماً أو وثناً أو غير ذلك فهو مشرك، وبهذا تنكشف شبهته وتندحض حجته. شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٨٠).

حَاصِلُ الأَجوِبَة عَنِ الشُّبهَة الثّامِنَة

وسرُّ المسألة: [١] أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله. [٢]

فقل له: وما الشرك بالله، فسِّره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام، فَسِّرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده. [٣] فقل: ما معنى عبادة الله وحده، لا شريك له، فسِّرها لي؟

فإن فسرها بما بيَّنه الله في القرآن [٤] فهو المطلوب. [٥]

وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه؟ [٦]

---

(١) يعني خالص وحاصل الأجوبة ولبُّها، وأصلها الذي يجمعها وترجع إليه، وحينئذ لا يخلو من ثلاث حالات:

الأولى: أن يفسرها بما دل عليه القرآن فهذا هو المطلوب والمقبول، وبه يتبين أنه لم يحقق عبادة الله وحده حيث أشرك به.

الثانية: ألا يعرف معناها، فيقال: كيف تدعي شيئاً وأنت لا تعرفه؟ أم كيف تحكم به لنفسك والحكم على الشيء فرع عن تصوره؟ .

الثالثة: أن يفسر عبادة الله بغير معناها، وحينئذ يبين له خطؤه ببيان المعنى الشرعي للشرك وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه بعينه، ويدعون أنهم موحدون غير مشركين. شرح ابن عثيمين (ص/ ٩٨-٩٩) وشرح العصيمي (ص/ ٦٢).

(٢) أي: نفى عن نفسه الشِّرك.

(٣) وقد تقدَّم أنه قال هذا.

(٤) أي: فسَّر تلك المعاني أو عبادة الله وحده.

(٥) وانتهت المناقشة.

(٦) فيعلَّم إذا كان يقبل التعلم.

وإن فسر ذلك بغير معناه [١] بيَّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان، [٢] وأنه الذي يفعلونه في هذا الزَّمان بعينه[٣]، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا[٤] ويصيحون منها كما صاح إخوانهم [٥] حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [سورة ص:٥] [٦].

* * *

(١) أي: بغير معناه الحق وصار جاهلا مركبا. (٢) وقد تقدَّم توضيح ذلك في أوَّ الشبهة.

(٣)فلا فرق بين فعلهم وفعل أولئك. (٤) أي: على دعاة التوحيد.

(٥) في إنكارهم التوحيد على الرسول لما دعاهم.

يقول العلامة الفقهي في تعليقه على كشف الشبهات (ص/١٧): "لقد كان مشركو قريش وغيرهم يحلفون بالله ما هم بمشركين، وأن الشرك إنما كان في غيرهم من الماضين، الذين كفروا بإبراهيم والأنبياء قبله، كما في سورة الأنعام: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)} وكانوا إذا قرئت عليهم الآيات التي تبين الشرك في نفسه، {قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤)} [النحل] مثل ما يقول الناس اليوم، ولقد كانوا يسمون آلهتهم أولياء، كما كرر الله حكاية ذلك عنهم مرارا، ولم يذكر عنهم ولا مرَّة واحدة أنهم قالوا: إنها أصنام، وإنما ذكرها عن قوم إبراهيم، وفي غير سورة من القرآن {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} في أكثر من عشرين موضعا، وكما قرر لهم أنهم عباد أمثالهم، وأنهم أموات غير أحياء، وأنهم لا يخلقون شيئا بل هم يخلقون، وأنهم سيكونون لهم يوم القيامة أعداء يكفرون بشركهم، ويتبرءون من عبادتهم لهم، وأنهم كانوا عن هذه العبادة غافلين، بما هم فيه من شأن القبر، وعلى العموم فالمهم المطلوب أن تتدبر القرآن وتؤمن أنَّ الله يكلم الناس به كل وقت بما هم فيهم من شرك وتوحيد وكفر وإيمان."

(٦) قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٥): " أَيْ: أَزَعَمَ أَنَّ الْمَعْبُودَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟ أَنْكَرَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَعَجَّبُوا مِنْ تَرْكِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَلَقَّوْا عَنْ آبَائِهِمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأُشْرِبَتْهُ قُلُوبُهُمْ فَلَمَّا دَعَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا."

الشُّبهَةُ التَّاسِعَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا [1]

فإن قال: [2] إنَّهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء، [3] وإنما كفروا لما قالوا: الملائكة بنات الله، [4] ونحن لم نقل عبد القادر ابن الله، [5] ولا غيره ابن لله. [6] فَالجوَاب: [7]

---

(١) مضمون هذه الشبهة أنهم يقولون: إن كفر المتقدمين خاص بمن نسب الولد إلى الله، وظاهر قولهم أنهم لم يكفروا بالشرك، وإنما كفروا بذلك فقط، وهذه شبهة واهية، من أوهى شبههم، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٢) والذي أتى بهذه الشبهة هو رجل يقال له القباني، فقال في فصل الخطاب: "العلة التي وجبت كفر المشركين هي اعتقادهم في الأنبياء، والأولياء، والملائكة أنهم أبناء الله، وبنات الله، تعالى الله عن ذلك." انظر دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (ص/ ٢٧٨).

(٣) أي: ليس سبب كفرهم أنهم عبدوا الملائكة والأنبياء، وصرفوا لهم الدعاء وغيرها من العبادات.

(٤) أي: سبب كفر مشركي العرب هو نسبتهم الولد لله تعالى، وليس لأنهم جعلوا الأصنام، أو الأولياء شفعاء تقربهم عند الله زلفى. انظر دعاوي المناوئين (ص/ ٢٨١).

(٥) تقدَّمت ترجمته.

(٦) لا في عزير، ولا في المسيح ولا في غيرهما.

(٧) أبطل المصنف هذه الشبهة بأمور أربعة:

١) أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل.

٢) أنَّ الله فرَّق بين النَّوعين، وجعل كل واحد منهما كفرا مستقلا.

٣) أنَّ من الكفار من لم ينسب إلى الله الولد، وقد كفرهم الله.

٤) أنَّ علماء المذاهب يذكرون في باب المرتد أنواعا من الكفريات، ومنها نسبة الولد إلى الله وعبادة غير الله، وفرَّقوا بين النَّوعين. وهذا بالإجماع، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. انظر شرح الكشف للشيخ العصيمي (ص/ ٦٦).

أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل، [(١)] قال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص: ١-٢]. [(٢)]

والأحد الذي لا نظير له. [(٣)] والصمد المقصود في الحوائج. [(٤)]

فمن جحد هذا فقد كفر، [(٥)] ولو لم يجحد آخِر السُّورة. [(٦)]

(١) معنى كونه مستقلا أن الشخص يكفر به إذا اعتقد، ولو لم يكن معه مكفِّر آخر.

(٢) أي: دليل كونه كفرا مستقلا، أنه يعتبر تكذيبا لهذه السورة العظيمة، ثم بيَّن وجه الشاهد منها.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٩٧): "يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وأفعاله."

(٤) قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٧/ ٢١٤): "وَالِاسْمُ الصَّمَدُ فِيهِ لِلسَّلَفِ أَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ قَدْ يُظَنُّ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ كُلُّهَا صَوَابٌ. وَالْمَشْهُورُ مِنْهَا قَوْلَانِ: **أَحَدُهُمَا:** أَنَّ الصَّمَدَ هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ. **وَالثَّانِي:** أَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ. **وَالْأَوَّلُ:** هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ. **وَالثَّانِي:** قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَجُمْهُورِ اللُّغَوِيِّينَ". قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٩٨): "وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ لَهُ بَعْدَ إِيرَادِهِ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ الصَّمَدِ: وَكُلُّ هَذِهِ صَحِيحَةٌ وَهِيَ صِفَاتُ رَبِّنَا عَزَّ وجل، هو الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَهُوَ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ، وَهُوَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ. "

(٥) أي: من جحد أحديَّته وصمديَّته، لكونه يكذِّب القرآن.

(٦) أي: قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].
في نسخة: (ولو لم يجحد السُّورة).

وقال الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ [سورة المؤمنون:٩١]. [١]

فَفرَّقَ بين النَّوعين، [٢] وجعل كلا منهما كفرا مستقلًا. [٣]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ [سورة الأنعام:١٠٠]. [٤] فَفرَّق بين كُفرَين. [٥]

والدَّليل على هذا أيضا: أن الذين كفروا بدعاء اللات -مع كونه رجلا صالحا- لم يجعلوه ابن الله، [٦]

---

(١) أي: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ وَأَنَّ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ آلِهَةٌ دُونَ اللهِ. قاله الطَّبري في تفسيره (١٧/ ١٠١).

(٢) وذلك لأن العطف يفيد المغايرة، كما هو معلوم من لغة العرب.

(٣) أي: يكفر الشخص بكل واحد منهما، ولو لم يقترن بالآخر.

(٤) قال السعدي في تفسيره (ص/ ٢٦٧): "يخبر تعالى: أنه مع إحسانه لعباده وتعرفه إليهم، بآياته البينات، وحججه الواضحات -أن المشركين به، من قريش وغيرهم، جعلوا له شركاء، يدعونهم، ويعبدونهم، من الجن والملائكة، الذين هم خلق من خلق الله، ليس فيهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، وهو المنعم بسائر أصناف النعم، الدافع لجميع النقم، وكذلك "خرق المشركون" أي: ائتفكوا، وافتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم، ومن أظلم ممن قال على الله بلا علم، وافترى عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟!!."

(٥) أي: بين الكفر بنسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى، وبين الكفر بإشراك غيره معه في العبادة. شرح الكشف للمصلح (٧/ ٩).

(٦)وذلك لأنه لم يرد دليل على ذلك، فلو جعلوه ابن الله لنقل، بل ظاهر القرآن أنهم لا يدعون ذلك، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك.[١]

وكذلك العلماء أيضا في جميع المذاهب الأربعة [٢] يذكرون في باب حكم المرتدّ[٣] أن المسلم إذا زعم أن لله ولدا فهو مرتدّ، [٤] وإن أشرك بالله فهو مرتدٌّ.

ويفرّقون بين النَّوعَين. [٥]

وهذا واضح في غاية الوضوح. [٦]

* * *

---

(١) أي: فإنه وإن كان في العرب من يزعم أنَّ الجن أبناء الله، ففيهم من لا يزعم ذلك، ويدعوهم من دون الله. انظر شرح الكشف للشيخ العصيمي (ص/ ٦٦).

(٢) وهم الأحناف، والمالكية والشافعية والحنابلة.

(٣) وَهُوَ) لُغَةً الرَّاجِعُ، يُقَالُ ارْتَدَّ فَهُوَ مُرْتَدٌّ إذَا رَجَعَ قَالَ: تَعَالَى: {وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [المائدة: ٢١] وَشَرْعًا (مَنْ كَفَرَ) نُطْقًا أَوْ اعْتِقَادًا أَوْ شَكًّا أو عملا (وَلَوْ) كَانَ (مُمَيِّزًا) فَتَصِحُّ رِدَّتُهُ كَإِسْلَامِهِ، وَيَأْتِي (طَوْعًا) وَلَوْ كَانَ هَازِلًا بَعْدَ إسْلَامِهِ. انظر مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى مصطفى بن سعد الحنبلي (٦/ ٢٧٥) والدر السنية (٨/ ١٧٧).

(٤) أي: يصير بذلك مرتدًّا.

(٥) اللذان هما: كفر من زعم لله ولداً، وكفر من جعل لله شريكاً، ففرقوا بين النوعين، وجعلوا كل واحد منهما كفراً مستقلاً. التوضيحات الكاشفات (ص/ ١٦١).

(٦) أي: تفريقهم بين النوعين واضح لمن نظر فيه وتأمل وتدبَّر، وقرأ كتب الفقهاء.

الشُّبهَةُ العَاشِرة وَالرَّدُّ عَليهَا [١]

وإن قال: [٢] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس:٦٢]. [٣]

فقل: هذا هو الحق، [٤] ولكن لا يُعبَدُون. [٥]

(١) مضمون هذه الشبهة أنَّ المشرك يستدل بهذه الآية على أن للأولياء لهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم، كما قال بنحوه في شفاعة النبي ﷺ.

ويمكن أن يكون مراده فرية يفتريها بعضهم، وهي أن الوهَّابيَّة ينكرون كرامات أولياء الله.

(٢) أي: في الاستدلال على شبهته.

(٣) يعني: أَلَا إِنَّ أَنْصَارَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنْهُمْ فَآمَنَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا. وَالْأَوْلِيَاءُ جَمْعُ وَلِيٍّ، وَهُوَ النَّصِيرُ. قاله الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٠٨).

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس:٦٢]. حق، بمعنى جعل الأولياء لهم كرامة، وأنهم لا يخافون ولا يحزنون حق. شرح الكشف لصالح آل الشيخ (ص/ ٢٩١).

(٥) يعني أنه ليس في الآية أنهم يُعبدون ولا أنهم يستغاث بهم ولا أنهم يُدعون من دون الله جل وعلا. بل في آيات أخر بين الله ن أن من اتخذ وليا من دون الله فقد ضلّ وخسر خسرانا مبينا كما قال جل وعلا ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾[الرعد:١٦]، وكقوله جل وعلا ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[النساء:١١٩]، يعني أنّ المردّ ليس إلى كونه وليا أو غير ولي، المردّ أن العبادة لله جل وعلا. شرح صالح آل الشيخ (ص/ ٢٩٣).

ونحن لم ننكر [١] إلا عبادتهم مع الله، وإشراكهم معه، [٢] وإلّا فالواجب عليك حبّهم [٣] واتباعهم [٤] ..

(١) في بعض النسخ (ولم نذكره) والتصحيح من نسخة مؤلفات الشيخ (١/ ١٦٩).

قال المصنف: "ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم بالحق وأنهم على هدى من ربهم، مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية؛ إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات، لا حال الحياة، ولا بعد المات؛ بل يطلب من أحدهم الدعاء في حال حياته، بل ومن كل مسلم، فقد جاء في الحديث: (دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه)" والحديث في مسلم. انظر الدرر السنية (١/ ٢٣١).

(٢) أي: أننا لم نتكلم معك بأنَّ هذا ليس بولي، أو ليس بصالح، وليس له كرامات، بل له كرامات وهو ولي، ولكن ليس معبودا مع الله عز وجلَّ، فميدان الحجة أن الولي يعبد أو لا يعبد.

قال المصنف: "وأما الصالحون فهم على صلاحهم رضي الله عنهم، ولكن نقول ليس لهم شيء في الدعوة؛ قال تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن : ١٨]." انظر شرح الكشف للعلامة صالح آل الشيخ (ص/ ٢٩٤) والدرر السنية (١/ ٦٩).

(٣) أي: لله، لا مع الله، فالأوَّل عبادة، والثاني: شرك، وكثير من الأذكياء لم يفرقوا بين الحب في الله، وبين الحب مع الله.

قال ابن القيم: "وَالْفرق بَين الْحبّ فِي الله وَالْحب مَعَ الله وَهَذَا من أهم الفروق وكل أحد مُحْتَاج بل مُضْطَر إِلَى الْفرق بَين هَذَا وَهَذَا فالحب فِي الله هُوَ من كَمَال الْإِيمَان وَالْحب مَعَ الله هُوَ عين الشّرك."
فحقيقة الْمَحَبَّةِ مَعَ اللَّهِ هي الَّتِي يُسَوِّي الْمُحِبُّ فِيهَا بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لِلنِّدِّ الَّذِي اتَّخَذَهُ مِنْ دُونِهِ.

انظر شرح الأصول الستَّة للعلامة الجامي رحمه الله (ص/ ٣٤) وكتاب الروح (ص/ ٢٥٣) والجواب الكافي (ص/ ١٩٠و١٩٩).

(٤) القول بأنه يجب اتباعهم مطلقا فيه نظر، فلا يجب اتباع أحد إلا الرسل، ولكن إذا كانوا علماء يجب اتباع الدليل الذي معهم، وقد قال شيخ الإسلام في الأولياء الذين لهم كرامات: "فَإِنَّهَا لَا تدل على عصمَة صَاحبهَا وَلَا على وجوب اتِّبَاعه فِي كل مَا يَقُوله" المستدرك (١/ ١٢٠). وسيأتي تمامه.

...والإقرار بكرامتهم. (١)

ولا يجحد كرامات الأولياء (٢) إلا أهل البدع والضلال. (٣)

ودين الله وسط بين طرفين، (٤) وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين. (٥)

(١) قال شيخ الإسلام في الواسطية: " وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. " مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦).

(٢) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "وكل من يذكر تعريف الكرامة وحدها، يقول: هي خرق الله العادة لوليه، لحكمة ومصلحة تعود عليه أو على غيره." انظر الدرر السنية (١٢/ ٢١١) والإرشاد للعلامة الفوزان (ص/ ١٩٢).

(٣) قال شيخ الإسلام في مختصر الفتاوى المصريّة (ص/ ٦٠٠): "كرامات الْأَوْلِيَاء حق بِاتِّفَاق أَئِمَّة أهل الْإِسْلَام وَالسّنة وَالْجَمَاعَة وَقد دلّ عَلَيْهَا الْقُرْآن فِي غير مَوضِع وَالْأَحَادِيث الصَّحِيحَة والْآثَار المتواترة عَن الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَغَيرهم وَإِنَّمَا أنكرها أهل الْبدع من الْمُعْتَزلَة والجهمية وَمن تَابعهمْ لَكِن كثيرا مِمَّن يدعيها أَو تدعى لَهُ يكون كَذَّابا أَو ملبوسا عَلَيْهِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهَا لَا تدل على عصمَة صَاحبهَا وَلَا على وجوب اتِّبَاعه فِي كل مَا يَقُوله بل قد تصدر بعض الخوارق من الْكَشْف وَغَيره من الْكفَّار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين كَمَا ثَبت عَن الدَّجَّال أَنه يَقُول للسماء أمطري فتمطر وللأرض أنبتي فتنبت وَأَنه يقتل وَاحِدًا ثمَّ يحيه وَأَنه يخرج خَلفه كنوز الذَّهَب وَالْفِضَّة. وَلِهَذَا أتفق أَئِمَّة الدّين على أَن الرجل لَو طَار فِي الْهَوَاء وَمَشى على المَاء لم يثبت لَهُ ولَايَة بل وَلَا إِسْلَام حَتَّى ينظر وُقُوفه عِنْد الْأَمر وَالنَّهْي الَّذِي بعث الله بِهِ رَسُوله ﷺ." انظر المستدرك (١/ ١٢٠).

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٥): "وَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ فِي إِنْكَارِ الْكَرَامَةِ: ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ إِنْكَارِ الْمَحْسُوسَاتِ."

(٤) أي: بين من يغلوا في الأولياء وبين من يقصر في حقوقهم.

(٥) قال السعدي في القول السديد (ص/ ٧٨): "والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

=

شِركُ الأَوَّلين أَخفُّ مِن شِركِ أَهلِ زَمَانِنَا [١]

= الأول: أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

الثاني: وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

الثالث: وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرءون من الغلو فيهم، وادعاء عصمتهم، والصالحون أيضا يتبرءون من أن يدعوا لأنفسهم حقا من حقوق ربهم الخاصة."

(١) وذلك من وجوه:

١) أنَّ الأوَّلين يشركون في الرَّخاء فقط، والمتأخرون يشركون في الرَّخاء والشدَّة.

٢) أنَّ الأوَّلين كانوا يعبدون أناسا صالحين، أو أحجار ليس لها ذنب، والمتأخرون يعبدون أناسا فسقاء فجارا كالبدوي وغيره. وهذان ذكرهما المصنِّف

٣) أنَّ الأولين كانوا يعبدون الأموات فقط، والمتأخرين ربما يعبدون الولي بزعمهم وهو حيّ.

٤) أنَّ الأوَّلين كانوا يقصدون التقرّب إلى الله، وأما المتأخرون فكثير منهم يعبد لأجل الدنيا.

٥)أنَّ الأوَّلين كانوا يقرون لله بأصل توحيد الربوبيَّة، والمتأخرون يشركون في الربوبيَّة وغيرها.

٦) أنَّ الأولين ما كانوا يسندون تصرَّف الكون إلى غير الله، وأمَّا المتأخرون فيجاهرون بذلك، وهذا قد يدخل في السابق.

٧) أنَّ الأوَّلين كانوا يفهمون معنى (لا إله إلا الله) فلذلك لا يقولونها، والمتأخرون يقولونها بدون فهم معناها.

٨) أنَّ الأوَّلين كانوا يتحاشون عن التناقض والتلبيس، بخلاف المتأخرين، فإنهم يقولونها ويفعلون نقيض مقتضاها، تناقضا وتلبيسا على المساكين.

٩) أنَّ الأوَّلين كانوا مقرِّين أنَّهم يعبدون غير الله، لأغراض يذكرونها، بخلاف المتأخرين.

١٠) أنَّ المتأخرين يفضلون الأضرحة والقبور على المساجد بل على الحج.

١١) أنَّ المتأخرين يرون أنَّ الاستغاثة بالولي أنفع وأنجح من الاستغاثة بالله.

١٢) أنَّ المتأخرين يخافون من الصالحين والأولياء أشد من خوف الله.

=

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وَقتِنا (الاعتقاد) [(١)] هو الشِّرك الذي نزل فيه القرآن، [(٢)]

= ذكر جلّ هذه الفروق في مواضع متعدّدة الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد، وبعضها ذكرها الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الفتح المجيد وقرة عيون الموحدين، وبعضها من زياداتي، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

تنبيه مهمّ

قول أئمة الدَّعوة: (شرك المتأخرين أغلظ من شرك المتقدمين) لا يريدون أن جميع المتأخرين الذين أشركوا مع الله أنهم كفار، لأن بعضهم جهال، لا يجوز تكفيرهم، وإنما يريدون أنهم فِي زَاوية شركهم أشد من المتقدمين شركا، للوجوه التي ذكرنا، ولذلك لم يقولوا فيها أعلم: إنهم أكفر من المتقدمين، فلا بدَّ أن يفرَّق بين العبارتين، وذلك لأن المتقدّمين أشدّ كفرا بكثير.

قال العلامة الجامي: "هل هذه الزاوية نعممها ونطبقها على جميع أعمالهم، وهم أسوأ حالا من المشركين الأوَّلين في كلِّ شيء؟

هذا غير وارد، وغير مراد للشيخ، وذلك أنَّ المشركين الأوَّلين أنكروا رسالة محمد ﷺ وآذوه، وهؤلاء يؤمنون برسول الله ﷺ وبرسالته، ويؤمنون بالجملة بما جاء به رسول الله ﷺ على جهل وتخبط كما تعلمون، ويؤمنون بالجملة بالقرآن، ... ويؤمنون بالبعث، وما يجري بعد ذلك من الجزاء والعذاب، ويؤمنون بالجنة والنَّار، هذه فروض ثابتة يخالفون بها المشركين الأوَّلين، ... لو وعظت هؤلاء بالكتاب والسنَّة وذكَّرتهم بالله واليوم الآخر، لوجدت لديهم تأثرا، أمثال هؤلاء في قلوبهم شيء من الإيمان، ولم توصف بالخراب الكلِّي".

وقال أيضا: "لذلك لا يقال: إن المشركين اليوم أسوأ حالا من المشركين الأوَّلين، ولكن الذي يجب أن يقال لأنه الواقع: إن كثيرا من المنتسبين إلى الإسلام اليوم قد يقفون في بعض المواقف أسوأ مما فعله المشركون الأوَّلون، هذه النقطة التي أشرنا إليها."

انظر شرح القواعد الأربع للجامي (ص/ ٩٧) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز للجامي الشريط السابع، الدقيقة الرابعة

(١) في نسخة: (كبير الاعتقاد)، وقد يسمونه التوسُّل، وقد تقدم شرحها.

(٢) ومراده رحمه الله أنَّ المشركين تقربوا إلى الله بدعاء الأصنام، والأوثان والملائكة والصالحين، وصرفوا لهم أنواع العبادة من الذبح والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أواع العبادة، معتقدين أنَّ ذلك =

وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأوَّلين أخف من شرك أهل زماننا[١] بأمرين:[٢]

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة، أو الأولياء أو الأوثان مع الله إلا في الرخاء.[٣]

وأما في الضرّ والشِّدَّة فيخلصون لله الدعاء،[٤] كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الإسراء:٦٧].[٥]

= قربة إلى الله، ينالون به الزلفى لديه، ولكنهم بهذا العمل صرفوا توحيد العبادة لغير الله، فبذلك صاروا مشركين، وسموا شركهم اعتقادا بالأولياء والصالحين، وما هو إلا الشرك الأكبر المنابذ لدين الله تعالى. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٢٤).

(١) في نسخة: (وقتنا).

(٢) ليس دليلاً على أنه لا يتغلظ إلا بهذين الأمرين، بل يريد أنه تغلظ بهذين الأمرين. شرح كشف الشبهات للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٨٣)

(٣) قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٨/ ٥٠): "فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُوَحِّدُهُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُوَحِّدُهُ فِي الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ دُونَ النِّعْمَةِ وَالرَّخَاءِ بَيَانُهُ فِي قَوْلِهِ: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}."

(٤) لعلمهم أنه لا ينجي في المضايق والكروب إلا الله فيخلصون لله الدين. انظر شرح كشف الشبهات للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٨٣).

(٥) قال الطبري في تفسيره (١٤/ ٦٦٨): "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا نَالَتْكُمُ الشِّدَّةُ وَالْجَهْدُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ: يَقُولُ فَقَدْتُمْ مَنْ تَدْعُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَجَارَ عَنْ طَرِيقِكُمْ فَلَمْ يُغِثْكُمْ، وَلَمْ تَجِدُوا غَيْرَ اللَّهِ مُغِيثًا يُغِيثُكُمْ دَعَوْتُمُوهُ، فَلَمَّا دَعَوْتُمُوهُ وَأَغَاثَكُمْ، وَأَجَابَ دُعَاءَكُمْ وَنَجَّاكُمْ مِنْ هَوْلِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ فِي الْبَحْرِ أَعْرَضْتُمْ عَمَّا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ رَبُّكُمْ مِنْ خَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ، وَإِفْرَادِهِ بِالْأُلُوهَةِ كُفْرًا مِنْكُمْ بِنِعْمَتِهِ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ يَقُولُ: وَكَانَ الْإِنْسَانُ إِذًا جَحَدَ لِنِعَمِ رَبِّهِ."

وقوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الأنعام: ٤٠-٤١].[1]

وقوله: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزمر:٨].[2]

---

(١) قال الطبري في تفسيره (٩/ ٢٤٠): "قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ باللَّهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، أَخْبِرُونِي إِنْ جَاءَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَذَابُ اللَّهِ، كَالَّذِي جَاءَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ هَلَكَ بَعْضُهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضُهُمْ بِالصَّاعِقَةِ، أَوْ جَاءَتْكُمُ السَّاعَةُ الَّتِي تُنْشَرُونَ فِيهَا مِنْ قُبُورِكُمْ وَتُبْعَثُونَ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، أَغَيْرَ اللَّهِ هُنَاكَ تَدْعُونَ لِكَشْفِ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ تَفْزَعُونَ لِيُنْجِيَكُمْ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعْمِكُمْ أَنَّ آلِهَتَكُمُ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ."

ثم قال: "مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ بِمُسْتَجِيرِينَ بِشَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنْ آلِهَةٍ وَوَثَنٍ وَصَنَمٍ، بَلْ تَدْعُونَ هُنَاكَ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبِهِ تَسْتَغِيثُونَ وَإِلَيْهِ تَفْزَعُونَ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ يَقُولُ: فَيُفَرِّجُ عَنْكُمْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكُمْ بِهِ وَتَضَرُّعِكُمْ إِلَيْهِ عَظِيمَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ بِكُمْ إِنْ شَاءَ أَنْ يُفَرِّجَ ذَلِكَ عَنْكُمْ، لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ مَا تَدْعُونَهُ إِلَهًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ.

﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يَقُولُ: وَتَنْسَوْنَ حِينَ يَأْتِيكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا مَا تُشْرِكُونَهُ مَعَ اللَّهِ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ، فَتَجْعَلُونَهُ لَهُ نِدًّا مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَدْعُونَهُ إِلَهًا."

(٢) قال السعدي في تفسيره (ص/ ٧٢٠): " يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحرٍ أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا الله، فيدعوه متضرعا منيبا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

=

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة لقمان: ٣٢].[1]

فمن فهم هذه المسألة [2] التي وضَّحها الله في كتابه، وهي أنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضرَّاء والشِّدَّة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، [3] تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين. [4]

= ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ الله ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾ بأن كشف ما به من الضر والكربة، ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

﴿قُلْ﴾ لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار."

(١) قال الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٧٩): "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا غَشِيَ هَؤُلَاءِ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ، فَخَافُوا الْغَرَقَ، فَزِعُوا إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، لَا يُشْرِكُونَ بِهِ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَدْعُونَ مَعَهُ أَحَدًا سِوَاهُ، وَلَا يَسْتَغِيثُونَ بِغَيْرِهِ."

(٢) سيوضحها المصنف.

(٣) وذلك لأنَّ التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه فَأَما أعداؤه فينجيهم من كرب الدُّنْيَا وشدائدها {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هم يشركُونَ} وَأما أولياؤه فينجيهم بِهِ من كربات الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وشدائدها، ... فَمَا دفعت شَدَائِد الدُّنْيَا بِمثل التَّوْحِيد. قاله ابن القيم في الفوائد (ص/ ٥٣).

(٤) يعني أن شرك أهل زماننا أعظم وأكبر وأَطَم، وإنما ضلوا بتركهم القرآن والإعراض عنه والتفهم والتدبر.

=

ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا، والله المستعان. [(١)]

والأمر الثَّاني: [(٢)] **أنَّ الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله،(*) إمَّا أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله، ليست عاصية.** [(٣)]

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس. [(٤)]

= قال العلامة الشنقيطي: "إِنَّ اللَّهَ ذَمَّ الْكُفَّارَ وَعَاتَبَهُمْ بِأَنَّهُمْ فِي وَقْتِ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ خَاصَّةً يُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، وَلَا يَصْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ لِمَخْلُوقٍ، وَفِي وَقْتِ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ يُشْرِكُونَ بِهِ غَيْرَهُ فِي حُقُوقِهِ الْوَاجِبَةِ لَهُ وَحْدَهُ، الَّتِي هِيَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَيُعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ جَهَلَةِ الْمُتَسَمِّينَ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا دَهَمَتْهُمُ الشَّدَائِدُ، وَغَشِيَتْهُمُ الْأَهْوَالُ وَالْكُرُوبُ الْتَجَئُوا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ مِمَّنْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ الصَّلَاحَ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُخْلِصُ فِيهِ الْكُفَّارُ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَوْضَحَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ وَإِنْجَاءَهُ مِنَ الْكَرْبِ مِنْ حُقُوقِهِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ." انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٨٦) وأضواء البيان (٣/ ١٧٤).

(١) قال الشيخ العلامة ابن مانع في حاشيته على كشف الشبهات (ص/ ٢٦): "وأقول: إن من نعم الله عباده أنَّ التوحيد الصحيح المبني على الكتاب والسنَّة، قد انتشر في هذا الزمن وكثر أتباعه، والدعاة إليه، وذلك رحمة من الله لعباده، ثم بسبب انتشار كتبه، كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه ابن القيم، وشيخ الإسلام المصنِّف وأولاده، وتلاميذهم، فجزاهم الله عن الإسلام، والمسلمين خيرا." انظر درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين للعالم محمد بن أحمد الحفظي (ص/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) أي: في بيان أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه رحمه الله أن المشركين في عهد الرسول ﷺ. شرح ابن عثيمين (ص/ ١٠٢). (*) أي: لهم درجة ومنزلة عند الله.

(٣) أي: خاضعة لسنة الله الكونيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد (١٥)]، وقال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران(٨٣)]، وليست متمردة على الله تمرد هؤلاء الكافرين الذين ما خلقهم الله إلا لعبادته وحده. انظر تعليقات الشيخ الفقهي على كشف الشبهات (ص/ ١٧).

(٤) كأحمد البدوي، الذي دخل يوما في مسجد فبال فيه، وابن عربي الذي قال عنه أبو محمد ابن عبد السلام: شيخ سوء مقبوح، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا، وغيرهما. وربما يكون المعبود أو صاحب =

والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور [(١)] من الزِّنا والسِّرقة وترك الصلاة وغير ذلك. [(٢)]

والذي يعتقد في الصَّالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون [(٣)] ممن يعتقد فيمن يشاهد بِنَفسه فسقه وفَسَاده...

= القبر كافرا، والعابدون يظنون شخصا آخر، كما ذكر عن قبر الحسين بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في القاهرة، قال شيخ الإسلام: "فَقَدْ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنْ الثِّقَاتِ: عَنْ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ القشيري الْمَعْرُوفِ بِابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلَفِ الدِّمْيَاطِيُّ وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ القسطلاني وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ الْقُرْطُبِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ وَشَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى. وَطَائِفَةٌ عَنْ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الديريني - كُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ حَدَّثَنِي عَنْهُ مَنْ لَا أَتَّهِمُهُ وَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِهِمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ كُلٌّ يُحَدِّثُنِي عَمَّنْ حَدَّثَنِي مِنْ هَؤُلَاءِ: أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ أَمْرَ هَذَا الْمَشْهَدِ وَيَقُولُ: إنَّهُ كَذِبٌ وَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ الْحُسَيْنُ وَلَا غَيْرُهُ. وَالَّذِينَ حَدَّثُونِي عَنْ ابْنِ القسطلاني ذَكَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إنَّ فِيهِ نَصْرَانِيًّا بَلْ الْقُرْطُبِيُّ وَالْقَسْطَلَانِيّ ذَكَرَا بُطْلَانَ أَمْرِ هَذَا الْمَشْهَدِ فِي مُصَنَّفَاتِهِمَا. وَبَيَّنَا فِيهَا أَنَّهُ كَذِبٌ. كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ." انظر مجموع الفتاوى (٢/ ٢٤٠) (٢٧/ ٤٨٥-٤٨٦) وقرة عيون الموحدين (ص/ ١٠٦).

(١) مثلما وقع في طبقات الشعراني: أن من كرامات سيده على وحيش: أنه كان يفعل الفاحشة بالحمير على باب السوق. تعليقات الفقهي على كشف الشبهات (ص/ ١٧).

(٢) بل آل الأمر إلى أنهم يحكون هذه القبائح ويعدونها من الكرامات كما يفعله الشعراني في كتبه. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٢٦).

(٣) وليس المراد تخفيف هذا دون هذا، بل كل منهما كفر بنص الكتاب والسنَّة، ولكن هذا من جهة العقل، والشيخ كتب هذه الرسالة في بطلان هذا كلِّه، فلا يفهم أنَّ هذا لا يكون كفرا. كذا في بعض هوامش الكتاب، وكأنه تعليق من بعض أئمة التوحيد. قال الشيخ محمد بن إبراهيم في شرحه (٨٧): " فإنه معلوم أن من دعا مع الله غيره من أي شيء كان فهو كافر، وصَارفٌ حقَّ رب العالمين لغيره؛ وكون ذلك المصروف لنبي أو غيره لا ينجيه من الشرك، ولكنه أهون من الثاني؛ فإن عظَّم من لا يُعظَّم بوجه، وهو كالمعاند أيضًا. النصوص الشرعية دلت على نقص هذا وأنه مرذول ومَهين وهذا عاكسَ الشرعَ وجعله معظماً، فصار شركه أعظم، وإن كان الكل شرك وكفر وضلال. =

... وَيَشهَد به. [١]

= فظهر بذلك صحة ما قاله المصنف وأن شرك مشركي زماننا أعظم وأغلظ من شرك المشركين الأولين؛ لكن الأولين عندهم شبهة أهل الجاهلية وهو أنه معظم في الجملة. والذي يدعو فاسقاً أو كافراً يطلب ممن كان ممقوتاً مذموماً في الشرع ويعبده فكان معانداً للشرع، فاستَوَيَا في أن الكل شرك، وافترقا فيمن هو معظم في الجملة. والثاني عظم من ليس معظماً بحال فصار أعظم شركاً؛ فإن الأولين لو عظموهم بغير الشرك لكان سائغاً، والفاسق ونحوه لو عظم بدون عبادة له لكان المعظم له عاصياً إذا كان معبودهُ تقام عليه الحدود أو فاسق."

(١) لأن الذي يعتقد في الصالح ربما يكون له شبهة، وأن لهم جاه عند الله، وإن كانت أوهى من العنكبوت، بخلاف الكافر والفاجر والفاسق فليس فيه أدنى شبهة. حاشية ابن حميد (ص/ ٨١).

قِصَّة عَجِيبَة:

قال العلامة النجمي: "ولقد حدَّثني ثقة من علماء الهند بقصة محصلها: أن رجلا من المسيحيين كانت له مزرعة في الهند زمن الاحتلال البريطاني له، وكان يعمل معه فيها شاب مسلم، فمات الكلب البريطاني فتأسف عليه، وأمر الشاب أن يحفر له قبرا في المزرعة، فدفنه فيه ثم بنى عليه قبة، وبعد أن انتهى الاحتلال ارتحل البريطاني وانتقلت المزرعة إلى أيدي بعض المسلمين هناك، فلما رأوا القبة ظنوا أنها على ولي فعبدوها، وكانوا يقيمون لها زيارة، وكان الشاب الذي حفر القبر وحضر القصة قد غاب عن ذلك البلد، ثم عاد إليه بعد زمن طويل، فرآهم يقيمون زيارة لتلك القبة، فجاء وأخبرهم خبرها فكذبوه وضربوه، فمكث حتى الليل، وذهب فحفر تحت القبة حتى وجد عظام الكلب ورأسه فوضعها لهم على القبة، ومن هنا نعلم ما وصل إليه بعض المسلمين من الخذلان، والعياذ بالله، والذي حدثني هذه القصة هو سعد الدين مليباري، الذي اشتغل في المعهد العلمي بصامطة مدرسا، ثم انتقل إلى الجامعة الإسلاميَّة، فاشتغل فيها زمنا طويلا مدرسا ومترجما، وكان رجلا فاضلا من أهل العلم والدين والورع، توفي رحمه الله في عام (١٤٠٢هـ)." انظر أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة (ص/ ٣٦٨-٣٦٩).

الشُّبهَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيهَا [١]

إذا تحقَّقت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصحُّ عقولا وأخفُّ شركا من هؤلاء، [(٢)] فاعلم أن لهؤلاء (شبهة) يوردونها [(٣)]

(١) مضمون هذه الشبهة أن من أدَّى بعض واجبات الدين لا يكون كافرا، ولو ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام، وهي شبهة واهية، لأن من ارتكب ناقضا يكون كافرا كما سيوضحه المصنّف رحمه الله.

(٢) يعني من شرك مشركي زماننا.

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "وممن أورد هذه الشبهة: عبد الله المويس في سدير، وابن إسماعيل في الوشم، وابن سحيم وابنه في الرياض، وسليمان بن عبد الوهاب في حريملاء، زعموا: أن هذه الأمة لا يقع فيها شرك ولا بدعة؛ فورثهم هذا الجاهل المرتاب، فقال بقولهم سواء بسواء.

وقد رد شيخنا، رحمه الله، شبهة أولئك المنكرين لدين الإسلام والدعوة إليه، وأبطل شبههم بالآيات المحكمات البينات، وبالسنة الصحيحة الصريحة، وبالعقل والفطرة، وبين بالأدلة والبراهين أن هذا الذي يفعله أولئك وغيرهم، في تلك الأوقات، أنه الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله.

وبين أن الذي دهى هؤلاء، وصدفهم عن معرفة الدين الذي بعث الله به المرسلين، هو عدم معرفتهم للتوحيد، وجهلهم بالشرك في العبادة والتنديد؛ وقد ألفوا هذا الشرك واعتادوه، فأنكروا ما خالف تلك العوائد، واشمأزت قلوبهم من الدعوة إلى الإخلاص في العبادة.

فأبطل الله ما أوردوه من الشبهات، فصمموا على الإنكار، وصاحوا عند الظلمة والفجار، فأظهر الله - وله الحمد - هذه الدعوة، وقبلها من أراد الله هدايته، وهم الخلق الكثير والجم الغفير، وأقر بها كثير من أهل الأمصار. وانتشرت بحمد الله في هذه الأعصار، ونفع الله بها أناسا من أهل تلك الأقطار، فاطمأنت بها القلوب، وذلت بها الألسن، فلم يبق لأهلها فيها مجادل ولا معاند، ولا مماحل. فلله الحمد على ظهور الحجة، وبيان المحجة، لا نحصي ثناء عليه، ولا ملجأ منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم." انظر الدرر السنية (١١/ ٣٧٠-٣٧١) ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٥٣-٥٤).

على ما ذكرنا.(١)

وهي من أعظم شبههم،(٢) فأصغ سمعك لجوابها.(٣)

وهي(٤) أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذِّبون الرَّسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذِّبون القرآن ويجعلونه سحرا.(٥)

ونحن نشهد أن لا إله إلا الله(٦) وأن محمَّدًا رسول الله،(٧) ونصدِّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟(٨)

---

(١) وهي أنَّ شرك المتقدمين أخف من شرك المتأخرين، ويريدون بذلك أنهم لا يكفرون بذلك، ولو توفرت فيهم الشروط، وانتفت الموانع، وأنَّ الشخص لا يكفر بالشرك إذا كان مقرا بما سيذكرونه، ولا يعارض هذا بما ذكرنا قبل، لاختلاف المقصدين، فتأمَّل.

(٢) وذلك لكثرة استعمالهم لها، مع ما فيها من تحريك العواطف، والقانون العام عند أهل العلم: إن البراهين لا تصلح إلا لذوي العقول، أما العواطف فتصلح للجمهور. انظر شرح الكشف للشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٢٣).

(٣) فيه إشارة إلى ما سيأتي من جواب، وأنه يحتاج إلى مزيد إصغاء وتدبر. قاله بعضهم.

(٤) أي: الشبهة.

(٥) مراده في إثبات هذه الفروق كما تقدَّم أنهم لا يكفرون بهذا الشرك والتنديد، كما سيأتي من كلام المصنف أنهم يقولون: إنكم تكفرون أناسا يصلون ووو فتأمَّل.

(٦) أي: نتلفَّظ بها بدون فهم معناها، وإلا لما عبدوا الله غير الله جلَّ وعلا.

(٧) أي: في الجملة، وإلا من آمن به حقا لا يكون الشرك ديدنه، كيف وقد أرسل إلينا لمحاربة الشِّرك.

(٨) فكيف تسوُّون مَن يقر بهذه الأمور العظيمة وبين من يجهلها؛ يعني وأنكم سويتم بين المتفارقين وجمعتم بين المختلفين؛ بل ما اقتصرتم، بل جعلتمونا أعظم جهلاً وضلالاً منهم.

=

فالجواب: (١) [الأوَّل] أنَّه لا خلاف بين العلماء كلِّهم أن الرجل إذا صدَّق رسول الله ﷺ في شيء، وكذَّبه في شيء، أنه كافر (٢)

= فعرفت أنهم يعارضون ما قرره المصنف ويقولون لسنا منهم، وأنتم جعلتمونا أعظم منهم، كيف تجعلون من كانت فيه هذه الخصال والفروق كمن ليس فيه منها شيء؟ شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٨٩).

(١) ذكر لهذه الشبهة ثمانية أجوبة، وربما جعل تسعة، والذي يجمعها كلها أنه من فعلَ ناقضًا من نواقضِ الإسلام، انتقض إسلامه ودينه مطلقًا، ولا ينفعه كونه يتلفظ بالشهادتين أو يقرّ بالشهادتين، أو يصوم، أو يصلي، أو يزكي، إذا فعلَ ناقضًا من نواقضِ الإسلام بطل إسلامه ودينه وتوحيده بإجماع المسلمين؛ لأن هذا الناقض ينقض توحيده وإسلامه. انظر شرح كشف الشبهات للعلامة عبد العزيز الراجحي.

(٢) لأن الإيمان بالرسل يَجِبُ أَنْ يَكُونَ جَامِعًا عَامًّا مُؤْتَلِفًا لَا تَفْرِيقَ فِيهِ وَلَا تَبْعِيضَ وَلَا اخْتِلَافَ؛ بِأَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَبِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَ إلَيْهِمْ. فَمَنْ آمَنَ بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَكَفَرَ بِبَعْضِ أَوْ آمَنَ بِبَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ وَهَذَا حَالُ مَنْ بَدَّلَ وَكَفَرَ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ. قاله شيخ الإسلام.

قال ابن حزم: "وَاتَّفَقُوا أن من آمن بِاللَّه تَعَالَى وبرسوله ﷺ وَبِكُل مَا أَتَى بِهِ عَلَيْهِ السَّلَام مِمَّا نقل عَنهُ نقل الكافة أَو شكّ فِي التَّوْحِيد أَو فِي النُّبُوَّة أَو فِي مُحَمَّد ﷺ أَو فِي حرف مِمَّا أَتَى بِهِ عَلَيْهِ السَّلَام أَو فِي شَرِيعَة أَتَى بهَا عَلَيْهِ السَّلَام مِمَّا نقل عَنهُ نقل كَافَّة فان من جحد شَيْئا مِمَّا ذكرنَا أَو شكّ فِي شَيْء مِنْهُ وَمَات على ذَلِك فانه كَافِر مُشْرك مخلد فِي النَّار أبدا".

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "لا يشترط في التكفير أن يكفر المكلف بجميع ما جاء به الرسول، بل يكفي في الكفر والردة - والعياذ بالله - أن يأتي بما يوجب ذلك ولو في بعض الأصول ، وهذا ذكره الفقهاء من أهل كل مذهب".

انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ١١) (٣/ ٩٢) (١٩/ ١٨٥) ومراتب الإجماع (١٧٧) ومنهاج التأسيس (ص/ ٧٢).

لم يدخل في الإسلام. (١)

وكذلك (٢) إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرَّ بالتَّوحيد وجحد وجوب الصلاة، (٣) أو أقرَّ بالتَّوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كلِّه وجحد الصوم، أو أقر بهذا كلّه وجحد الحج. (٤)

(١) يعني أنه ليس بمسلم ولا عنده من الإسلام شعرة؛ فإذا كذبه في واحد وصدقه في الألوف من الصلاة والصدقة ونحو ذلك فهو قاضٍ على تلك الألوف، فإذا كان مَن صدقه في شيء وكذبه في شيء فهو كافر فكيف بالتوحيد الذي هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، عمد إلى زبدة الرسالة، وجعل لفاطر الأرض والسماوات شريكاً في العبادة فصرفه له الدعاء الذي هو مخ العبادة وخالصها، إما أن يدعو غيره وحده أو يجعله شريكاً له. فإذا كانت تلك الفروق لا تؤثر فكيف بالتوحيد؟ انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٩٠).

(٢) يعني: مثله في الحكم.

(٣) أو لم يلتزم بها، فهذا كافر بالإجماع أيضا، كما ذكر شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٩٧-٩٨).

(٤) قال شيخ الإسلام: "وَهَذَا الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ لَا يَتَنَازَعُونَ فِي ذَلِكَ وَمَنْ جَحَدَ وُجُوبَ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ: كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ جَحَدِ تَحْرِيمِ بَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ: كَالْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالزِّنَا وَغَيْرِ ذَلِكَ. أَوْ جَحْدِ حِلِّ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ: كَالْخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَالنِّكَاحِ. فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ."
وقال أيضا: "إنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ وُجُوبَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَصِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَلَا يُحَرِّمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَالشِّرْكِ وَالْإِفْكِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُ التَّكَلُّمُ بِالشَّهَادَتَيْنِ."
انظر مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٥) (٣٥/ ١٠٥). والجواب الصحيح (٢/ ١٢٦).

ولما لم ينقد أناس [١] في زمن النبي ﷺ للحج، [٢] أنزل الله في حقّهم

---

(١)عبر رحمه الله بانقياد الذي معناه الالتزام، وإلا فإن عدم الحج مع الانقياد للحكم -يعني مع اعتقاد وجوبه على المخاطب به- ليس بكفر، وإنما يكفر من جحده أو من لم يلتزم به -يعني قال: لا يجب عليَّ وإنما يجب على غيره-، من لم ينقد للحكم؛ قال: هو واجب على الناس واجب على غيري، وأنا لا يجب عليَّ الحج. فهذا غير ملتزم به، ومن المعلوم أن من شروط (لا إله إلا الله) الانقياد، ومعناه الالتزام بتحليل ما أحلَّ الله يعني باعتقاد حله، وأنَّ هذا المسلم مخاطَب بهذا التحريم، وتحريم ما حرم الله باعتقاد حرمته، وأنه مخاطب بهذا التحريم.

والمصنف رحمه الله تعالى لا يرى تكفير تارك الحج، كما هو ظاهر كلامه حيث قال: "أركان الإسلام الخمسة، أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها، وتركها تهاونا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها. والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلا من غير جحود، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان."

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها، بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر "

انظر شرح الكشف للعلامة صالح آل الشيخ (ص/ ٣٣٣و ٣٢١) ومجموع الفتاوى (٢٠/ ٩٧-٩٨) والدرر السنية (١/ ١٠٢) (١/ ٤٦٧) وتوضيح معنى الشهادتين للإسرافيلي (ص/ ٣١).

(٢) ومراد المصنف أهل الملل الذين ادَّعوا الإسلام كاليهود، وقد أخرج البيهقي في "سننه" (٤ / ٣٢٤) في الحج، باب إثبات فرض الحج، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دينًا فلن يقبل منه}، قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَاخْصُمْهُمْ بِحُجَّتِهِمْ، يعني فقال لهم النَّبِيِّ - ﷺ -: ((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سبيلاً)) ، فقالوا: لم يكتب علينا، وأَبَوْا أن يَحُجُّوا. قال الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن العالمين﴾.قال عكرمة: وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

وأصله في سنن سعيد بن منصور (٣/ ١٠٦٤) رقم (٥٠٦) ابن جرير الطبري في "تفسيره" (٦ / ٥٧١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٩٩) وهو مرسل، وابن أبي نجيح مدلس.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:٩٧].[1]

ومن أقرَّ بهذا كله[2] وجحد البعث كفر بالإجماع،[3]

وحلَّ دمه وماله[4] كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [سورة النساء:١٥٠-١٥١].[5]

---

(١) يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: وَفَرْضٌ وَاجِبٌ لِلَّهِ عَلَى مِنَ اسْتَطَاعَ مِنْ أَهْلِ التَّكْلِيفِ السَّبِيلَ إِلَى حَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الْحَجَّ إِلَيْهِ... وَمَنْ جَحَدَ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ فَرْضِ حَجِّ بَيْتِهِ، فَأَنْكَرَهُ وَكَفَرَ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ، وَعَنْ حَجِّهِ وَعَمَلِهِ، وَعَنْ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. قاله الطبري في تفسيره (٥/ ٦٠٩) (٥/ ٦١٨).

(٢) أي: بأركان الإسلام الخمس

(٣) نقل الإجماع شيخ الإسلام كما في المجموع (٣/ ٢٣١).

(٤) ولم ينفعه الإقرار بما أقر به. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ٩٢).

(٥) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٣٤): " يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكُمْ صِفَتَهُمْ هُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ بِي ، الْمُسْتَحِقُّونَ عَذَابِي وَالْخُلُودَ فِي نَارِي حَقًّا ، فَاسْتَيْقِنُوا ذَلِكَ ، وَلَا يُشَكِّكَنَّكُمْ فِي أَمْرِهِمُ انْتِحَالُهُمُ الْكَذِبَ وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ يُقِرُّونَ بِمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهِ مُقِرُّونَ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ ، فَإِنَّهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ مَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ كَذَبَةٌ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ ، هُوَ الْمُصَدِّقُ بِجَمِيعِ مَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ بِهِ مُصَدِّقٌ وَبِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ بِهِ مُؤْمِنٌ ، فَأَمَّا مَنْ صَدَّقَ بِبَعْضِ ذَلِكَ وَكَذَّبَ بِبَعْضٍ ، فَهُوَ لِنُبُوَّةِ مَنْ كَذَبَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ جَاحِدٌ ، وَمَنْ جَحَدَ نُبُوَّةَ نَبِيٍّ فَهُوَ بِهِ مُكَذِّبٌ ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مُصَدِّقُونَ بِبَعْضٍ ، مُكَذِّبُونَ مَنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ، لِتَكْذِيبِهِمْ بِبَعْضِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ ، فَهُمْ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِمْ مُصَدِّقُونَ ، وَالَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِهِمْ مُكَذِّبُونَ ، كَافِرُونَ ، فَهُمُ الْجَاحِدُونَ =

فإذا كان الله قد صرَّح في كتابه أنَّ من آمن ببعض [(١)] وكفر ببعض [(٢)] فهو الكافر حقا، [(٣)] وأنه يستحق ما ذكر، [(٤)] زالت الشبهة. [(٥)]

وهذه [(٦)] هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء [(٧)] في كتابه الذي أرسله إلينا. [(٨)]

= وَحْدَانِيَّةَ اللَّهِ وَنُبُوَّةَ أَنْبِيَائِهِ حَقَّ الْجُحُودِ الْمُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ حَقَّ التَّكْذِيبِ ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَغْتَرُّوا بِهِمْ وَبِبِدْعَتِهِمْ ، فَإِنَّا قَدْ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا."

(١) كالصلاة وحدها، أو أحد أركان الإسلام.

(٢) مثل التّوحيد والحج.

(٣) أَيْ: كُفْرُهُمْ مُحَقَّقٌ لَا مَحَالَةَ. قاله ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٩٤) وانظر مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٣).

(٤) أي: من العذاب الأليم، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة (٨٥)].

(٥) التي قالوا فيها: إن من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافراً ولو أتى بما ينافي التوحيد. التوضيحات الكاشفات (ص/ ١٨٢) والدرر السنية (١٢/ ٤٦-٤٧) (١١/ ٣٦٩-٤١١).

(٦) أي: الشبهة.

(٧) كانت الأحساء في زمن الشيخ آهلة بالعلماء، من سائر المذاهب، فعاند بعضهم وهدى الله بعضا، فاتبع الحق والهدى بتوفيق الله. وقد اشتهر عنهم في زمن الشيخ الغلو في أهل البيت، ومسبة أصحاب رسول الله ﷺ، وعدم التزام كثير من أصول الدين وفروعه
حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٢٩). مجموع الرسائل (٢/ ٢/ ٦).

(٨) لعله يقصد بالكتاب الذي أرسله أحمد بن عبد الكريم؛ فقد كتب لهذا الرجل رسالةً جواباً عما وقع فيه من الاشتباه والإشكال، حيث يفهم من هذه الرسالة أن أحمد بن عبد الكريم تلبّس بهذه الشبهة، فزعم أن من أظهر الإسلام لا يكفر ولا يقتل، وإن وقع في ناقض من نواقض الإسلام، فأجاب الشيخ عن هذه الشبهة وأورد الأدلة الشرعية والوقائع التاريخية التي تقرر أن من أظهر الشرك أو الكفر فهو كافر حلال الدم والمال. وقيل: هو ابن فيروز.

=

[الثَّاني] ويقال أيضا: إن كنت تقر أن من صدَّق الرسول ﷺ في كلِّ شيء،[(١)] وجحد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع.[(٢)]

وكذلك إذا أقر بكلِّ شيء إلَّا البعث،[(٣)] وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان[(٤)] وصدق بذلك كله،

لا تختلف المذاهب فيه.[(٥)]

= انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٤٢٦) ومؤلفات الشيخ (٥/ ٢١٢- ٢٢٤) وتاريخ نجد لابن غنام (ص/ ٣٤٣) وتعليقات على كشف الشبهات (ص/ ٨٨) التوضيحات الكاشفات (ص/ ١٨٣) والدرر السنية (١٠/ ٩٦).

(١) أي: في جميع أمور الدِّين.

(٢) يعني: من جحد وجوب شيء أوجبه القرآن، أو أوجبه النبي ﷺ، أي: إذا جحد وجوب شيء واحد مما جاء به النبي ﷺ مما هو معلوم من الدين بالضرورة فهو بذلك كافر بعد أن تقوم عليه الحجة الرسالية. التعليقات المباركات على كشف الشبهات للشيخ زيد المدخلي (ص/ ١١٠).

(٣) أي: فهو كافر حلال الدم والمال. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٢٩).

(٤) في نسخة: " وكذَّبَ بذلك، لا يُجْحَد هذا".

(٥) أي: في أن جَحْدَ وجوبِ واحدٍ منها كافٍ في انتكاس العبد وأنه كافر بالإجماع.
قال شيخ الإسلام: "وَأَمَّا الْفَرَائِضُ الْأَرْبَعُ فَإِذَا جَحَدَ وُجُوبَ شَيْءٍ مِنْهَا بَعْدَ بُلُوغِ الْحُجَّةِ فَهُوَ كَافِرٌ وَكَذَلِكَ مَنْ جَحَدَ تَحْرِيمَ شَيْءٍ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرُ تَحْرِيمُهَا كَالْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَالْخَمْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.
وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ لَمْ تَبْلُغْهُ فِيهَا شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَنَحْوَ ذَلِكَ أَوْ غَلِطَ فَظَنَّ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يُسْتَثْنَوْنَ مِنْ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ كَمَا غَلِطَ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ اسْتَتَابَهُمْ عُمَرُ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يُسْتَتَابُونَ وَتُقَامُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ فَإِنْ أَصَرُّوا كَفَرُوا حِينَئِذٍ وَلَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ؛ كَمَا لَمْ يَحْكُمْ الصَّحَابَةُ بِكُفْرِ قدامة بْنِ مَظْعُونٍ. وَأَصْحَابِهِ لَمَّا غَلِطُوا فِيمَا غَلِطُوا فِيهِ مِنْ التَّأْوِيلِ. وَأَمَّا مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ إذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ فَفِي التَّكْفِيرِ أَقْوَالٌ لِلْعُلَمَاءِ هِيَ رِوَايَاتٌ عَنْ أَحْمَد: =

وقد نطق به القرآن كما قدمنا. [(١)]

فمعلوم أن التَّوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النَّبيّ ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحجّ. [(٢)]

فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكلِّ ما جاء به الرسول ﷺ، [(٣)]

= أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَكْفُرُ بِتَرْكِ وَاحِدٍ مِنْ الْأَرْبَعَةِ حَتَّى الْحَجِّ وَإِنْ كَانَ فِي جَوَازِ تَأْخِيرِهِ نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَمَتَى عَزَمَ عَلَى تَرْكِهِ بِالْكُلِّيَّةِ كَفَرَ وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ وَهِيَ إحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَد اخْتَارَهَا أَبُو بَكْرٍ

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَهُوَ إحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَد اخْتَارَهَا ابْنُ بَطَّةَ وَغَيْرُهُ.

وَالثَّالِثُ: لَا يَكْفُرُ إلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَهِيَ الرِّوَايَةُ الثَّالِثَةُ عَنْ أَحْمَد وَقَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ السَّلَفِ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد. وَ (الرَّابِعُ: يَكْفُرُ بِتَرْكِهَا وَتَرْكِ الزَّكَاةِ فَقَطْ.

وَ الْخَامِس: بِتَرْكِهَا وَتَرْكِ الزَّكَاةِ إذَا قَاتَلَ الْإِمَامَ عَلَيْهَا دُونَ تَرْكِ الصِّيَامِ وَالْحَجِّ."

انظر شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/ ٩٣) ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٠٩-٦١١).

(١) أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، للآية المتقدِّمة.

(٢) وجه كونه أعظم أنه بدأ به الرسول ﷺ في الدعوة، فالنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ دعا الناس سنين عددا إلى التوحيد فقط، ولم تُفرض الصلاة ولم تُفرض الزكاة ولم يفرض الصوم ولم يفرض الحج، ومعلوم أنه في هذا الحال -يعني في حال الأمر بالتوحيد دون غيره- أنه إنما تكون البداءة بالأهم. انظر شرح الكشف للشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٣٢٥) وستة مواضع من السيرة للمصنف مع حاشيتي عليه (ص/ ٤).

(٣) فلا ينفعه تصديقه بكل ما جاء به الرسول ﷺ.

وإذا جَحَد التَّوحِيد الذي هو دين الرُّسُل كلّهم لا يكفر؟ [(١)]

سبحان الله ما أعجب هذا الجهل!!. [(٢)]

---

(١) قال المصنف كما في الدرر (١٠/ ١٠٦): " فمعلوم: أن رسول الله ﷺ قام يدعو الناس إلى التوحيد سنين عديدة، قبل أن يدعوهم إلى أركان الإسلام، ومعلوم: أن التوحيد الذي جاء به جبرائيل، أعظم فريضة، وهو أعظم من الصلاة والزكاة، والصوم والحج.

فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من أركان الإسلام كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل، من نوح إلى محمد ﷺ ، لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله، أو لأنه يفعل كذا وكذا؟!

فما الذي فرق بين رسول الله ﷺ وبين قريش؟ هل هو عند الممالك والرياسة والتطاول، أو عند (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؟ فتفرقوا عند ذلك، وقالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}.

أتظن أن قريشا لو يعلمون أن هذا الكلام مجرد قول بلا عمل، وأنهم يقولون (لا إله إلا الله)، وينشؤون على دينهم، ولا يضرهم، وأن النبي ﷺ يرضى منهم بذلك، وأنه ما يحاربهم، ولا يكفرهم، ولا يقاتلهم، أتراهم يتركون التلفظ بـ(لا إله إلا الله)، كما هو اعتقادكم، أو دين الإسلام لفظ لا إله إلا الله، وأن من قالها فهو المسلم؟".

(٢) قال الشيخ محمد بن إبراهيم في شرحه (ص/ ٩٤): " فإن جهل هؤلاء من أعجب الجهل، كونُ الواحِدِ منهم يقر أن جحد الصلاة كفر بالإجماع أو جحد غيرها من أركان الإسلام كفر وجحد التوحيد ليس بكفر؟! فلو قدِّر أنها لا تكفِّر -وهو لا يقدر- فالتوحيد وحده يكفر؛ والدليل أن الأصل لا يزول بزوال الفرع بخلاف الفرع فإنه يزول بزوال أصله؛ كالحائط والشجرة إذا زال أصله زال فرعه.

فلا أعجب ولا أقبح ولا أعظم ممن جهل هذا، فإذا كان مقراً أن من جحد شيئاً من هذه الفروع فهو كافر، وهو لا يجحد هذا، وإذا جحد التوحيد الذي هو الأصل وما بعده فرع عنه لا يكفر، فلا أعجب مِن جَهْلِ مَن جَهلَ هذا."

قال الشيخ ابن مانع في الحاشية (ص/ ٢٩): "أقول إذا ظهر السبب بطل العجب، فالمشركون عبَّاد الأموات اعتقدوا أنَّ صرف مخ العبادة لغير الله ليس بشرك، وإنما الشرك هو السجود للأصنام، وأما =

[الثَّالث] ويقال أيضا: هؤلاء [(١)] أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة،[(٢)] وقد أسلموا مع النَّبي ﷺ، وهم يشهدون أن (لا إله إلا الله)، وأن (محمدا رسول الله)، [(٣)] ويصلون، ويؤذِّنون، ويصومون. [(٤)]

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبيّ. [(٥)]

فقل: هذا هو المطلوب، [(٦)]

= الدعاء والذبح والنَّذر والاستغاثة بغير الله، فهو مما يقربهم إلى الله، وقد صرحوا بذلك في كتبهم، ومع ذلك فقد سجدوا لغير الله، يعرف ذلك من درس أحوالهم، وشاهد كفرهم، عند ضرائح أوثانهم."

(١) في نسخة: (ويقال أيضا لهؤلاء...).

(٢) وهم قبيلة مسيلمة الكذاب، وقد ادَّعوا فيه النبوَّة، قال ابن كثير: "وَانْحَازَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ بَنُو حَنِيفَةَ وَخَلْقٌ كَثِيرٌ بِالْيَمَامَةِ." انظر البداية والنهاية (٩/ ٤٣٧).

(٣) أي: يشهدون لرسول الله ﷺ بالنبوة. انظر مختصر السيرة للمصنف (ص/ ٢٤٠).

(٤) وكان مسيلمة يدَّعي أن محمدا ﷺ أشركه في النبوَّة.
ففي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي» ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ.

(٥) يعني كفَّروهم لقولهم مسيلمة نبي.

(٦) أي: هذا المطلوب من إيرادنا للحجة، فهؤلاء ما صدر منهم إلا أنهم قالوا إنه نبي، فجنوا على الرسالة وصار مبطلاً توحيدهم ودينهم. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٩٦).

إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحلَّ ماله ودمه، (١) ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، (٢) فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف، أو صحابيًّا، أو نبيًّا إلى مرتبة جبَّار (٣) السماوات والأرض؟. (٤)

سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ [سورة الروم:٥٩]. (٥)

---

(١) لأنه كذَّب قول الله سبحانه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]. وقول النبي ﷺ: (إنه لا نبي بعدي).

(٢) لأنه كذّب الدين في شيء.

(٣) الجبار اسم من أسماء الله تعالى لقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر (٢٣)].

قال الخطابي: "الْجَبَّارُ الَّذِي جَبَرَ الْخَلْقَ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، يُقَالُ: جَبَرَهُ السُّلْطَانُ وَأَجْبَرَهُ بِالْأَلْفِ وَيُقَالُ: هُوَ الَّذِي جَبَرَ مَفَاقِرَ الْخَلْقِ وَكَفَاهُمْ أَسْبَابَ الْمَعَاشِ وَالرِّزْقِ ، وَيُقَالُ: بَلِ الْجَبَّارُ الْعَالِي فَوْقَ خَلْقِهِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ تَجَبَّرَ النَّبَاتُ إِذَا عَلَا." انظر الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٨٧) ومفردات غريب القرآن للأصفهاني (ص/ ٨٦).

(٤) يعني هذا أولى بالكفر والضلال لأنه صرف للمخلوق من أنواع العبادة ما لا يستحقه إلا الخالق.

وهذا من قياس الأولى يعني إذا كان جنس ما احتجوا به كفر فبطريق الأولى هذا. فهذا رد عليهم من نفس ما احتجوا به، وإلا فالأدلة في ذلك معلومة. من شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ٩٧).

(٥) قال الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٢٩): "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَذَلِكَ يَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، فَلَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللَّهِ حُجَّةً، وَلَا يَفْهَمُونَ عَنْهُ مَا يَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ آيِ كِتَابِهِ، فَهُمْ لِذَلِكَ فِي طُغْيَانِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ."

وقال السعدي في تفسيره (ص/ ٦٤٥): "فلا يدخلها خير ولا تدرك الأشياء على حقيقتها بل ترى الحق باطلا والباطل حقا."

=

[الرَّابع] ويقال أيضًا: الذين [(١)] ...

= **فائدة طيبة:** قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ١٨٠): " حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء: **أحدهما:** رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب ورد ما يرد عليك من الحق رأسا ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فعاقبهم على رد الحق أول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك. **والثاني:** التهاون بالأمر إذا حضر وقته فإنك إن تهاونت به ثبطك الله وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبة لك قال تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبدا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾. فمن سلم من هاتين الآفتين والبليتين العظيمتين فليهنه السلامة."

(١) وهم السبئية أَتْبَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ الْيَهُودِيِّ قَبَّحَهُ اللَّهُ، كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْإِلَهِيَّةَ كَمَا يَعْتَقِدُ النَّصَارَى فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال الحافظ: "وَزَعَمَ أَبُو الْمُظَفَّرِ الْإِسْفَرَايِنِيُّ فِي الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ أَنَّ الَّذِينَ أَحْرَقَهُمْ عَلِيٌّ طَائِفَةٌ مِنَ الرَّوَافِضِ ادَّعَوْا فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ، وَهُمُ السَّبَئِيَّةُ وَكَانَ كَبِيرُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ يَهُودِيًّا ثُمَّ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَابْتَدَعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ.

وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ مَا رُوِّينَاهُ فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَاهِرٍ الْمُخَلِّصِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكٍ الْعَامِرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قِيلَ لِعَلِيٍّ: إِنَّ هُنَا قَوْمًا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَدَّعُونَ أَنَّكَ رَبُّهُمْ فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: وَيْلَكُمْ مَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا وَخَالِقُنَا وَرَازِقُنَا، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِثْلُكُمْ آكُلُ الطَّعَامَ كَمَا تَأْكُلُونَ، وَأَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُونَ، إِنْ أَطَعْتُ اللَّهَ أَثَابَنِي إِنْ شَاءَ، وَإِنْ عَصَيْتُهُ خَشِيتُ أَنْ يُعَذِّبَنِي، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَوْا عَلَيْهِ فَجَاءَ قَنْبَرٌ فَقَالَ قَدْ وَاللَّهِ رَجَعُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ الْكَلَامَ، فَقَالَ: أَدْخِلْهُمْ فَقَالُوا كَذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ الثَّالِثُ قَالَ: لَئِنْ قُلْتُمْ ذَلِكَ لَأَقْتُلَنَّكُمْ بِأَخْبَثِ قِتْلَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا ذَلِكَ، فَقَالَ يَا قَنْبَرُ ائْتِنِي بِفَعْلَةٍ مَعَهُمْ مرورهم فَخُدَّ لَهُمْ أُخْدُودًا بَيْنَ بَابِ الْمَسْجِدِ وَالْقَصْرِ، وَقَالَ: احْفِرُوا فَأَبْعِدُوا فِي الْأَرْضِ، وَجَاءَ بِالْحَطَبِ، فَطَرَحَهُ بِالنَّارِ فِي الْأُخْدُودِ وَقَالَ إِنِّي طَارِحُكُمْ فِيهَا أَوْ تَرْجِعُوا، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا، فَقَذَفَ بِهِمْ فِيهَا حَتَّى إِذَا احْتَرَقُوا، قَالَ:

إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا ... أَوْقَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرَا

وَهَذَا سَنَدٌ حَسَنٌ". كذا قاله الحافظ، وأفادنا الأخ أبو زرعة أنه ضعيف، لضعف شريك، ولم يسمع من علي، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. انظر معارج القبول للحكمي (٣/ ١١٧٨) والفتح لابن حجر (١٢/ ٢٧٠).

...حَرَّقَهم عليّ بن أبي طَالِب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بالنار(١) كلهم يدَّعون الإسلام، وهم من أصحاب عليّ، (٢) وتعلَّموا العلم من الصَّحابة، (٣) ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف، وشمسان، وأمثالهما. (٤)

---

(١) مسالة التَّحريق بالنَّار مسألة خلافية بين أهل العلم، وبسطها في كتب الفقه، وقد نقل عن طائفة من السلف جواز ذلك، ولمَّا فعل عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنكر عليه ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، إلا أن عليا لم يرتض بهذا الإنكار، وظواهر الأدلَّة والأحاديث مع ابن عباس رضي الله عنهما رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.
قال شيخ الإسلام: "وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ". انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٤) ومنهاج السنَّة (٥/ ٤٩٥) وجامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٦).

(٢) هذا في النفس منه شيء، فقد تقدم أنهم كانوا زنادقة، تلبسوا بالإسلام خديعة ومكرا.

(٣) أي: أخذوا العلم عن الصَّحابة، لكونهم في زمن الصحابة.

(٤) سئل الشيخ العلامة محمَّد بن إبراهيم آل الشيخ عما جاءَ في ((كشف الشبهات)) من ذكر يوسف وشمسان وتاج، وتسأَلون هل هي معتقدات؟، وهل هي أَسماءُ مواضع، أَو أَسماءُ أَشخاص؟. وعن تاريخ كل منها؟، ومن هم الذين كانوا يعتقدون فيها؟

فأَجاب: يوسف وشمسان وتاج أسماءُ أُناس كفرة طواغيت، وليست أَسماءَ مواضع. فأَما تاج فهو من أَهل الخرج تصرف إليه النذور ويدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأْتي إلى أَهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه. وله أَعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يدعى فيهم الدعاوي الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة. ومما ينسب إلى تاج أَنه أَعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده.

واما شمسان فالذي يظهر من رسائل امام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارض، وله أَولاد يعتقد فيهم. وأَما يوسف فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه، ويظهر أَن قبره في الكويت أَو الأَحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله.
أَما تاريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله، وقد ذكرهم في كثير من رسائله، لأَنهم من أَشهر الطواغيت التي يعتقد فيها أَهل نجد وما يقاربها، وكانوا يعتقدون فيهم الولاية، ويصرفون لهم شيئًا من العبادة، وينذرون لهم النذور، ويرجون بذلك نظير ما
=

فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ [١]

أتظنون أنَّ الصَّحابة يكفِّرون المسلمين؟ [٢] أم تظنون أن الاعتقاد في تاج [٣] وأمثاله لا يضرّ، [٤]

والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفِّر؟ [٥]

= يرجوه عباد الَّلات والعزى. انظر فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١/ ١٣٥). والضياء الشارق (ص/ ٢٤) والدرر السنية (١/ ٧٤) (٢/ ١٢٠-١٢١).

(١) أي: لم يجمعوا إلا وأولئك يستحقون القتل والكفر.

(٢) هذا لا يقوله مسلم عرف قدر الصحابة، وفي كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص/ ٤٧): "قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: جَاوَرْتُ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله بِمَكَّةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ: هَلْ كُنْتُمْ تُسَمُّونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ كَافِرًا؟ فَقَالَ: «مَعَاذَ الله»، قَالَ: فَهَلْ تُسَمُّونَهُ: مُشْرِكًا؟ قَالَ: «لَا»."

(٣) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: " وفي بلدتهم رجل يدعي الولاية يسمى: (تاجا) يتبركون به ويرجون به ويرجون منه العون والإفراج. وكانوا يأتون إليه، ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه، فتخافه الحكام والظلمة، ويزعمون أن له تصرفا وفتكا بمن عصاه وملحمة، مع أنهم يحكون عنه الحكايات القبيحة الشنيعة التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة." انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ٣٨٣).

(٤) لا شك أن هذا لا يقوله أحد منهم؛ لأن معناه أن مرتبة تاج وشمسان إلى آخره أرفع من مرتبة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذا قالوا إن من اعتقد في علي يكفر ومن اعتقد في شمسان وتاج لا يكفر، من اعتقد في عليّ يكفر ومن اعتقد في البدوي وفي العيدروس وفي المرغني وفي فلان وفي عبد القادر لا يكفر، لا شك أن هذا معناه رفع هؤلاء عن مرتبة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا تكفيره من باب أولى.
وهذه الحجة واضحة في الدلالة وواضحة في البيان. انظر شرح الكشف للعلامة صالح آل الشيخ (ص/ ٣٤٠).

(٥) قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: " فيلزم أهل هذه الشبهة أحد ثلاثة أمور: =

[الخَامِس] ويقال أيضًا: بنو عبيد القدَّاح [(١)] الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العبَّاس [(٢)]

= إما أن يقولوا: إن الصحابة غلطوا وأخطئوا وكفَّروا المسلمين، وقتلوا من لا يستحق الكفر والقتل وهم على ضلالة. وهم لا يقولون ذلك لوضوحه في السير والتأريخ. وإن قالوه في الصحابة فهو كافٍ في الرد عليهم؛ لأنهم صاروا من الخوارج الذين يكفِّرون الصحابة ويسبوهم، أو يقولون حاشاهم من تكفير المسلمين ومن قصد ظلمهم أو الاجتماع على غلط.

وإما أن يقولوا: إن الاعتقاد في تاج وأمثاله والتوسُّل بالصالحين وسؤالهم قضاءَ الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفان لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفِّر، وهم لا يقولون ذلك، فإن قالوا إنه لا يكفر كفى أنه كفر وشرك، وظهر عظيم جهلهم لفضل علي على هؤلاء بما لا نسبة فيه. فلو كان مسامحة في دعوة غير الله أو يكون أسهل لكانت دعوة علي.

فحينئذٍ يلزم الأمر الثالث، وهو أن يذعنوا ويسلمون أن مَن تعلَّق على غير الله بأيّ نوع من أنواع العبادة فهو كافر خارج من الملة مرتد، أغلظُ كفراً ممن ليس معه هذه الأعمال، وأن إقراره بالشهادتين والصلاة والزكاة ونحو ذلك فرق غير مؤثر وغير نافع، فظهر بذلك أنهم ضُلاَّل في تشبيههم وترويجهم؛ فإن الغالية في علي ما اعتقدوا فيه إلا مثل الاعتقاد في تاج وأمثاله من هذه الأصنام. وإن قالوا: ليس من الغلو ففي باب أوّل الكتاب ما يبين أنه من الغلو بعبادة المخلوق مع الله. انظر شرح كشف الشبهات (ص/ ٩٩-١٠٠) والدرر السنية (٨/ ٢١).

(١) نسبة إلى أبي محمد عبيد الله بن ميمون القداح الملقب بالمهدي، وسمي القداح لأنه كان كحالا يقدح العيون. البداية والنهاية (١١/ ١٧٩-١٨٠).

(٢) هم المسمون كذبا وزورا بالفاطميين، كانت أول دولتهم في بلاد المغرب، ثم ملكوا مصر سنة (٣٥٨هـ)، وأعلنوا على منابرها ومآذنها بلعن الصحابة، ورمي الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالإفك تكذيبا لله الذي أنزل براءتها فيما يتلو الناس في محاربهم من كلام الله الحق المبين، ثم دعوا الناس إلى عبادتهم وعبادة آبائهم من دون الله، وقال فيهم العلماء: ظاهر دينهم الرَّفض، ولكن حقيقته الكفر المحض، وهم أول من أقام القباب والمساجد على القبور واحتفل بأعياد الموتى.

قال شيخ الإسلام: " قَدْ عُلِمَ أَنَّ جُمْهُورَ الْأُمَّةِ تَطْعَنُ فِي نَسَبِهِمْ وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَوْلَادِ الْمَجُوسِ أَوْ الْيَهُودِ. هَذَا مَشْهُورٌ مِنْ شَهَادَةِ عُلَمَاءَ الطَّوَائِفِ."

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي بَنِي أَيُّوبَ يَمْدَحُهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ بِدِيَارِ مِصْرَ: =

كلهم [(١)] يشهدون بألسنتهم أن (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، ويدَّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه [(٢)] .

= أَلَسْـتُمْ مُزَيْلِـي دَوْلَـةَ الْكُفْـرِ مِـنْ بَنِـي عُبَيْـدٍ بِمِصْـرَ إِنَّ هَـذَا هُـوَ الْفَضْـلُ

زَنَادِقَـةٌ شِـيعِيَّةٌ بَاطِنِيَّـةٌ يُسَـرُّونَ كُفْـرًا مَجُوسٌ وَمَا فِي الصَّالِحِينَ لَهُمْ أَصْـلُ لِيَسْـتَتِرُوا

يُظْهِـرُونَ تَشَـيُّعًا شَـيْئًا وَعَمَّهُـمُ الْجَهْـلُ

انظر تعليقات الفقهي على كشف الشبهات (ص/ ٢٣). وانظر ترجمتهم في السير (٥/ ١٤١-١٥١) والبداية والنهاية (١٦/ ٤٥٩). مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٢٨-١٢٩). ومنهاج السنَّة (٨/ ١١).

(١) الصواب أنهم كانوا على قسمين:

١) قسم يدَّعون المعاني الباطنيَّة، فما كانوا يعملون بشيء من الإسلام، وهم خواصهم.

٢) قسم يعملون بعض أعمال الإسلام، وهم عوامهم، وهذا مراد المصنف.

انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ١٣٥) والدرر السنية (٩/ ٣٩٢).

(٢) أي: دون المسائل الشَّركية التي نحن بصدد محاجة أصحابها، وهذا فيه نظر، فالقول بأنه دون ما عليه القبوريون الجهَّال ليس بظاهر، لأن بني عبيد القداح ملاحدة من غلاة الروافض، وهم الذين دعوا الناس إلى عبادتهم وعبادة آبائهم من دون الله، وبناء القبور، وعمارة المشاهد، وغير ذلك من الكفريات.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: "ومن عرف حقيقة أمرهم عرف أن كفرهم وقتال العلماء لهم وتكفير العلماء للدولة العبيدية كان من جهة أنها دولة باطنية في عقيدتها مؤلِّهة لغير الله جل وعلا هذا في الباطن، وفي الظاهر أظهروا جحد الشريعة وعدم الالتزام بأحكامها وعدم الانقياد لها."

انظر شرح كشف الشبهات للبراك (ص/ ٧٦-٧٧). وشرح صالح آل الشيخ (ص/ ٣٥٤).

أجمع جميع العلماء على كفرِهم وقتالهم، (١) وأن بلادهم بلاد حرب، (٢) وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين. (٣)

---

(١) قال الذهبي في السير (١٥/ ١٥١): "قَالَ القَاضِي عِيَاض: أَجمع العُلَمَاءُ بِالقَيْرَوَان، أَنَّ حَالَ بَنِي عُبَيْد حَال المرتَدِّينَ وَالزَّنَادِقَة."

وقال أيضًا في السِّير (١٥/ ١٥٤): "وَقَدْ أَجمع عُلَمَاء المَغْرِب عَلَى محَاربَة آل عبيد لمَا شَهْروهُ مِنَ الكُفْر الصرَاح الَّذِي لاَ حِيْلَة فِيْهِ".

(٢) قال ابن تيمية كما في المجموع (٣٥/ ١٣٩): "لِأَجْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ الزَّنْدَقَةِ وَالْبِدْعَةِ بَقِيَتْ الْبِلَادُ الْمِصْرِيَّةُ مُدَّةَ دَوْلَتِهِمْ نَحْوَ مِائَتَيْ سَنَةٍ قَدْ انْطَفَأَ نُورُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ حَتَّى قَالَتْ فِيهَا الْعُلَمَاءُ: إنَّهَا كَانَتْ دَارَ رِدَّةٍ وَنِفَاقٍ كَدَارِ مُسَيْلِمَةِ الْكَذَّابِ."

وقال أيضا في نفس المصدر (٢٨/ ٦٣٥): "فَإِنَّ الْقَاهِرَةَ بَقِيَ وُلَاةُ أُمُورِهَا نَحْوَ مِائَتَيْ سَنَةٍ عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ".

ونقْل المصنف الإجماع على أن دارهم دار حرب منهم من ينتقده، وذلك أن العلماء اختلفوا كما هو معلوم في الفقه هل تنقلب دار الإسلام إلى دار الكفر بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها؟ على أقوال كثيرة.

ويمكن أن يقال إن مراد المصنف أنهم أجمعوا محاربة تلك الدَّولة، لكفرهم لا أن البلاد بلاد كفر، مع أن التَّفريق بين الدور لم يرد فيها نص صريح، حتى قال الشوكاني: "إن التعرض لذكر دار الإسلام ودار الكفر قليل الفائدة جدا."

وظاهر كلام كثير من أئمة الدعوة أن الدار التي يغلب فيها أحكام الكفر أنها دار كفر، ولكن ليس هذا إجماعا.

انظر المحلى (١١/ ١٩٩) وتحفة المحتاج (٩/ ٢٦٩) والمبسوط (١٠/ ١١٤) والسيل الجرار (٤/ ٥٤٧) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٠-٢٤١) والآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢١١) وفتاوى الشيخ محمد إبراهيم (٦/ ١٦٦) والدرر السنية (٩/ ٢٤٨و ٢٥٢ و٢٥٤ و٢٥٧ و٢٦٠) والفتاوى السعدية (١/ ٩٢) وشرح كشف الشبهات لصالح آل الشيخ (٣٤٦-٣٤٧).

(٣) قال المصنِّف كما في الدرر السنيَّة (٨/ ٢١): " فأجمع أهل العلم على أنهم كفار، وأن دارهم دار حرب، مع إظهارهم شعائر الإسلام وشرائعه. وفي مصر من العلماء والعباد ناس كثير، وأكثر أهلِ

[السَّادس] ويقال أيضا: إذا كان الأوَّلون لم يكفُرُوا إلا لأَنَّهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن، [(١)] وإنكار البعث، وغير ذلك، [(٢)] فما معنى الباب الذي ذكره العلماء [(٣)] في كلِّ مذهب: [(٤)] (باب حكم المرتد)؟ [(٥)] وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه. [(٦)]

= مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوه، ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا، حتى إن بعض أكابر العلماء المعروفين بالصلاح، قال: لو أن معي عشرة أسهم، لرميت بواحد النصارى المحاربين، ورميت بالتسعة في بني عبيد.
ولما كان في زمن السلطان محمود بن زنكي، أرسل إليهم جيشا عظيما، فأخذوا مصر من أيديهم، ولم يتركوا جهادهم لأجل من فيها من الصالحين. فلما فتحها السلطان، فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا، وصنف ابن الجوزي كتابا في ذلك سماه "النصر على مصر"، وأكثر العلماء التصنيف والكلام في كفرهم، مع ما ذكرنا من إظهار شرائع الإسلام الظاهرة."

(١) يعني: وتكذيبه.

(٢) أي: من الكفريَّات، فكأنَّ المشرك يرى لا يُحكم عليه بالشرك إلا إذا جمع بين أفراد الكفر كلها بحذافيرها. قاله بعضهم.

(٣) أي: فما فائدة ذكر هذا الباب لولا أن الكفر يحصل بفعل نوع منه وإن كان الفاعل مستقيماً في جانب آخر. انظر شرح الكشف للعلامة ابن عثيمين (ص/ ٨٧).

(٤) أي: من المذاهب الأربعة وغيرهم.

(٥) انظر المغني لابن قدامة (٩/ ٣) والمجموع للنووي (١٩/ ٢٢١) ومنحة الجليل شرح مختصر خليل لمحمد عليش (٩/ ٢٠٥) والدر المختار مع حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٢١) والمحلى لابن حزم (١٢/ ٢٠٨).

(٦) أي: بفعل ناقض من نواقض الإسلام، المخرجة من الملة؛ والأولى: وهو الكافر الذي كان مسلما، وعبارة ابن قدامة: " الْمُرْتَدُّ: هُوَ الرَّاجِعُ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إلَى الْكُفْرِ." انظر الدرر السنية (١٠/ ٤٧١) والمغني (٩/ ٣).

وقد ذكروا أنواعا كثيرة، [١] كل نوع منها يكفِّر، ويحلُّ دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، [٢] مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، [٣] أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللَّعب. [٤]

---

(١) فهذا المذكور في هذا الباب إجماعٌ منهم أنه يخرج من الملة، ولو معه الشهادتان، لأجل اعتقادٍ واحد أو عمل واحد أو قول واحد يكفي بإجماع أهل العلم لا يختلفون فيه. شرح الكشف لمحمد بن إبراهيم (ص/ ١٠٢).

(٢) أي: ذكروا أشياء يسيرة عند كثير من الناس وسهل وقوعها من كثير من الخلق، حتى إن بعض أهل المذاهب يكفرون من صغَّر اسم المسجد أو المصحف. وهذا فيه نظر، والقاعدة عند أهل السنّة في هذا الباب أنه لا تكفير إلا بنص واضح صريح لا معارض له أقوى منه.

قال الشوكاني: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار".

ثم قال: "ها هنا تسكب العبرات ويناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسنة ولا لقرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهان بل لما غلت مراجل العصبية في الدين وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقنهم إلزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب البقيعة فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين والرزية التي ما رزيء بمثلها سبيل المؤمنين. "

انظر السيل الجرار (١/ ٩٧٨) (١/ ٩٨١) ومنهاج السنة لابن تيمية (٥/ ٩٢-٩٣) ومجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

(٣) أي: دون اعتقاد القلب، فليس من شروط الخروج من الدين أن يعتقد بقلبه، بل يقول كلمة يذكرها بلسانه دون اعتقاد القلب لما دلت عليه فيكون كافرا بذلك، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب ولا يواطئ قلبُه عليها، لأن حماية الشريعة واجبة، ولأن من فعل ذلك فقد ترك التعظيم الواجب، وأصل الديانة والتوحيد هو تعظيم الله جل وعلا. انظر شرح الكشف لصالح آل الشيخ (ص/ ٣٥٣).

(٤) كأن يسب الله مازحاً أو يستهزئ بالنبي ﷺ، أو بشيء من دين الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "فمن استهزأ بالله، أو بكتابه أو برسوله، أو بدينه، كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعًا." =

[السَّابع] ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴾ [سورة التوبة:٧٤].[1]

= انظر تيسير العزيز الحميد (ص/٥٣٦) والدرر السنية (١٠/ ١٢٠-١٢٥) ومجموع فتاوى ابن باز (٧/ ١٣٨).

(١) قال الشوكاني في الفتح القدير (٢/ ٤٣٦): "وَقَدِ اخْتَلَفَ أَئِمَّةُ التَّفْسِيرِ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:
فَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْجُلَاسِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، وَوَدِيعَةَ بْنِ ثَابِتٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ نُزُولُ الْقُرْآنِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ وذمّهم، قالا: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا عَلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ هُمْ سَادَاتُنَا وَخِيَارُنَا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، فَقَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ: أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ مُصَدَّقٌ، وَإِنَّكَ لَشَرٌّ مِنَ الْحِمَارِ وَأَخْبَرَ عَامِرٌ بِذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَجَاءَ الْجُلَاسُ فَحَلَفَ بِاللَّهِ إِنَّ عَامِرًا لَكَاذِبٌ، وَحَلَفَ عَامِرٌ: لَقَدْ قَالَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَى نَبِيِّكَ شَيْئًا فَنَزَلَتْ.
وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي سَمِعَ ذَلِكَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَقِيلَ: حُذَيْفَةُ، وَقِيلَ: بَلْ سَمِعَهُ وَلَدُ امْرَأَتِهِ، أَي: امرأة الجلاس، واسمه: عمير ابن سَعْدٍ، فَهَمَّ الْجُلَاسُ بِقَتْلِهِ لِئَلَّا يُخْبِرَ بِخَبَرِهِ.
وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ لَمَّا قَالَ: مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ القائل «سمن كلبك يأكلك»، ولَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فأخبر النبي ﷺ بِذَلِكَ، فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَحَلَفَ: أَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ.
وَقِيلَ: إِنَّهُ قَوْلُ جَمِيعِ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ. وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ الْقَائِلَ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ فَنِسْبَةُ الْقَوْلِ إِلَى جَمِيعِهِمْ هِيَ بِاعْتِبَارِ مُوَافَقَةِ مَنْ لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَحْلِفْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِمَنْ قَدْ قَالَ وَحَلَفَ. ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَكَذَّبَهُمْ وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ حَلَفُوا كَذِبًا، فَقَالَ: وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَهِيَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَقْوَالِ السَّابِقَةِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ أَيْ: كَفَرُوا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ بَعْدَ إِظْهَارِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا فِي الْبَاطِنِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوجِبُ كُفْرَهُمْ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّةِ إِسْلَامِهِمْ."
وقال الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٢): " وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ كَذِبًا عَلَى كَلِمَةِ كُفْرٍ تَكَلَّمُوا بِهَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوهَا. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَوْلُ مَا رُوِيَ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ الْجُلَاسَ قَالَهُ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قَائِلُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ. وَالْقَوْلُ مَا ذَكَرَهُ قَتَادَةُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ، وَلَا عِلْمَ لَنَا بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَيٍّ؛ إِذْ كَانَ لَا خَبَرَ بِأَحَدِهِمَا يُوجِبُ الْحُجَّةَ وَيُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى يَقِينِ الْعِلْمِ بِهِ، وَلَيْسَ مِمَّا يُدْرَكُ عِلْمُهُ بِفِطْرَةِ الْعَقْلِ، فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ =

أما سمعتَ الله كفَّرهم بكلمة [(١)] مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون، ويحجون، ويوحِّدون؟ [(٢)]

وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة:٦٥-٦٦]. [(٣)]

فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، [(٤)]

= فِيهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]."

(١) أي: كفريَّة قالوها عالمين وعامدين ومختارين، بخلاف من يقولها سهوا من غير شعور، أو لسبق لسان. شرح البراك (ص/ ٧٨).

(٢) وهذا الذي نسبه الشيخ رحمه الله إليهم قد يكون باعتبار الظاهر والباطن جميعا، وقد يكون باعتبار الظاهر، فإن العلماء اختلفوا هل هؤلاء كانوا من المنافقين أصلا أو لم يكونوا من المنافقين؟ شرح الشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٣٥٤).

(٣) قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٨): "تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِاَللَّهِ كُفْرٌ وَبِالرَّسُولِ كُفْرٌ مِنْ جِهَةِ الِاسْتِهْزَاءِ بِاَللَّهِ وَحْدَهُ كُفْرٌ بِالضَّرُورَةِ فَلَمْ يَكُنْ ذِكْرُ الْآيَاتِ وَالرَّسُولِ شَرْطًا؛ فَعُلِمَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِالرَّسُولِ كُفْرٌ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِذِكْرِهِ فَائِدَةٌ وَكَذَلِكَ الْآيَاتُ."

(٤) ظاهر كلام المصنِّف أن أولئك كانوا مؤمنين ثم كفروا، ومن أهل العلم من يقول: إنهم كانوا منافقين من قبل، وإنما كانوا يظهرون الإيمان فقط.

قال شيخ الإسلام: "وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ: إنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ مَعَ كُفْرِ الْقَلْبِ قَدْ قَارَنَهُ الْكُفْرُ، فَلَا يُقَالُ: قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا كَافِرِينَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّكُمْ أَظْهَرْتُمْ الْكُفْرَ بَعْدَ إظْهَارِكُمْ الْإِيمَانَ فَهُمْ لَمْ يُظْهِرُوا لِلنَّاسِ إلَّا لِخَوَاصِّهِمْ، وَهُمْ مَعَ خَوَاصِّهِمْ مَا زَالُوا هَكَذَا؛ بَلْ لَمَّا نَافَقُوا وَحَذِرُوا أَنْ تَنْزِلَ سُورَةٌ تُبَيِّنُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ النِّفَاقِ وَتَكَلَّمُوا بِالِاسْتِهْزَاءِ صَارُوا كَافِرِينَ بَعْدَ إيمَانِهِمْ وَلَا يَدُلُّ اللَّفْظُ عَلَى أَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُنَافِقِينَ". =

وهم كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، [(١)] قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح. [(٢)]

فتأمَّل هذه الشُّبهة [(٣)] وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناسا يشهدون أن (لا إله إلا الله)،

= انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٢) وكتاب الإيمان (ص/ ٢٥٩) ودروس في شرح نواقض الإسلام للعلامة الفوزان (ص/ ١٤١)

(١) أخرج هذا الحديث ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩) والطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ لا أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لأُخْبِرَنّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ قال عبد الله: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن}.

قال الإمام الوادعي في الصحيح المسند في أسباب النزول (ص/ ١٢٢-١٢٣): "والحديث رجاله رجال الصحيح، إلا هشام بن سعد، فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان، وأخرجه الطبري، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم من حديث كعب بن مالك."

(٢) وليس الهزل مانعا من التكفير، وذلك لِأَنَّهُ قَاصِدٌ لِلتَّكَلُّمِ بِاللَّفْظِ وَهَزْلُهُ لَا يَكُونُ عُذْرًا لَهُ، بِخِلَافِ الْمُكْرَهِ وَالْمُخْطِئِ وَالنَّاسِي فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ مَأْمُورٌ بِمَا يَقُولُهُ أَوْ مَأْذُونٌ لَهُ فِيهِ، وَالْهَازِلُ غَيْرُ مَأْذُونٍ لَهُ فِي الْهَزْلِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَالْعُقُودِ؛ فَهُوَ مُتَكَلِّمٌ بِاللَّفْظِ مَرِيدٌ لَهُ وَلَمْ يَصْرِفْهُ عَنْ مَعْنَاهُ إكْرَاهٌ وَلَا خَطَأٌ وَلَا نِسْيَانٌ وَلَا جَهْلٌ، وَالْهَزْلُ لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عُذْرًا صَارِفًا، بَلْ صَاحِبُهُ أَحَقُّ بِالْعُقُوبَةِ.

قال ابن العربي: "لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ مَا قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا أَوْ هَزْلًا، وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ كُفْرٌ؛ فَإِنَّ الْهَزْلَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ، لَا خُلْفَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ التَّحْقِيقَ أَخُو الْحَقِّ وَالْعِلْمِ، وَالْهَزْلَ أَخُو الْبَاطِلِ وَالْجَهْلِ."

انظر إعلام الموقعين (٣/ ٥٦) وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥٤٣).

(٣) التأمل المراد به: تدبر الشيء، وهو أن تعيد النظر فيه مرة بعد أخرى حتى تعرفه.

وأنَّ محمَّدا رسول الله، ويصلون، ويصومون. [(١)]

ثم تأمَّل جوابها، فإنَّه من أنفع ما في هذه الأوراق. [(٢)]

[الثَّامن] ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله [(٣)] عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، [(٤)] أنهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. [(٥)]

---

(١) قال المصنف: " فاعلم -رحمك الله- أن هذه المسألة: أهم الأشياء كلها عليك. لأنها هي الكفر والإسلام. فإن صدقتهم فقد كفرت بما أنزل على رسوله ﷺ كما ذكرنا لك من القرآن الكريم والسنة والإجماع. وإن صدقت الله ورسوله عادوك وكفروك.

وهذا الكفر الصريح بالقرآن والرسول في هذه المسألة: قد اشتهر في الأرض مشرقها ومغربها. ولم يسلم منه إلا أقل القليل." مختصر السيرة (ص/ ٤٣).

(٢) يعني ما ذكره المصنف عليها من الأجوبة وذلك أنَّ شبهتهم من أقوى الشبه تلبيسا وأشد تدليسا، قد تروج على مَن لا يعرف ولا يفهم، فإن من شهد أن لا إله إلا الله وصلى وصام عظم إطلاق الكفر عليه عند الجاهل، ولم يعلم أنه هدم هذه الأعمال لشركه، ودعوته غير الله فلم تنفعه عبادته، لأن من لم يأت بالتوحيد الخالص لم يعبد الله، فلهذا صار هذا الجواب من أنفع الأجوبة. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٣٣). وشرح العلامة محمد بن إبراهيم (ص/ ١٠٥).

(٣) يعني قصّ، فالحكاية هنا بمعنى القصة. شرح الكشف للشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٣٥٨).

(٤) قوله مع (علمهم) فيه نظر، وقد تقدَّم بيان ذلك، والله علم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٥) لقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].
قال الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٠٨): "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقَطَعْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ بَعْدَ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَيْنَاهُمُوهَا وَالْعِبَرِ الَّتِي عَايَنُوهَا عَلَى يَدَيْ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى، فَلَمْ تَزْجُرْهُمْ تِلْكَ الْآيَاتُ وَلَمْ تَعِظْهُمْ تِلْكَ الْعِبَرُ وَالْبَيِّنَاتُ حَتَّى قَالُوا مَعَ مُعَايَنَتِهِمْ مِنَ الْحُجَجِ مَا يَحِقُّ أَنْ يُذْكَرَ مَعَهَا الْبَهَائِمُ، إِذْ مَرُّوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ، يَقُومُونَ عَلَى مُثُلٍ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا يَا مُوسَى إِلَهًا، =

وقول أناسٍ من الصحابة: [(١)] «اجعل لنا ذات أنواط» [(٢)] فحلف النبيُّ ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل، ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾. [(٣)]

= يَقُولُ: مِثَالًا نَعْبُدُهُ وَصَنَمًا نَتَّخِذُهُ إِلَهًا، كَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَقَالَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ وَوَاجِبَ حَقِّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الْعِبَادَةُ لِشَيْءٍ سِوَى اللَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ."

(١) يشير إلى حديث أبي واقد الليثي قَالَ: خ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [سورة الأعراف:١٣٨] ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».
أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨) والترمذي (٢١٨٠) وأبن أبي شيبة (١٥/ ١٠١) وابن جرير (٩/ ٤٥) والطبراني في الكبير (٣/ ٢٤٤) وغيرهم من طريق الزهري عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد به، والراوي عن أبي واقد وثقه الحافظ في الفتح عند حديث (٥٧٧٥)، وغيره فعلى هذا فظاهر إسناده الصحَّة، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٢) الأنواط جمع نوط، مصدر سمي به المنوط، أي: المعلق عليه، وهي شجرة كان أهل الجاهليَّة يتبركون بها، ويعلقون عليها سلاحهم، لتكون بزعمهم أفظع ومضى عند لقاء العدو.
قال أبو بكر الطرطوشي: "فانظروا رحمكم الله أينها وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط؛ فاقطعوها." انظر تعليقات الفقهي على كشف الشبهات (ص/ ٢٤) والحوادث والبدع (ص/ ٣٨-٣٩).

(٣) لأن هذان الفعلان وهو العكوف ونوط الأسلحة نوط الأشياء لتنتقل البركة من الشجر إلى الأسلحة فينتفعون بذلك في الدنيا والآخرة جميعا هذان نوعان من العبادة:
فالعكوف والاعتكاف عبادة مستقلة.
وطلب البركة والانتفاع في الدنيا والآخرة أيضا عبادة أخرى.
=

الشُّبهَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيها [١]

ولكن للمشركين شبهة أخرى، يدلون بها عند هذه القصة، [٢] وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا. [٣]

فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، [٤]

= فهؤلاء طلبوا إلها مع الله جل وعلا حيث قالوا للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ "إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط". انظر شرح الكشف للشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٣٥٩).

(١) مضمون هذه الشبهة هو الاعتراض على ما تقدَّم، وهو أن الشخص المصلّي الذي يؤدِّي بعض الواجبات قد يكفر إذا فعل ما يناقض التَّوحيد، فيقولون: في الدليل الثَّامن الأخير ما يناقض دعواكم، ووجه الدَّلالة من القصة: أن بني إسرائيل طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً، فلم يأمرهم بتجديد دينهم، وأن بعض الصحابة طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط كالمشركين، فنهاهم، ولم يأمرهم بتجديد إسلامهم، فمعنى هذا أن مثل هذه الأشياء تقع على مسمع ومرأى من الأنبياء ولم يكفروا بها، فكيف أنتم تكفرون بها؟ هذه هي الشبهة. انظر حاشية العلامة البسام على كشف الشبهات (ص/ ٤٢).

(٢) أي: قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وبعض الصحابة مع الرسول ﷺ.

(٣) فلا يصلح احتجاجكم بالقصتين علينا فإنكم احتججتم بقصتين على تكفيرنا وهم لم يكفروا بذلك.

قال صالح آل الشيخ: "وهذا صحيح يعني هذا الإيراد كما ذكرت لكم صحيح لكن ليس على ما أرادوا من لزوم هذا الإيراد على شبهتهم فأجاب الإمام على شبهتهم فقال:

(فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك) فإذن لم يكفروا لا لأجل أنه لا يكفر المسلم؛ ولكن لأجل أنهم لم يفعلوا بل هم قالوا (اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا) واتخاذ إله مع الله جل وعلا ينافي لا إله إلا الله."

انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٠٧). وشرح العلامة صالح آل الشيخ (ص/ ٣٦٠).

(٤) يعني الذي منع كفرهم هو عدم فعل المطلوب، لا لأنه لا يكفر المسلم إذا فعل ما يناقض التوحيد. =

وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك. [(١)]

= وقد اختلف العلماء في هذه المسألة فمنهم من قال كما ذكر الشنقيطي: إنهم كفروا بهذا القول؛ لأن من طلب عبادة غير الله فقد كفر، ومنهم من قال: إنهم لم يكفروا وهو الأظهر، وذلك لأنَّ موسى لم يأمرهم بتجديد إسلامهم، وهم وإن طلبوا الكفر فقد طلبوا من الشارع لكونهم جهالا، ومثل هذا لا يكون صاحبه كافرا، والمانع من تكفيرهم هو الجهل، وصريح كلام المصنِّف أنَّ المانع هو عدم فعل المطلوب، وهو من المشكلات عندي، وذلك لأنهم لو فعلوا مع جهلهم لم يكفروا بذلك أيضا، ويمكن أن يدفع هذا الإشكال بأن مراد المصنِّف هو أنهم لم يفعلوا بعد النَّهي، بدليل العبارة التي بعدها، وفي ذلك الحين ليسوا جهَّالا، بخلاف ما لو فعلوا قبل النهي، لأنهم كانوا جهالا، ولكنه أجيب بأن مسألة التَّكفير وارد فيمن فعل الكفر، هل يكفر لمانع أم لا؟ وأما شخص لم يعمل الكفر أصلا، فما هو السبب في إدخاله هنا؟ ففيه الخروج عن الموضوع وتكبير المسألة، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

انظر العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ للشنقيطي (٤/ ١٣٣) ورفع الاشتباه للمعلِّمي (٢/ ٥٥٤).

(١) يعني أن عدم تكفيرهم عدم فعل المطلوب كالمسالة الأولى، وهذه المسالة من أصعب المسائل في هذا الكتاب، لكثرة المسائل الخفية المتعلقة بها، وذلك لأن العلماء يختلفون: هل ما طلبه أصحاب رسول الله ﷺ شرك أو هو مجرد المشابهة فقط؟ ثم من قال: إنه شرك، اختلفوا هل هو شرك أصغر أو أكبر؟ وقد وقع في كلام المصنف في هذه المسألة شيء من الغموض، وذلك لأنَّه في بعض كتبه كالذي نحن فيه يقرر أنه شرك أكبر، بينما يقرر في بعضها ككتاب التَّوحيد أنه أصغر، وربما فهم من كلامه أنه مجرد المشابهة، كقوله: "إذا كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين، في العكوف وتعليق الأسلحة للتبرك، فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأطم؟! الشرك الأكبر، الذي حرمه الله، ورسوله."

وتقرير هذه المسائل مع توضيحها والنقاش فيها لا يحتمله هذا المختصر، ولكن الخلاصة أنَّ أولئك الصحابة لم يكفروا مع أنهم طلبوا شركا أكبر، لكونهم جاهلين، معذورين بالجهل، لحداثتهم في الإسلام، كما أشار إليه الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبهذا صرَّح جماعة من أئمة التَّوحيد كالعلامة أبا بطين في الانتصار (ص/ ٥٣) والشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص/ ١٨٥) والشيخ صالح آل الشيخ في هذا مفاهيمنا (ص/ ٨٢)، والعلامة الراجحي في شرح كشف الشبهات، وفي =

ولا خلاف فيه أن بَني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا. [١]

وكذلك لا خلاف في أنَّ الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، [٢] واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، [٣] وهذا هو المطلوب. [٤]

= الدرر السنية (٥/ ١٢٠): " وفي هذا الحديث من الفوائد: أن التبرك بالاشجار ونحوها شرك وتأله بغير الله، ولهذا شبه قولهم: اجعل لنا ذات أنواط، بقول بني إسرائيل: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً} ومنها: أن حقيقة الشيء لا تتغير بتغير الاسم. ومنها: خطر الشرك والجهل، فكادوا أن يقعوا في الشرك لما جهلوه."
انظر للمزيد: الدرر السنية (١/ ٣٨٩) والاقتضاء لابن تيمية (٢/ ١٥٧) والاعتصام للشاطبي (٢/ ٧٥١) والدرر النضيد للشوكاني (ص/ ٤٦) بتحقيق الحسني. وإغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٢٠٥) وفتح المجيد (ص/ ١٤٢) مع تعليقات الفقهي وابن باز، وفتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٣٥) (٢/ ٥١) والتَّمهيد شرح كتاب التَّوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ١٣٣) وشرح الكشف له (ص/ ٣٦١).

(١) لو فعلوا وأتوا بصنمٍ يتعبدونه مثل ما للمشركين لكفروا بعد إقامة الحجة عليهم، لأن الجاهل لا يكفر حتى يقام عليهم الحجة، مع اعتبار التفاصيل التي تقدمت.

(٢) أي: لو عاندوه.

(٣) أي: لا شك أن هؤلاء لو اتخذوا ذات أنواط بعد إنكار النبي ﷺ عليهم لكفروا. قاله أبا بطين في الانتصار (ص/ ٣٥).

(٤) يعني أنَّ وجه أحتجاجنا هو بتقدير الفعل؛ لو صدر لكان كفراً، فكان احتجاجاً في محله ولكنهم لم يفعلوا وإلا لو فعلوه لكان كفراً. فسلم لنا الاحتجاج بالقصتين عليكم. وأما أنتم فقد فعلتم، واتخذتم القبور من دون الله. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٠٧) شرح العلامة ابن حميد (ص/ ١٠٧).

بَعضُ فَوائد القصَّة

ولكن هذه القصة [(١)] تفيد: أن المسلم -بل العالم- قد يقع في أنواع من الشرك [(٢)] لا يدري عنها. [(٣)] فتفيد لزوم التَّعلّم [(٤)] والتحرز. [(٥)]

---

(١) أي: قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وبعض الصحابة مع الرسول ﷺ والمؤلف ذكر من هذه خمس فوائد. شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٠٧) والتوضيحات الكاشفات (ص/ ٢١١).

(٢) قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد (ص/ ١٣٩): " ولا يستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنا، وطلبوه من النبي صلي الله عليه وسلم حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} فكيف لا يخفى على من دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟! بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية، فأكبروا فعله واتخذوه قربة."

(٣) ظاهر هذا الكلام بوضوح أن العالم قد يجهل في بعض أنواع الشرك فيقع فيها فيعذر له، وإذا كان العالم الذي قد يفهم يعذر له فمن باب أولى أن الجاهل الذي لا يفهم أصلا أن يعذر له، وفي هذا رد على الذين يقولون: لا يعذر أحد في الشرك الأكبر.

قال عبد الرحمن بن حسن: "إذا كان هذا التوحيد الذي هو حق الله على العباد قد خفي على أكابر العلماء في أزمنة سلفت، فكيف لا يكون بيانه أهم الأمور ؟! خصوصاً إذا كان الإنسان لا يصح له إسلام ولا إيمان إلا بمعرفة هذا التوحيد وقبوله ومحبته والدعوة إليه وتطلب أدلته واستحضارها ذهناً وقولاً وطلباً ورغبة ". انظر الدرر السنية (١/ ١٩٣).

(٤) أي: تعلم أسباب النجاة، فإنه لا نجاة إلا بالعلم ومعرفة الضد والشر لغيره. يعرف الشرك وأقسامه ووسائله وذرائعه ليسلم من الوقوع فيه. قال المصنف: "والحاصل: أن مسائل التوحيد، ليست من المسائل التي هي من فن المطاوعة خاصة، بل البحث عنها وتعلمها فرض لازم على العالم والجاهل والمحرم والمحل، والذكر والأنثى." شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/١٠٨) والتوضيحات الكاشفات (ص/ ٢١٢) والدرر السنية (١٠/ ٥٤).

(٥) يعني اتهام العمل أن يكون دخله شيء من الشرك، بل يجعل على باله هل أخلص قبل دخوله فيه؟ يعرف الشرك وأقسامه ووسائله وذرائعه ليسلم من الوقوع فيه؟ شرح الكشف لابن إبراهيم (ص/١٠٨).

ومعرفة أن قول الجاهل: [١]

(١) لعل المؤلف يشير إلى مقالة المويس (١١٧٥هـ) أحد الخصوم الألداء الذين ناهضوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وسعوا إلى الصدّ عن دين الله تعالى، وقد حكى الشيخ مقالته في إحدى رسائله: "ومع هذا يقول لكم شيطانكم المويس أن بنيات حرمه وعيالهم يعرفون التوحيد فضلاً عن رجالهم".

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: "وهذه الكلمة قد صدرت من بعض الطلبة لما كثر التدريس في التوحيد متنه، أو كتب نحوه سئموا وأرادوا القراءة في كتب أخرى. وقيل إنه من المرسلين؛ فنقم عليه المصنف في هذا القول؛ يعني أنك ما فهمته حتى الآن."

قال الشيخ صالح آل الشيخ: " وهذه الكلمة التوحيد فهمناه قالها بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة قالوها له في درسه.

فإنه لما أتم إقراء كتاب التوحيد وبيان مسائله فأراد أن يعيد الكرة ثالثة أو رابعة. قالوا له: يا شيخ نريد كتابا آخر، نريد الفقه أو الحديث. قال: لم؟ قالوا: التوحيد فهمناه نريد علما آخر. فقال لهم: أنظروني حتى أنظر في هذه المسألة. فلما أتى بعد بضعة أيام سألهم، جلس في مجلس درسه وبدا على وجهه التكدر جدا. قالوا له: ما به وجه الشيخ؟ قال: أبلغت بشيء كدرني. فقالوا له: وما هو؟ قال: بلغني أن بيتا في الدرعية ذبح أصحابُه عند الباب ديكا لأجل نزولهم البيت، أرادوا أن ينزلوا البيت وعند النزول عند الباب ذبحوا ديكا وسال الدم على عتبة الباب، وأنا أرسلت من يتثبت في الأمر، ونقوم في ذلك بما يجب. فلما أتى من غد قالوا له: ماذا حصل يا شيخ ما الذي صار في هذا الذي...؟ قال: وجد الأمر غير ذلك. قالوا: ماذا وجدت؟ قال لهم: وجدت أن أهل البيت ما حصل منهم ذلك؛ ولكن فلان وقع على أمه. قالوا: أعوذ بالله وقع على أمه!! أعوذ بالله وقع على أمه!!!

فالشيخ قال هذه الكلمة منه تعلم أن قول الجاهل التوحيد فهمناه من أكبر الجهل ومكايد الشيطان؛ لأنهم استعظموا كبيرة من الكبائر، وأما الشرك الأكبر بالله المخرج من الملة ما أنكرته قلوبهم، لماذا ما أنكرت قلوبهم هذه الصورة وهو إسالة الدم عند عتبة الباب عند النزول نزول الدار؟ لأنهم لا يعلمون أن هذه الصورة لأجل التقرب إلى الجن لدفع شره أو لدفع شر أصحاب العين الذي هو تقرب بالذبح إلى غير الله الذي هو شرك أكبر بالحق جل وعلا، فاستعظموا كبيرة من الكبائر ولم يستعظموا الشرك الأكبر بالله جل وعلا، كما يحصل وترون ذلك من بعض الجهلة من أنهم إذا رأوا
=

(التَّوحيد فهمناه) [(١)] أن هذا من أكبر الجهل [(٢)] ومكائد الشيطان. [(٣)]

وتفيد أيضًا أن المسلم المجتهد [(٤)] إذا تكلَّم بكلام كفر وهو لا يدري فنُبِّه على ذلك [(٥)]

= بعض الكبائر تغيضوا وقاموا وقعدوا، وأما إذا سمعوا بالشر الأكبر بالله جل وعلا وفلا يتحرك لهم ذلك. "

التوضيحات الكاشفات (ص/ ٢١٢) و مؤلفات الشيخ (٥/ ١٧٣) تعليقات على كشف الشبهات (ص/ ١٠٣) شرح كشف الشبهات لصالح آل الشيخ (ص/ ٣٦٥). وشرح الشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ١٠٨).

(١) أي: لا حاجة لتدريسه وتعليمه.

(٢) قال المصنف: "شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد، فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه، فكيف بغيرهم؟ ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه." الدرر السنية (١٣/ ٣٨٤).

(٣) مكائد جمع كيد، وهو أخو المكر.

قال ابن الجوزي: "اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس: صدهم عن العلم؛ لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء". تلبيس إبليس ص ٣١٠).

(٤) أي: الحريص على الابتعاد من الشرك، واتباع ما أمره الله ورسوله، وليس معناه المجتهد أي الذي توفرت فيه شروط الاجتهاد حتى لا يخرج غيره المعذور.

قال المصنف: " أما الشرك الذي يصدر من المؤمن وهو لا يدري، مع كونه مجتهدا في اتباع أمر الله ورسوله، فأرجو ألا يخرجه هذا من الوعد.

وقد صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب، كحلفهم بآبائهم، وحلفهم بالكعبة، وقولهم: ما شاء الله وشاء محمد، وقولهم: اجعل لنا ذات أنواط؛ ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه، ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الآباء والعادات. " انظر الدّرر السنيَّة (٢/ ١٥٠).

(٥) أي: أن هذا كفر، ولا يجوز القول به.

فتاب من ساعته أنه لا يكفر [(١)] كما فعل بنو إسرائيل، [(٢)] والذين سألوا النبي ﷺ. [(٣)]

وتفيد أيضًا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شَديدًا، [(٤)] كما فعل رسول الله ﷺ. [(٥)]

* * *

(١) أي: أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلاً بذلك ثم نبه فأنتبه وتاب في الحال فإن ذلك لا يضره لأنه معذور بجهله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما لو استمر على ما علمه من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله. شرح الكشف لابن عثيمين (ص/ ٩١).

(٢)) في طلبهم لمَّا قالوا: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٣٨].

(٣) في طلبهم لمَّا قالوا: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ».

(٤) من أجل أن يكون وقعها في القلوب عظيماً، فإذا أنكرت عليه إنكاراً شديداً مغلَظاً عليه هذه الكلمة التي تكلم بها يكون أوقع في قلبه من أنه ارتكب جريمة، ولا سيما الكلمات التي تؤدي إلى الكفر، فهذه لا بد من التغليظ في الإنكار فيها. قاله ابن حميد في شرح الكشف (ص/ ٨٦).

(٥)) في إنكاره على أولئك في قولهم اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط كما تقدم. انظر شرح الكشف لمحمد بن إبراهيم (ص/ ١٠٩).

الشُّبهَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ والرَّدُّ عَلَيهَا [١]

ولِلمُشرِكِين شُبهَة أخرَى يقُولون: إن النَّبيَّ ﷺ أنكر عَلَى أسَامَةَ قَتل من قَالَ: (لَا إِلَه إِلَّا الله)، وقال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟». [٢]

وكذلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله)». [٣]

وأحاديث أخرى في الكفِّ عَمَّن قالها. [٤]

---

(١) مضمون هذه الشبهة أنَّ من قال (لا إله إلا الله) لا يجوز لا تكفيره، ويجب الكفّ عنه، ولو ارتكب ناقضا.

قال البَسَّامِ فِي حَاشِيته عَلَى الكَشف: " كلمة التوحيد ليست عاصمة بلفظها، وإنما هي دليل العصمة، فيجب التثبت مع من قالها، فإن حققها فهو المسلم المعصوم، ومن لم يحققها فمجرد لفظها لا يعصمه."

(٢) أخرج البخاري برقم (٤٢٦٩) ومسلم برقم (٩٦) عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيناهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ لِي: " يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: فَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٤) ومسلم برقم (٢١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتمامه: "فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ."

وثبت بنحوه عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في الصحيحين، خ(٢٥) م(٢٢) وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في البخاري برقم (٣٩٢) وجابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مسلم برقم (٢١).

(٤) أي: عمن قال بهذه الكلمة، وفضائل هذه الكلمة كثيرة.

ومراد هؤلاء الجهلة [١] أنَّ من قالها لا يكفر، [٢] ولا يُقتل، [٣] ولو فعل ما فعل. [٤] فيقال لهؤلاء المشركين الجهَّال: [٥] معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم....

---

(١) من إيراد هذه الأحاديث والتشبيه بها. انظر شرح الكشف للعلامة محمَّد بن إبراهيم (ص/ ١١٠).

(٢) قال المصنف: "وهذه الأحاديث الصحيحة، إذا رآها هذا الجاهل، أو بعضها، أو سمعها من غيره، طابت نفسه وقرت عينه، واستفزه المساعد على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك، فلو أنه دعا غير الله، أو ذبح له، أو حلف به، أو نذر له، لم ير ذلك شركا، ولا محرما، ولا مكروها". الدرر السنية (٢/ ٨٥).

(٣) وهنا تنبيه على أنه ليس ثم تلازم ما بين القتال والحكم بالكفر فقد يحكم بالكفر ولا يقاتل، وقد يقاتل وليس بكافر يعني ليس كل من قوتل فإنه كافر بل تقاتل الطائفة التي تمتنع عن إظهار شريعة من شرائع الإسلام التي تمنع شعيرة من شعائر الإسلام. شرح صالح آل الشيخ (ص/ ٣٨١).

(٤) قال الشيخ أبابطين: "وأما قول من يقول: إن من تكلم بالشهادتين ما يجوز تكفيره، وقائل هذا القول لا بد أن يتناقض، ولا يمكنه طرد قوله، في مثل من أنكر البعث، أو شك فيه، مع إتيانه بالشهادتين، أو أنكر نبوة أحد من الأنبياء الذين سماهم الله في كتابه، أو قال الزنى حلال، أو نحو ذلك، فلا أظن يتوقف في كفر هؤلاء وأمثالهم، إلا من يكابر ويعاند.

فإن كابر وعاند، وقال: لا يضر شيء من ذلك، ولا يكفر به من أتى بالشهادتين، فلا شك في كفره، ولا كفر من شك في كفره، لأنه بقوله هذا مكذب لله ولرسوله، ولإجماع المسلمين؛ والأدلة على ذلك ظاهرة بالكتاب والسنة والإجماع." الدرر السنية (١٠/ ٢٥٠) ومجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٦٥٩).

(٥) المصنف رحمه الله تعالى رد على هذه الشبهة بجوابين، جواب مجمل، وجواب مفصل.
وقال في موضع آخر: " فاعلم: أن تصور هذه المسألة تصورا حسنا، يكفي في إبطالها من غير دليل خاص، لوجهين:

الأول: أن مقتضى قولهم أنَّ الشرك بالله وعبادة الأصنام، لا تأثير لها في التكفير، لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها، وكذب الرسول والقرآن، فهو كافر، وإن لم يعبد الأوثان، كاليهود.

=

.... وهم يقولون: (لا إله إلا الله).[(١)]

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة [(٢)] وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون، ويدَّعون الإسلام. [(٣)]

= فإذا كان من انتسب إلى الإسلام، لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر، لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله، ويصلي، ويفعل كذا وكذا، لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير، بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة، والعمى والعرج، فإن كان صاحبها يدعي الإسلام فهو مسلم، وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر؛ وهذه فضيحة عظيمة، كافية في رد هذا القول الفظيع.

الوجه الثاني: أن معصية الرسول ﷺ في الشرك وعبادة الأوثان، بعد بلوغ العلم، كفر صريح بالفطر والعقول، والعلوم الضرورية؛ فلا يتصور أنك تقول لرجل، ولو من أجهل الناس، وأبلدهم: ما تقول فيمن عصى الرسول ﷺ ولم ينقد له في ترك عبادة الأوثان والشرك، ممن يدعي أنه مسلم متبع؟ إلا ويبادر بالفطرة الضرورية، إلى القول: بأن هذا كافر، من غير نظر في الأدلة، أو سؤال أحد من العلماء.

ولكن لغلبة الجهل، وغرابة العلم، وكثرة من يتكلم في هذه المسألة، من الملحدين، اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين، الذين يحبون الحق، فلا تحقرها، وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية، لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت، ويجعلك أيضا من الأئمة الذين يهدون بأمره." انظر الدرر السنية (٩/ ٤٢٥-٤٢٦) والتوضيحات الكاشفات (ص/ ٢١٩).

(١) فلا منع قولُ (لا إله إلا الله) من قتالهم وسبيهم؛ فدل على أن مجرد قول (لا إله إلا الله) لا يمنع من التكفير، بل يقولها ناس كثير ويكونون كفاراَ. انظر شرح الكشف للشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ١١١).

(٢) هم: مسيلمة الكذاب وأصحابه.

(٣) ومع ذلك قاتلوهم، وسبوا حريمهم وذراريهم، مع قولهم لا إله إلا الله ... إلخ، لأجل مُكَفِّراتٍ أُخَر. انظر شرح الكشف للشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ١١١).

وكذلك الذين حرَّقَهم علي بن أبي طالب بالنار. [١]

وهؤلاء الجهلة [٢] مقرّون أن من أنكر البعث كفر وقتل،

ولو قال: (لا إله إلا الله) [٣] وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها. [٤]

فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، [٥]

---

(١) مع صلاتهم وادعائهم الإسلام، وهم من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن وقع منهم الغلوُ في علي وتجاوُز الحد في تعظيمه حتى ادعوا فيه الإلهية. شرح الكشف للشيخ محمد بن إبراهيم (ص/ ١١١).

(٢) المشركون.

(٣) أي: لا تنفعه الشهادتان.

(٤) إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ. شرح مسلم للنووي (ص/ ١٥٠).

(٥) ظاهر كلام المصنِّف أنَّ الصلاة والزكاة والبعث ونحوها فروع، مع أن أدلَّتها كثيرة، وأنها ليست من أصول الدين، وهذا فيه نظر بيِّن، وهو قول المتكلمين، وأجيب بأن مراد المصنف هو كونها فرعا بالنسبة إلى التوحيد، ولا شكَّ أنها ليست في مرتبة التوحيد، ومراد المتكلمين أن العمليات لا يكفر به الشخص، ففرق بين المقصودين.

قال شيخ الإسلام: "وَالَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ لَمْ يَذْكُرُوا ضَابِطًا يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ بَلْ تَارَةً يَقُولُونَ: هَذَا قَطْعِيٌّ وَهَذَا ظَنِّيٌّ وَكَثِيرٌ مِنْ مَسَائِلِ الْأَحْكَامِ قَطْعِيٌّ وَكَثِيرٌ مِنْ مَسَائِلِ الْأُصُولِ ظَنِّيٌّ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ فَإِنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ قَطْعِيًّا وَظَنِّيًّا أَمْرٌ إضَافِيٌّ وَتَارَةً يَقُولُونَ: الْأُصُولُ هِيَ الْعِلْمِيَّاتُ الْخَبَرِيَّاتُ وَالْفُرُوعُ الْعَمَلِيَّاتُ وَكَثِيرٌ مِنْ الْعَمَلِيَّاتِ مَنْ جَحَدَهَا كَفَرَ كَوُجُوبِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ". انظر مجموع ابن تيمية (١٣/ ١٢٦) (٦/ ٥٦-٥٧) (٤/ ٥٦) والصواعق المرسلة (٢/ ٦١٣-٦١٤) والتعريفات الاعتقادية (ص/ ٤٣).

وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟. (١)

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث، (٢) ولن يفهموا. (٣)

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادَّعى الإسلام (٤) بسبب أَنَّه ظَنَّ أنه ما ادَّعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله. (٥)

والرَّجل إذا أظهر الإسلام (٦) ...

---

(١) أي: إذا كان دم العبد المدَّعي الإسلام يستباح إذا أنكر وجوب الحج، أو الصلاة أو الصيام أو الزكاة، وهي دون التَّوحيد رتبة، فإنَّ حصول كفره ووجوب قتاله، إذا جحد التَّوحيد أولى وأحقّ. انظر شرح الكشف للشيخ صالح العصيمي (ص/ ٨٣).

(٢) ولا حاموا حولها وعشا على أبصارهم التقليدُ الأعمى والجمود وإحسان الظن بأناس أعرضوا كل الإعراض عن التوحيد، وقلّدوا من ظن أن قول لا إله إلا الله في هذه الأحاديث كافٍ مع الجهل بمدلول لا إله إلا الله. والإنسان إذا أراد أن يطالع في كلام الفقهاء فإنه يجد أن الإنسان إذا أتى بمكفِّرٍ قولي أو اعتقادي فإنه يكفر ولا ينفعه جميع ما تسمَّى به وعمله.

والمشركون في هذه الأزمان زعموا أنه لا يكفر إلا من تعلَّق عليها وزعم أنها تستقل بجلب المنافع ودفع المضارّ. وهذا من كبير جهلهم، وهذا بعينه دينُ المشركين الذين ما أُنزِلت جميع الكتب ولا أُرسِلت الرسل إلا لردِّه وإبطاله؛ فإن المشركين الأولين قلَّ منهم من يزعم أن من يلجأ إليه يستقل بجلب المنافع ودفع المضار. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ١١٣).

(٣) لأن الشبهة إذا قامت في القلب والبدعة إذا قامت بالروح وبالقلب فإن صاحبها يصعب عليه الخلاص منها. انظر شرح الشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٣٧٦).

(٤) أي: قال: (لا إله إلا الله).

(٥) قال القاضي عياض: "لا امتراء أن أسامة إنما قتله متأوّلاً، وظانًا أن الشهادة عند معاينة القتل لا تنفع، كما لا تنفع عند حضور الموت، ولم يعلم بعد حكم النبي ﷺ فيه، ألا تراه كيف قال: إنما قالها متعوّذًا، فحكمه حكم الخاطئ". إكمال المعلم (١/ ٣٧١).

(٦) أي: ما يدل أنه مسلم، كتلفظه بالشهادتين، أو يظهر شيئا من علامات الإسلام.

=

...وجب الكف عنه [(١)] حتى يتبين منه ما يخالف ذلك. [(٢)]

وأنزل الله تعالى في ذلك: [(٣)] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ ...

= قال ابن عبد البر في التمهيد (١٠/ ١٥٣): "مَنْ أَظْهَرَ الشَّهَادَةَ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حقنت دَمُهُ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ مَا يُوجِبُ إِرَاقَتَهُ مِمَّا فُرِضَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِيحِ لِقَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ."

قال الشوكاني في الدرر النضيد: "لا شك أن من قال لا إله إلا الله، ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقون الدم، والمال إذا جاء بأركان الإسلام."

الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ٣٤٧).

(١) وذلك لأن من قواعد الإسلام أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر والله يتولى السرائر.

قال أبو المعالي برهان الدين الحنفي: " والبناء على الظاهر واجب حتى يقوم الدليل على خلافه".

وقال أيضا: " والبناء على الظاهر واجب ما لم يعارضه ظاهر آخر".

انظر شرح مسلم للنووي (٢/ ١٠٧) والمحيط البرهاني في الفقه النعماني (٨/ ٩٣) (٩/

(٢) قال الشوكاني في الدرر النضيد: "وأما من تكلم بكلمة التوحيد، وفعل أفعالا تخالف التوحيد، كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الأموات، فلا ريب أنه قد تبين من حالهم خلاف ما حكته ألسنتهم من إقرارهم بالتوحيد، ولو كان مجرد التكلم بكلمة التوحيد موجبا للدخول في الإسلام، والخروج من الكفر، سواء فعل المتكلم بها ما يطابق التوحيد أو يخالفه لكانت نافعة لليهود، مع أنهم يقولون: عزير ابن الله، وللنصارى مع أنهم يقولون: المسيح ابن الله، وللمنافقين مع أنهم يكذبون بالدين، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وجميع هذه الطوائف الثلاث يتكلمون بكلمة التوحيد، بل لم تنفع الخوارج فإنهم من أكمل الناس توحيدا، وأكثرهم عبادة، وهم كلاب النار. "

انظر الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ٣٥٠).

(٣) أي: في بيان هذا الأمر، أو في قصة أسامة على قول.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا} =

...[سورة النساء:٩٤] [١] أي: فتثبَّتوا. [٢]

فالآية تدل على أنه يجب الكفَّ عنه والتثبّت، [٣] فإذا تبين منه بعد ذلك [٤] ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [سورة النساء:٩٤]. [٥]

= [النساء: ٩٤] تِلْكَ الغُنَيْمَةُ". وقد اختلف العلماء سبب نزول هذه الآية على أقوال، وهذا الذي في الصحيحين أقواها، انظر الفتح للحافظ ابن حجر (٨/ ٢٥٨).

(١) قال السِّعدي في تفسيره (ص/ ١٩٤): "يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة. فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟".

(٢) كذا قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ في هذه السورة، وَفِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ بِالتَّاءِ وَالثَّاءِ مِنَ التَّثْبِيتِ، أَيْ: قِفُوا حَتَّى تَعْرِفُوا الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ مِنَ التَّبَيُّنِ، يُقَالُ: تَبَيَّنْتُ الْأَمْرَ إِذَا تَأَمَّلْتُهُ.
قال القرطبي: " و(فَتَبَيَّنُوا) فِي هَذَا أَوْكَدُ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَثَبَّتُ ولا يتبين."
انظر تفسير البغوي (٢/ ٢٦٨). تفسير القرطبي (٥/ ٣٣٨).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٩): "وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ شَيْئًا مِنْ عَلَامَاتِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَحِلَّ دَمُهُ حَتَّى يُخْتَبَرَ أَمْرُهُ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَكَانَتْ هَذِهِ عَلَامَةً."

(٤) أي: بعد أن نطق بكلمة الإسلام، وكف عنه.

(٥) وهو التأني والنظر إلى ما يصير إليه آخر الأمر.

قال ابن جرير في تفسيره (٧/ ٣٥١): "فَتَأَنَّوْا فِي قَتْلِ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ، فَلَمْ تَعْلَمُوا حَقِيقَةَ إِسْلَامِهِ وَلَا كُفْرِهِ، وَلَا تَعْجَلُوا فَتَقْتُلُوا مَنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ، وَلَا تَتَقَدَّمُوا عَلَى قَتْلِ أَحَدٍ إِلَّا عَلَى قَتْلِ مَنْ عَلِمْتُمُوهُ يَقِينًا حَرْبًا لَكُمْ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ."

ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.[١]

وكذلك الحديث الآخر[٢] وأمثاله،[٣] معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه،[٤]

---

(١) وذلك لأن التثبت يقع بعد النطق، لأنه قد يأتي عليها من العوارض الكفريَّة ما يبطلها، فإن تبين منه ما يناقض ذلك فإنه يُقاتَل حتى يدين بدين الإسلام.

فصار هنا ثلاث صور:

الأولى: أن يُعرف أنه حينما نطق بها عمل بها فهذا لا يقتل.

الثانية: أن يُشّك في حاله، ولو يُظن أنه متعوِّذ فقط، فهذا أيضاً لا يقتل.

الثالثة: أن يقولها ولكن ينقضها، فهذا يقتل لقوله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ لأنه تبيَّن منه ما يخالف الإسلام، فحلَّ دمهُ ومالهُ. وكذلك إذا كان من قبل يقولها ولا يعمل بها ومتكرِّرٌ منه ذلك فلا لها حكم. انظر شرح الكشف للشيخ محمد إبراهيم (ص/ ١١٥).

(٢) وهو (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا) إلخ.

(٣) في الكف عمن قالها، كما تقدم.

(٤) قال العلامة حمد بن معمر: "وأما حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"؛ فهذا لا إشكال فيه بحمد الله، وليس لكم فيه حجة، بل هو حجة عليكم، ولو لم يكن إلا قوله: (إلا بحقها) لكان كافيا في إبطال قولكم.

وقد قال علماؤنا رحمهم الله: إذا قال الكافر: لا إله إلا الله، فقد شرع في العاصم لدمه، فيجب الكف عنه، فإن تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت، ويكون النبي ﷺ قد قال كل حديث في وقت، فقال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله " ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب، إذا قالها كف عنه، وصار دمه وماله معصوما.

ثم بين ﷺ في الحديث الآخر: أن القتال ممدود إلى الشهادتين، والعبادتين، فقال: "أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة " فبين:

إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. [١]

والدَّليل على هذا [٢] أن رسول الله ﷺ الذي [٣] قال «أقتلته بعدما قال: (لا إله إلا الله)» (*).

وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»(*) هو الذي قال في الخوارج: [٤]

= أن تمام العصمة وكمالها إنما يحصل بذلك، ولئلا تقع الشبهة بأن مجرد الاقرار يعصم على الدوام، كما وقعت لبعض الصحابة، حتى جلاها أبو بكر الصديق، ثم وافقوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ."
الدرر السنية (١٠/ ٣٠٩-٣١٠).

(١) قال العلامة عبد اللطيف كما في الدرر السنية (١٢/ ٢٧٣): "ومجرد التلفظ من غير التزام لما دلت عليه كلمة الشهادة، لا يجدي شيئا؛ والمنافقون يقولونها، وهم في الدرك الأسفل من النار، نعم إذا قالها المشرك ولم يتبين منه ما يخالفها، فهو ممن يكف عنه بمجرد القول، ويحكم بإسلامه.
وأما إذا تبين منه وتكرر عدم التزام ما دلت عليه، من الإيمان بالله وتوحيده، والكفر بما يعبد من دونه، فهذا لا يحكم له بالإسلام، ولا كرامة له؛ ونصوص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة يدل على هذا. فمن تسمى بالإسلام حقيقة، وأحب محمدا واقتدى به في الطريقة، وأحب أصحابه الكرام، ومن تبعهم من علماء الشريعة، يجزم ولا يتوقف بكفر من سوّى بالله غيره، ودعا معه سواه من الأنداد والآلهة."

(٢) أي: على أن هذا هو مراد النبي ﷺ. شرح الكشف للعلامة محمد بن إبراهيم (ص/ ١١٥).

(٣) لفظ (الذي) ساقط من مؤلفات الشيخ (١/ ١٦٧). (*) تقدم تخريجه.

(٤) هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَفَّرَ الْمُسْلِمِينَ يُكَفِّرُونَ بِالذُّنُوبِ، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ. وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ يَبْتَدِعُونَ بِدْعَةً وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا.
قال شيخ الإسلام: " وَأَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ وَالشِّيعَةِ حَدَثَتَا فِي أَثْنَاءِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَعَاقَبَ الطَّائِفَتَيْنِ. أَمَّا الْخَوَارِجُ فَقَاتَلُوهُ فَقَتَلَهُمْ وَأَمَّا الشِّيعَةُ فَحَرَّقَ غَالِيَتَهُمْ بِالنَّارِ وَطَلَبَ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ فَهَرَبَ مِنْهُ." مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٩).

«أينما لقيتموهم فاقتلوهم» [(١)] «لئن أدركتهم لأقتُلَنَّهم قتل عاد». [(٢)]
مع كونهم من أكثر النَّاسِ عبادة، وتهليلا، وتسبيحا. [(٣)]

حتَّى إنَّ الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، [(٤)] والخوارج تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم (لا إله إلا الله)، ولا كثرة العبادة، [(٥)] ولا ادِّعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة. [(٦)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦١١) ومسلم برقم (١٠٦٦) عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٤) ومسلم برقم (١٠٦٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) فتبيَّن أن مراد النبي ﷺ بقوله: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ " أنه ليس كل من قال: (لا إله إلا الله) لا يكفر ولا يقتل. فقولهم: إن من قال: (لا إله إلا الله) لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، من عظيم جهلهم؛ فكل إنسان ينظر في نصوص الشريعة فإنه موجود كثير ممن يقتل وهو يقول: (لا إله إلا الله)، ومن قال خلاف ذلك فليس من أهل العلم بوجه. شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١١٦).

(٤) أي: عند الخوارج.

(٥) أي: ما نفعت الخوارج مع ما انضمَّ إليها من العبادة التي يحتقر الصحابةُ عبادتَهم إلى جنبها. فثبت أنَّ مجرَّدَ قول كلمة التوحيد غيرُ مانع من ثبوت شرك مَن قالَها؛ لارتكابه ما يُخالفها من عبادة غير الله. تطهير الاعتقاد للصنعاني (ص/ ٧٢-٧٣).

(٦) أي: في كون دمه غير معصوم، بل يقتل الذي يقاتل منهم لكونهم خرجوا عن السنة والجماعة، والمصنف لا يرى تكفير الخوارج.

قال شيخ الإسلام (٢٨/ ٥٨٠): "وَهَؤُلَاءِ خَرَجُوا عَلَى عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فَقَتَلَ الَّذِينَ قَاتَلُوهُ جَمِيعَهُمْ مَعَ كَثْرَةِ صَوْمِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَقِرَاءَتِهِمْ. فَأُخْرِجُوا عَنْ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ عِبَادَةٌ وَوَرَعٌ وَزُهْدٌ؛ لَكِنْ بِغَيْرِ عِلْمٍ. "

مسألة مهمة: هل الخوارج كفار؟

=

= اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافا شديدا حتى قال القاضي في الإكمال (٣/ ٦١٢): "وقد كادت هذه المسألة تكون أشد إشكالاً عند المتكلمين من سائر المسائل، ولقد رأيت أبا المعالى وقد رغب إليه الفقيه أبو محمد عبد الحق - رحمهما الله - في الكلام عليها فهرب له من ذلك، واعتذر له بأن الغلط فيها يصعب موقعه؛ لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج مسلم منها عظيم في الدين، وقد اضطرب فيها قول القاضي ابن الطيب وناهيك به في علم الأصول، وأشار - أيضاً - القاضي - رحمه الله - إلى أنها من المعوصات؛ لأن القوم لم يصرحوا بنفس الكفر، وإنما قالوا أقوالاً تؤدى إليه."

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالزَّنْدَقَةِ: "وَالَّذِي يَنْبَغِي الِاحْتِرَازُ عَنِ التَّكْفِيرِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ دِمَاءِ الْمُصَلِّينَ الْمُقِرِّينَ بِالتَّوْحِيدِ خَطَأٌ وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَإِ فِي سَفْكِ دَمٍ لِمُسْلِمٍ وَاحِدٍ." .

وجمهور أهل العلم من الصَّحابة الفقهاء وغيرهم ونقل الخطابي عليه الإجماع ولا يصح على أنهم ليسوا بكفار، قال النووي في شرح مسلم (٢/ ٥٠): " الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ الْمُخْتَارَ الَّذِي قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ وَالْمُحَقِّقُونَ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكَفَّرُونَ كَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ."

وذهب بعض أهل الحديث كالبخاري إلى تكفيرهم أخذا بظاهر الحديث، وهو اختيار ابن العربي في شرح الترمذي والرافعي والسبكي، قال ابن قادمة في المغني (٨/ ٥٢٥): " وَأَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّهُمْ بُغَاةٌ، وَلَا يَرَوْنَ تَكْفِيرَهُمْ. قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا وَافَقَ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ وَجَعْلِهِمْ كَالْمُرْتَدِّينَ."

والصحيح والله أعلم في هذه المسألة هو عدم تكفير الخوارج لأمور منها:

(١) أن الصحابة أجمعوا على عدم تكفيرهم. (٢)أن منهم من صلى خلفهم كعبد الله بن عمر.

(٣) ما اشتهر عن علي "من الكفر فرُّوا". (٤)أن عندهم مانعا وهو كونهم متأولين.

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٥/ ٢٤٨): "فالصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم."

وقال أيضا في نفس المصدر (٥/ ٢٤١): "كانت سيرة عليّ والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة ولم ينكر أحد على علي ذلك فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام".

كذا قررته هنا، ثم أرسل إليَّ أخونا الفاضل الباحث أبو زرعة الصومالي بحثا له في تصحيح أثر أبي أمامة في تكفير الخوارج، وأسماه: الناتج عن تخريج أثر أبي أمامة الباهلي في تكفير الخوارج، فإن =

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة. [(١)]

وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة [(٢)] حتى أنزل الله:

= صحَّ هذا الأثر فالقول بعدم التكفير هو قول جمهور الصحابة ممن هو أعلم من أبي أمامة كعلي رضي الله عنه، وإلا ففي النفس شيء كبير في حال أبي غالب الذي يروي عن أبي أمامة، لا سيما من تفرداته، والحديث مما تفرد به، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وينتبه أن المصنِّف رحمه الله ليس مراده هنا تكفير الخوارج، وإنما يريد جواز قتلهم، مع أنهم يقولون (لا إله إلا الله)، وذلك لما قاله الشيخ سليمان بن سمحان في الضياء الشارق (ص/ ٣٧٨): "وأما ما ذكره في الخوارج، فإنما هو لأجل ما قام بهم من الشبهة المانعة من تكفيرهم. والشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يكفر الخوارج، كما أن أكثر أهل العلم لا يكفرونهم." انظر الفتح للحافظ ابن حجر (١٢/ ٣٠٠) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٥١٨) والدرر السنية (١٠/ ٢٤٤).

(١) فلو أن مجرد قول لا إله إلا الله يعصم الدم والمال لما قاتل رسول الله ﷺ اليهود وقاتل الصحابة بني حنيفة.

فليس مراده من "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ " وقوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" وأحاديث أخر في الكف عمن قالها كما استدلوا به هنا؛ بل مراده ﷺ أن من كان قبل على الكفر ثم أسلم فإنه يُكفُّ عنه كفَّ انتظار، ولو أنه يحتمل. فالحكم الشرعي أنه يكف عنه وينتظر؛ إن استقام على الإسلام استمر به وإلا قتل قتلاً أشدَّ من الأول وأسوأ حالاً وأحكاماً من الأصلي كما علم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة. شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١١٧).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند برقم (١٨٤٥٩) عن الْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيِّ، وابن جرير الطبري في "التفسير" (٢٥/ ٧٨)، والبيهقي في "سننه " (٩/ ٥٤- ٥٥). وصححه الألباني وغيره.

قال ابن عبد البر: "ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فِيمَا علمت أن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ نَزَلَت فِي الوَلِيد بْن عُقْبَةَ".

قال ابن كثير: " ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ. وَقَدْ حَكَى أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَلَى ذَلِكَ الْإِجْمَاعَ." ومن أهل العلم من أنكر هذا السبب وضعَّف الآثار الواردة، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. انظر الصحيحة للألباني برقم (٣٠٨٨) وتحقيق مسند =

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [سورة الحجرات:٦]. (١)

وكان الرجل كاذبا عليهم. (٢) وكلّ هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه. (٣)

= أحمد (٣٠/ ٤٠٣). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٥٥٣) والبداية والنَّهاية (١١/ ٦٠٤) والعواصم من القواصم لابن العربي بتحقيق محب الدين (ص/ ١٠٢) وفيه بحث طويل.

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٤٥): " يَأْمُرُ تَعَالَى بِالتَّثَبُّتِ فِي خَبَرِ الْفَاسِقِ لِيُحْتَاطَ لَهُ لِئَلَّا يُحْكَمَ بِقَوْلِهِ، فَيَكُونَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَاذِبًا أَوْ مُخْطِئًا، فَيَكُونَ الْحَاكِمُ بِقَوْلِهِ قَدِ اقْتَفَى وَرَاءَهُ، وقد نهى الله عز وجل عَنِ اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُفْسِدِينَ، وَمِنْ هَاهُنَا امْتَنَعَ طَوَائِفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبُولِ رِوَايَةِ مَجْهُولِ الْحَالِ لِاحْتِمَالِ فِسْقِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَبِلَهَا آخَرُونَ لِأَنَّا إِنَّمَا أُمِرْنَا بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ خَبَرِ الْفَاسِقِ، وَهَذَا لَيْسَ بِمُحَقَّقِ الْفِسْقِ لِأَنَّهُ مَجْهُولُ الْحَالِ."

(٢) والرجل هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي، وهو صحابي فاضل، ثقة عادل، وعلى تقدير صحَّة سبب النزول فهو قد تاب من هذا الفعل، وحسنت توبته، كما هو شأن غيره من الصحابة، وأهل السنَّة يعتقدون عدالة الصحابة، لا عصمتهم، مع ما لهم من المكفرات، ومن تاب زال عَنْهُ اسْمُ الْفِسْقِ سَوَاءٌ كَانَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ أَوْ قَبْلَهُ. قال ابن العربي في العواصم (ص/ ١٠٦): " وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة" ولذلك استعمله عمر ابن الخطاب على صدقات بن تغلب، وولّاه عثمان على الكوفة. قال شيخ الإسلام: "وَالْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ فِي هَذَا أَنْ لَا نَعْتَقِدَ أَنَّ أَحَدًا مَعْصُومٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، بَلِ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُ الْخُلَفَاءِ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْخَطَأُ، وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَقَعُ مِنْهُمْ، قَدْ يَتُوبُونَ مِنْهَا، وَقَدْ تُكَفَّرُ عَنْهُمْ بِحَسَنَاتِهِمُ الْكَثِيرَةِ، وَقَدْ يُبْتَلَوْنَ أَيْضًا بِمَصَائِبَ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِهَا"

انظر الفتح لابن حجر (٥/ ٢٥٥) والبداية والنِّهاية (١١/ ٦٠٤) ومنهاج السنة (٦/ ١٩٦) وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ١١٢) والأنوار الكاشفة للمعلّمي (ص/ ٢٧٢).

(٣) وهو أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض التوحيد. وبهذا الجمع تلتئم النصوص ويزول الإشكال ويتضح المقال. التوضيحات الكاشفات للهبدان (ص/ ٢٣٠).

فائدة مهمَّة: هل من قال: (لا إله إلا الله) في حالة الحرب يكفّ عنه؟

=

الشُّبهَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ والرَّدُّ عَلَيهَا [1]

وهم شبهة أخرى: [2] وهو ما ذكر النَّبي ﷺ أنَّ الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ. [3]

= في الدرر السنيَّة (٩/ ٢٣٩): "سئل أبناء الشيخ، وحمد بن ناصر، عن المشرك إذا قال لا إله إلا الله حال الحرب؟ فأجابوا: هذا يحتاج إلى تفصيل:

أ) فإن كان المشرك لا يتلفظ بها في حال شركه وكفره، كحال المشركين الذين في زمن النبي ﷺ ، فهذا إذا قال:(لا إله إلا الله)، وجب الكف عنه، لأنها دليل على إسلامه وإقراره، لأن المشركين في زمن النبي ﷺ لا يقولونها، وإذا قالها أحدهم كانت دالة على إسلامه.

ب) وأما إذا كان المشرك يتلفظ بـ(لا إله إلا الله)، في حال كفره وردته، ويفعل من الأفعال ما يوجب كفره وأخذ ماله، فهذا يقتل ويباح دمه وماله. " اهـــ كلامهم رحمهم الله تعالى مع تصرف. وانظر: شرح الأربعين النَّووية لابن دقيق العيد (ص/ ٥٤).

(١) مضمون هذه الشبهة: أن الاستغاثة بالأنبياء وذوي الجاهات من الصالحين وهم أموات، أو فيما لا يقدرون عليه ليست شركا، ويستدلون بهذا الحديث، وقد تقدَّم تعريف الاستغاثة، ومتى تكون شركا في أوَّل الكتاب، وسيوضح المصنف ذلك، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٢) يعني مشركي هذه الأزمان غير ما تقدم. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ١١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجاه أيضا خ(٤٧١٢) وم(١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه مسلم برقم (١٩٥) من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ونص حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْم، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ =

= فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى."

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا. [(١)]

والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه. [(٢)]

فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، [(٣)] كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴿١٥﴾﴾ [سورة القصص:١٥]. [(٤)]

---

(١) وممن احتج بذلك السبكي في شفاء السقام، والنبهاني في شواهد الحق، وداود بن جرجيس كما في مصباح الظلام، وغيرهم. انظر التوضيحات الكاشفات (ص/ ٢٣١).

(٢) فحالَ بينهم وبين معرفة الفرق بين هذه الاستغاثة وهذه الاستغاثة؛ فصاروا لا يبصرون الشمس في رابعة النهار فلم يفرِّقوا بين الشرك والتوحيد فهذه شيء وهذه شيء آخر، وبينهما فرق في الكتاب والسنة وفرق في الحكم والحد. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢٠).

(٣) لأنها ثابتة بالإجماع، ونحن لا ننكر ذلك.

قال الشوكاني في الدر النضيد: "ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق، فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف، ومنه: {فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه} وكما قال: {وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر} . وكما قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر والرزق، ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾. وقال: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾، وقال: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾.

انظر الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ٣٠٦).

(٤) فَاسْتَغَاثَ الإسرائيلي بموسى عليه السلام، فوجد مُوسَى فُرْصَةً وَهِيَ غَفْلَةُ النَّاسِ، فَعَمَدَ إِلَى الْقِبْطِيِّ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ. قاله ابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٠٨).

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره، في أشياء يقدر عليها المخلوق. [١]

ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، [٢] أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله. [٣]

---

(١) أي: طلب الحوائج من الأحياء جائز إذا كانوا يقدرون عليها. ومن ذلك الدعاء فإنه يجوز استمداده من كل مسلم.

قال ابن تيمية: "وقد مضت السنَّة أن الحيَّ يطلب منه الدعاء كما يطلب سائر ما يقدر عليه، وأما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شيء."

وقال أيضا: "سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان أنا في حسبك أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى و الغائبين".

انظر الرد على البكري (١/ ١٢٩) (١/ ٤٤٨) وفتح الرباني للشوكاني (١/ ٢٥٣).

(٢) الأموات، وقد خرجَ مخرجَ الواقع والغالب؛ وإلا فالأصنامُ ونحوها كذلك، والحيّ الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢٠).

(٣) أي: أنَّ النَّفي عاد إلى الشيئين إلى الاستغاثة به بعد الموت، وإلى أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فكيف إذا اجتمعا جميعا، فإن من الناس من يستغيث بالموتى من الأنبياء والصالحين ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى. قال شيخ الإسلام: " فالاستغاثة المنفية نوعان: **أحدهما**: الاستغاثة بالميت مطلقا في كل شيء. **والثاني**: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق.

فليس لأحد أن يسأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله لا نبيا ولا غيره، ولا يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، وليس لأحد أن يسأل ميتا، ولا يستغيث به في شيء من الأشياء سواء كان نبيا أو غيره ".

=

إذا ثبت ذلك [١] فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف. [٢]

وهذَا جَائزٌ في الدُّنيا والآخرة. [٣] وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ....

= وقال أيضا: "وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِأَحَدِ مِنْ الْمَشَايِخِ الْغَائِبِينَ وَلَا الْمَيِّتِينَ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي فُلَانًا أَغِثْنِي وَانْصُرْنِي وَادْفَعْ عَنِّي أَوْ أَنَا فِي حَسْبِك وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ كُلُّ هَذَا مِنْ الشِّرْكِ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَحْرِيمُهُ مِمَّا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ."

وقال أيضا: "قول القائل: (إن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى لا تطلب إلا منه) متفق عليه بين علماء المسلمين، وما علمت إلى ساعتي هذه أحدا من علماء المسلمين الذين يستحقون الإفتاء نازع في هذا".

انظر الدر على البكري (٢/ ٤٧٢) (٢/ ٥٠١) (٢/ ٥٩٥) ومجموع الفتاوى (١/ ٣٥٩).

(١) أي: إذا تقرر ما تقدم وهو الفرق بين الاستغاثتين؛ الاستغاثة الشركية التي انكرناها، والجائزة.
انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢١).

(٢) أي: أن هذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل، هو من باب سؤال الحي الحاضر، والتوسل إلى الله بدعائه، كما كان الصحابة رضي الله عنهم، يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابهم شيء، كما في حديث الاستسقاء وغيره. قاله المصنِّف كما في الدرر السنية (١١/ ١٤٤).

(٣) أي: سؤال الدعاء من الحيِّ الحاضر جائز في الدنيا والآخرة، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: "استغاثة المخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدوه ... هذا جائز لا نزاع فيه".

قلت: ومن التحقيق تفصيل المسألة بأن يقال: إن طلب الدعاء من الرجل الصالح له ثلاث حالات:

١) ما يعود نفعه على جميع المسلمين، بحيث يكون قصد السائل نفع المسلمين، فهذا مستحب، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يفعلونه، ومنه حديث أنس أن رجلا قال للنبي ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَ الكُرَاعُ، وَهَلَكَ الشَّاءُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا». =

...ويسمع كلامك [(١)] ، فتقول له: ادع الله لي [(٢)]

=

٢) ما يعود نفعه على السائل والمسئول، وهذا هو قصد السائل، فهذا جائز بلا خلاف، ومنه طلب عمر من أويس أن يستغفر له، ففيه إظهار كرامته.

٣) ما يعود نفعه على السائل فقط، أي: هذا هو القصد، فهذا مكروه والأولى تركه لأمور:

أ) أنه لم يكن من شعار الصحابة.

ب) أن فيه مخالفة لأمر الله بعدم سؤاله مباشرة.

ت) أن فيه ذلا لغير الله، وهي ظلم للنفس.

ث) أنها ذريعة إلى ألا يدعى الله مباشرة.

ج) أنه قد يؤدي بإعجاب وغرور المسئول لكثرة السائلين.

ح) أنه فيه مفسدة إيذاء المسئول، وهي نوع ظلم للخلق.

خ) الركون إلى دعاء الغير له، وربما اعتقد فيه.

انظر منهاج التأسيس والتقديس (ص/ ٣٤٦) وزبدة المقول على ثلاثة الأصول للشيخ الجليل محمد باجمال (ص/ ٤٥-٤٦) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٩١-١٩٣) (١/ ٣٢٦) (١/ ١٣٣).

(١) ومثله الآن إذا اتصلت به ويسمع كلامك، أو سجلت له صوتا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(٢) قال ابن تيمية كما في المجموع (١/ ١٩٣): "وَمَنْ قَالَ لِغَيْرِهِ مِنْ النَّاسِ: اُدْعُ لِي - أَوْ لَنَا - وَقَصَدَ أَنْ يَنْتَفِعَ ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِالدُّعَاءِ وَيَنْتَفِعَ هُوَ أَيْضًا بِأَمْرِهِ وَيَفْعَلَ ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ كَمَا يَأْمُرُهُ بِسَائِرِ فِعْلِ الْخَيْرِ فَهُوَ مُقْتَدٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ مُؤْتَمٌّ بِهِ، لَيْسَ هَذَا مِنْ السُّؤَالِ الْمَرْجُوحِ. وَأَمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ مَقْصُودُهُ إلَّا طَلَبَ حَاجَتِهِ لَمْ يَقْصِدْ نَفْعَ ذَلِكَ وَالْإِحْسَانَ إلَيْهِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ الْمُقْتَدِينَ بِالرَّسُولِ الْمُؤْتَمِّينَ بِهِ فِي ذَلِكَ، بَلْ هَذَا هُوَ مِنْ السُّؤَالِ الْمَرْجُوحِ الَّذِي تَرْكُهُ إلَى الرَّغْبَةِ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَفْضَلُ مِنْ الرَّغْبَةِ إلَى الْمَخْلُوقِ وَسُؤَالِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ سُؤَالِ الْأَحْيَاءِ السُّؤَالَ الْجَائِزَ الْمَشْرُوعَ."

وقال العلامة ابن عثيمين في شرح كشف الشبهات (ص/ ٩٨): "لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدناً له كلما رأى رجلاً صالحاً قال: (أدع الله لي)، فإن هذا ليس من عادة السلف رضي الله عنهم، وفيه اتكال على دعاء الغير، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيراً له لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل فإن الدعاء من العبادة كما قال الله تعالى ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ [سورة

=

كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه (١) في حياته. (٢)

وأما بعد موته، فحاشا (٣) وكلا (٤) أنهم سألوه ذلك عند قبره(٥)،

= غافر، الآية: ٦٠] . الآية، والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على الله عز وجل في حصول المنفعة ودفع المضرة، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو الله له فإنه يعتمد على ذلك الغير وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه."

(١) أي: يسألونه الدعاء، وفي بعض النسخ: (ذلك).

(٢) أي: بعض الصحابة كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم، ومن هؤلاء عكاشة بن محصن فإن ثبت في البخاري برقم (٣٤١٠) ومسلم برقم (٢٢٠) عن ابن عباس أنَّ عكَّاشة بن محصن قال: "ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ".
ولكن لم يكن هذا الأمر من شعائر الصحابة، وَلِهَذَا لَمْ يُعْرَفْ قَطُّ أَنَّ الصِّدِّيقَ وَنَحْوَهُ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ سَأَلُوهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَلَا سَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِلْمُسْلِمِينَ... وَإِنَّمَا كَانَ سَأَلَهُ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ كَمَا سَأَلَهُ الْأَعْمَى أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُ لِيَرُدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ وَكَمَا سَأَلَتْهُ أُمُّ سُلَيْمٍ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لِخَادِمِهِ أَنَسٍ وَكَمَا سَأَلَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَهُ وَأُمَّهُ إلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحْوَ ذَلِكَ. أفاده ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١/ ١٨٦).

(٣) كلمة تستعمل للتَّنزيه، ويقال حاشاك: أي تنزيها لك وإكراماً، أي: ينزه الصحابة عن هذا الفعل، وهو سؤال الدعاء بعد موته. انظر حاشية الخطيب على المغني (٢/ ٢٥٢).

(٤) كلمة تستعمل للردع والزجر، والإنكار، وكأنه ينكر على من ظن ذلك.

وقيل: معنى حاشا وكلا: أي: لا تقع ولم تقع ولا سمح الله.

ومراده التأكيد أنه لمّا توفّي رسول الله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئا من ذلك ألبتة؛ ففرق أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الأمة وأفضلها بين حالتي الحياة والمات."

انظر الدرر السنية (١١/ ١٤٤). وحاشية الخطيب على المغني (٣/ ٦٥).

(٥) أي: سألوه الدعاء.

بل أنكر السَّلف الصَّالح على مَن قَصَد دعاء الله عند قبره. (١)

فكيف بدعائه نفسه ﷺ؟ بأبي هو وأمِّي. (٢)

---

(١) ومن ذلك ما رواه المقدسي في المختارة برقم (٤٢٨) وغيره، عن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال: ((لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم)). وهو حسن.

ومن ذلك أيضا ما رواه عن سعيد بن منصور سهيل قال: (رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده.

فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: (إذا دخلت المسجد فسلم) ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيدا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

قال شيخ الإسلام: "وهذا مما علم بالتواتر والضرورة من دين الرسول ﷺ، فإنه أمر بعمارة المساجد والصلاة فيها، ولم يأمر ببناء مشهد، لا على قبر نبي، ولا غير قبر نبي ولا على مقام نبي، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم في بلاد الإسلام، لا الحجاز ولا الشام ولا اليمن ولا العراق ولا خراسان ولا مصر ولا المغرب مسجد مبني على قبر، ولا مشهد يقصد للزيارة أصلا، ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ، ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه...وليس في أئمة المسلمين من استحب للمرء أن يستقبل قبر النبي ﷺ، ويدعو عنده".

انظر أحكام الجنائز للعلامة الألباني (ص/ ٢٢٠) والتوضيح المفيد على كتاب فتح المجيد للشيخ البعداني (ص/ ٤١٢) واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٨٤-٢٨٦) (٢/ ١٩٨-١٩٩) والتوسل والوسيلة (ص/ ٣١٨) والصارم المنكي (ص/ ٣٢٠).

(٢) أي: إذا أنكر السلف قصد دعاء الله عند قبره، فماذا سيفعلون إذا رأوا شخصا يدعو النبي ﷺ، ويقول له: يا رسول الله أعطني كذا وكذا، فلا شك أنهم ينكرون عليه أشد من ذلك، لأن هذا شرك، وذاك بدعة.

=

الشُّبهَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيهَا [١]

ولهم شبهة أخرى، وهي: قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء، [(٢)].

= قال شيخ الإسلام: "وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ الْقَبْرِ بَلْ وَلَا أَطَالَ الْوُقُوفَ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلدُّعَاءِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ لِنَفْسِهِ؟".

وقال الشيخ عبد اللطيف: "ومن قال بأن رسول الله ﷺ بعد موته أولى بالمسألة والطلب منه في حال حياته الدنيوية، وأنَّ ما جاز طلبه في الحياة يطلب منه بعد الممات، فقد فتح باب الشرك والتنديد، وصدف عن توحيد الله العزيز الحميد، لأن هذا هو قول الصابئة المشركين، ومذهب الجاهلين الأميِّين." انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٢٣٢-٢٣٣) ومصباح الظلام (ص/ ٣٩٢).

(١) مضمون هذه الشبة أن الاستغاثة بالملائكة جائزة، وليست شركا، وإلا لما فعله إبراهيم، وهو إمام الموحِّدين، وهي نفس الشبهة التي قبلها، ولكن بدليل آخر.

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (٨/ ٥٣٩): "وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَحْتَجُّ بِمَا يُرْوَى عَنْ الْخَلِيلِ أَنَّهُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ قَالَ لَهُ جبرائيل: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَ: أَمَّا إلَيْكَ فَلَا قَالَ: سَلْ قَالَ: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي. وَأَوَّلُ هَذَا الْحَدِيثِ مَعْرُوفٌ وَهُوَ قَوْلُهُ: أَمَّا إلَيْك فَلَا؛ وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ أَنَّهُ قَالَهَا: إبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ النَّاسُ :﴿ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ . وَأَمَّا قَوْلُهُ: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي فَكَلَامٌ بَاطِلٌ خِلَافَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ دُعَائِهِمْ لِلَّهِ وَمَسْأَلَتِهِمْ إيَّاهُ وَهُوَ خِلَافُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ سُؤَالِهِمْ لَهُ صَلَاحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. كَقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وَدُعَاءُ اللَّهِ وَسُؤَالُهُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ مَشْرُوعَةٌ بِأَسْبَابِ كَمَا يُقَدِّرُهُ بِهَا فَكَيْفَ يَكُونُ مُجَرَّدُ الْعِلْمِ مُسْقِطًا لِمَا خَلَقَهُ وَأَمَرَ بِهِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ."

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨/ ٤٦٧) من طريق المعتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه، وهو سند معلّق كما ترى. وأخرجها البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٠٤٥) من طريق محمد بن عبد =

فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السَّلام: أما إليك فلا. [(١)]

قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم. [(٢)]

فالجواب: إن هذا من جنس الشُّبهة الأولى،

= الوهاب عن علي بن غنام قال: قال بشر بن الحارث: فذكره. واخرجها أيضا أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠) من كلام مقاتل وسعيد.

وهو قول بعض السلف، وليس ببعيد أنه من الإسرائيليَّات، قال الشيخ الألباني في الضعيفة (١/ ٧٤): "لا أصل له. أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو من الإسرائيليات ولا أصل له في المرفوع." انظر تفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٨) وتفسير البغوي (٥/ ٣٢٧).

والذي ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ» حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(١) قال الآلوسي: "وقد خطر لي بيتان من الشعر في قصة إبراهيم عليه السلام نظمهما بعض الأدباء العصريين وهما:

أصبحت ملة إبراهيم متبعاً ... لا أبتغي من سوى رب العلى بدلا

لو قال لي الروح جبرائيل هل لك من ... حاج لقلت له أما إليك فلا

انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٣٩٣).

(٢) وأصل ضلالهم في هذه الشبهة عدم التفريق بين الجائز والحرام، وعدم العلم والاطلاع على ما في الكتاب والسنة والإجماع من بيان ذلك. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢٤).

(١) فَإِنَّ جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، (٢) فإنَّه كما قال الله فيه ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾ [سورة النجم:٥]. (٣)

فلو أذن الله له أن يأخذ نارهم (٤) وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره الله أن يضع (*) إِبرَاهِيم في مكان بعيد عنهم لفعل. ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل. (٥)

وهذا كرجل غنيّ له مال كثير يرى رجلا محتاجا، فيعرض عليه أن يقرضه، (٦) أو أن يهبه شيئا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرَّجل المحتاج أن يأخذ

---

(١) وهي أن هذه الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر القادر، وهي جائزة كما تقدم بيانه، وهذا الجواب على فرض صحة الرواية، والرواية لا تصح كما تقدم والله أعلم وأحكم. التوضيحات الكاشفات (ص/ ٢٤٥).

(٢) وهو حي حاضر قادر؛ فإن هذا من جنس الاستغاثة بالحي الحاضر القادر. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢٥).

(٣) أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين. قاله السعدي في تفسيره (ص/ ٨١٨).

(٤) في نسخة: (نار إبراهيم). (*) في نسخة: (يغيِّب).

(٥) بخلاف الأموات فإنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولا استغاثة من استغاث بهم، وذلك بنصِّ القرآن، قال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر (١٤)] فعباد الأموات لا يزالون وهم في ضلال ما دام يدعونهم لمخالفتهم نص القرآن. حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٤٠).

(٦) أن يستدين منه.

ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منَّةً فيه لأحد. [(١)]

فأين هذا من استغاثة العبادة والشِّرك [(٢)] **لو كانوا يفقهون؟** [(٣)]

***

(١) هذا مثل إبراهيم عليه السلام، فكما أن الفقير لو قبل من الغني لم يكن مشركاً فكذلك هذه. انظر شرح الكشف للشيخ ابن إبراهيم (ص/ ١٢٥).

(٢) التي يفعلونها مع الأموات والغائبين وهي عينُ شركِ المشركين الأولين من هذه الاستغاثة المذكورة في قصة إبراهيم. انظر شرح الكشف للشيخ ابن إبراهيم (ص/ ١٢٥).

(٣) فهذا جنس وهذا جنس، فمن سوَّى بينهما فقد سوى بين المتباينين من كل وجه. وفي الحقيقة أن من قال هذا أولى ما له مراجعة عقله؛ فمن قال إن هذه مثل هذه أو توقّف فيها فهو مصاب في عقله.

انظر شرح الكشف للشيخ ابن إبراهيم (ص/ ١٢٥).

خَاتِمَة فِي أَرَكَانِ التَّوحِيدِ [١]

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمَّة جدًّا [٢] تفهم مما تقدم، [٣] ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها [٤] ولكثرة الغلط فيها [٥] فنقول:

لَا خِلافَ أنَّ التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعملِ. [٦]

---

(١) وهي أنَّ التَّوحِيدَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعتِقَادٌ.

(٢)هذه المسألة يترجم لها في كتب التوحيد بمسألة الإيمان وأنَّه قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. انظر حاشية ابن مانع على كشف الشبهات (ص/ ٤٠).

(٣) أي: أنها لم تتقدم بنصها ولكن بمفهومها من أجوبة الشبهات السابقة؛ مجموعُ جواب الشبهات السابقة يكفي، لكن جمعها في مسألة واحدة أوضح للطالب. انظر شرح كشف الشبهات للعلامة محمد بن إبراهيم (ص/ ١٢٦). وشرح الشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٤٠٤).

(٤) أي: لعظم شأنها يذكر لها كالترجمة بكلام يختص ويفرد بالكلام؛ فإن كل ما كان أعظم شأناً فإنه يفرد بكلام، فعِظَمُ شأنها يستحق أن تفرد بكلام وكثرة الغلط فيها يستحق أن تفرد بكلام.

انظر شرح كشف الشبهات للعلامة محمد بن إبراهيم (ص/ ١٢٦).

(٥) لأن الذين زعموا أنهم من أهل التوحيد وأنهم أقروا به في زمن الشيخ رحمه الله غلطوا في ذلك وظنوا أن الإقرار بالتوحيد يكفي، وما كان كذلك كان حقيقاً أن يحفظه الطالب وأن يثني عليه الخناصر. انظر شرح كشف الشبهات للعلامة محمد بن إبراهيم (ص/ ١٢٦) وشرح الشيخ صالح آل الشيخ (ص/ ٤٠٤).

(٦) نقل الإجماع غير واحد من السَّلف كالشَّافعي، والبخاري، والبغوي، وابن عبد البر، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم.

قال ابن القيم في الصلاة (ص/ ٥٦): "وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهوالتكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح." انظر شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣/ ٩٥٦) والإبانة لابن بطة (٢/ ٦٨٤) والتمهيد (٩/ ٢٣٨) وشرح السنة للبغوي (١/ ٧٨) ومجموع ابن تيمية (٧/ ٦٧٢).

فإن اختلَّ شيء من هذا لم يكن الرَّجل مسلمًا. [(١)]

فإن عرف التَّوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، [(٢)] **كفرعون، وإبليس، ...**

---

(١) قال المصنف: "اعلم رحمك الله: أن دين الله يكون على القلب بالاعتقاد، وبالحب والبغض، ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام، وترك الأفعال التي تكفر؛ فإذا اختل واحدة من هذه الثلاث، كفر وارتد".

ثم قال: " فمن عرف هذا، عرف أن الخطر خطر عظيم شديد، وعرف شدة الحاجة للتعلم والمذاكرة، وهذا معنى قوله في "الإقناع" في الردة: نطقا أو اعتقادا أو شكا أو فعلا، والله أعلم."

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "هذا ما دلَّ عليه كلام شيخنا رحمه الله في كشف الشبهة وهذا مجمع عليه بين أهل العلم، فإذا اختل أحد هذه الثلاثة اختل الإسلام وبطل، كما دلَّ عليه حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فبدأ في تعريف الإسلام بالشهادتين، ولا شك أن العلم والقول والعمل مشترط في صحة الإتيان بهما، وهذا لا يخفى على أحد شم رائحة العلم، وإنما خالف الخوارج فيما دون ذلك من ظلم العبد لنفسه، وظلمه لغيره من الناس.

وأما الديوان الأكبر، وهو ظلم الشرك، فلا خلاف بين أهل السنَّة والخوارج في التكفير بالشرك الأكبر، بعد قيام الحجة الرسالية، والمعترض جاهل، لا يفرق بين مسائل الإجماع ومسائل النزاع."

انظر الدرر السنية (١٠/ ٨٧-٨٨) وتنبيه ذوي الألباب السليمة للعلامة سليمان بن سمحان (ص/ ٧٢). ومصباح الظلام (ص/ ٥٩٠-٥٩١) وشرح الواسطية للهراس (ص/ ١٨٨).

(٢) لأنه ليس الإيمان مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين.

وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي يعتقدون أنك صادق ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ والجحود لا يكون إلا بعد معرفة الحق قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ وقال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ} وقال تعالى عن اليهود: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

انظر الصلاة وأحكام تاركها (ص/ ٥٠).

... وأمثالها.[١]

وهذا[٢] يغلط فيه كثير من النَّاسِ.

ويقولون: هذا حق،[٣] ونحن نفهم هذا،[٤] ونشهد أنه الحقّ، ولكنَّا لا نقدر أن نفعله،[٥] ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم.[٦]

أو غير ذلك من الأعذار[٧]، ولم يدر المسكين[٨] أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق،

---

(١) قال شيخ الإسلام: "وَمِنْ هَذَا الْبَابِ كُفْرُ إبْلِيسَ وَفِرْعَوْنَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ إبْلِيسَ لَمْ يُكَذِّبْ خَبَرًا وَلَا مُخْبِرًا بَلْ اسْتَكْبَرَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ. وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وَقَالَ لَهُ مُوسَى: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ} وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾."
انظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧١).

(٢) المقام مقامُ التوحيد، وأنه لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢٧).

(٣) أي: هذا الذي ندين الله به.

(٤) في نسخة: (ونحن نعرفه).

(٥) يعني: نعمل بالتوحيد.

(٦) هذا من حكاية قولهم، يريدون به ألا يكون مقبولا عندهم إلا من وافقهم على ما هم عليه، والمراد بالموافقة هنا هو الموافقة على الأقوال والأفعال الكفرية التي تخرج عن الإسلام. انظر تعليقات الكشف لمرزوق (ص/ ٥٢).

(٧) التي اعتذر بها، يعني ليس عن جهل بها، ما جحدوها لكن آثروا العاجل والحطام على الآجل. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢٨).

(٨) في بعض النسخ: (الجاهل.).

ولم يتركوا العمل به إلا لشيء من الأعذار، [(١)] قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩﴾ [سورة التوبة:٩]. [(٢)] وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤٦]. [(٣)]

وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [سورة النحل:٨٣]. [(٤)]

---

(١) من تلك الأعذار التقليد، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٣]، ومنها الاحتجاج بالقدر، ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝١٤٨﴾ [سورة الأنعام:١٤٨].

(٢) قال الطبري في تفسيره (١١/ ٢٥٣): " يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ابْتَاعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِقَتْلِهِمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ بِتَرْكِهِمُ اتِّبَاعَ مَا احْتَجَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجَجِهِ يَسِيرًا مِنَ الْعِوَضِ قَلِيلًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ كَانُوا نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَكْلَةٍ أَطْعَمَهُمُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ."

(٣) قال السعدي في تفسيره (ص/ ٧٢): "يخبر تعالى أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم، وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به، حق وصدق، وتيقنوا ذلك، كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد ﷺ، وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون".

(٤) قال الشوكاني في الفتح القدير (٣/ ٢٢٢): "أَيْ: هُمْ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي عَدَّدَهَا، وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا بِمَا يَقَعُ مِنْ أَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَبِأَقْوَالِهِمُ الْبَاطِلَةِ، حَيْثُ يَقُولُونَ هِيَ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنَّهَا بِشَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ، وَحَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ وَرِثُوا تِلْكَ النِّعَمَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَيْضًا كَوْنُهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ النِّعَمَ فِي مَرْضَاةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَفِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِصَرْفِهَا فِيهَا وَقِيلَ: نِعْمَةُ اللَّهِ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ ثُمَّ يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُ ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أَيِ: الْجَاحِدُونَ لِنِعَمِ اللَّهِ أَوِ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ، وَعَبَّرَ هُنَا بِالْأَكْثَرِ عَنِ الْكُلِّ، أَوْ أَرَادَ بِالْأَكْثَرِ =

فإن عمل بالتَّوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه [١] أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، [٢] وهو شرٌّ من الكافر الخالص [٣] كما قال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة النساء:١٤٥]. [٤]

= الْعُقَلَاءَ دُونَ الْأَطْفَالِ وَنَحْوِهِمْ، أَوْ أَرَادَ كُفْرَ الْجُحُودِ وَلَمْ يَكُنْ كُفْرُ كُلِّهِمْ كَذَلِكَ، بَلْ كَانَ كُفْرُ بَعْضِهِمْ كُفْرَ جَهْلٍ، وَكُفْرُ بَعْضِهِمْ بِسَبَبِ تكذيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

(١) أي: الأمر الذي يدخل الإنسان به في الإسلام، ولا يريد أن يتعلمه، والظاهر أنَّ هذا هو الكافر الجاهل المعرض، بخلاف الجاهل الذي يفهم أصل الإيمان ولكن لا يدري تفاصيله، فهذا مسلم جاهل.

قال الشيخ سليمان بن سمحان: "الرجل الجاهل، إن كان معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، فهو مسلم، ولو كان جاهلا بتفاصيل دينه، فإنه ليس على عوام المسلمين، ممن لا قدرة لهم على معرفة تفاصيل ما شرعه الله ورسوله، أن يعرفوا على التفصيل، ما يعرفه من أقدره الله على ذلك، من علماء المسلمين، وأعيانهم، مما شرعه الله ورسوله، من الأحكام الدينية."

انظر الدرر السنية (١٠/ ٤٧٠) وشرح الكشف للعلامة ابن عثيمين (ص/ ١٠٢).

(٢) أي: أقر بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أريد منه، ولكن لا يدين بذلك، إما بغضا له أو عدم محبته، كما هي حال المنافقين الذين بين أظهرنا. الدرر السنيّة (٩/ ٤١٧).

(٣)فإن الكافر الخالص لأتى الشر من وجهه ولا خادَعَ، ولا دلَّس ولا لبس وخان. انظر شرح العلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٢٩).

(٤) وَهِيَ الْهَاوِيَةُ، لِغِلَظِ كُفْرِهِ وَكَثْرَةِ غَوَائِلِهِ، وَأَعْلَى الدَّرَكَاتِ: جَهَنَّمُ، ثُمَّ الْحُطَمَةُ، ثُمَّ السَّعِيرُ، ثُمَّ سَقَرُ، ثُمَّ الْجَحِيمُ، ثُمَّ الْهَاوِيَةُ. وَقَدْ تُسَمَّى جَمِيعَهَا بِاسْمِ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ عَذَابِهَا.

وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)﴾ [التين] فيه أَنَّ الْكَافِرِ يَرِدُ إِلَى أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ السَّافِلَةِ، وَلَا يُنَافِي هَذَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ فَلَا مَانِعَ مِنْ كَوْنِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مُجْتَمِعِينَ فِي ذَلِكَ الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ. انظر فتح القدير للشوكاني (١/ ٦١١) (٥/ ٥٦٨).

وهذه المسألة [(١)] مسألة كبيرة طويلة [(٢)] تتبين لك إذا تأمَّلتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق [(٣)] ويترك العمل به [(٤)] لخوف نقص دنيا [(٥)] أو جاه [(٦)] .

أو مداراة لأحد، [(٧)] ويظنّ أنه يعذر.

---

(١) وهي أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإذا اختل شيء منها؛ لم يكن الرجل مسلماً. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٣٠) والتوضيحات الكاشفات (ص/ ٢٦١).

(٢) يعني أن تتبعها يطول. انظر شرح العلامة ابن عثيمين (ص/ ١٠٢).

(٣) وهو: التوحيد.

(٤) قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ كما في الدرر السنية (٨/ ٣٨٧): "وقد عرفت حال أهل وقتك من طلبة العلم، وأنهم ما بين مجاهر بإنكار الحق، قد لبس عليه أمر دينه، أو مداهن مع هؤلاء ومع هؤلاء، غاية قصده السلوك مع الناس، وإرضاؤهم، أو ساكت معرض عن نصرة الحق، ونصرة الباطل، يرى الكفاف أسلم، وأن هذا الرأي أحكم؛ هذا حال فقهاء زمانك، فقل لي: من يقوم بنصر الحق وبيانه، وكشف الشبهة عنه ونصرته، إذا رأيت السكوت والصفح؟".

(٥) كأن يخاف أنه إذا علموا أنه موحد لا يشترون منه، أو لا يبيعون له، ويهجرونه.

(٦) كأن يخاف أنه إذا علموا أنه موحد تذهب مكانته ومنزلته عند الناس.

(٧) أي: جامله، وأصل المداراة اتقاء شر من تداريه، ولعل مراده بالمداراة هنا: المداراة المذمومة والتي بمعنى المداهنة، وإن كان ثابتاً الفرق بين المداراة والمداهنة عند بعض علماء نجد، كما وضَّحه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله بقوله: "والمداهنة ترك ما يجب لله من الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتغافل عن ذلك لغرض دنيوي وهو نفساني ... وأما المداراة فهي درء شر المفسدة بالقول اللين وترك الغلظة، أو الإعراض عنه إذا خيف شره وحصول منه أكبر مما هو ملابس." التوضيحات الكاشفات (ص/ ٢٦٢). ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٤٢١) وتعليقات على كشف الشبهات (ص/ ١٠١) وشرح صالح آل الشيخ (ص/ ٤١٢).

وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا، (١) فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه. (٢)

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: (٣)

أولاهما: ما تقدَّم من قوله تعالى: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [سورة التوبة:٦٦]. (٤) فإذا تحقَّقت أن بعض الصحابة (٥) الذين غزوا الرّوم مع الرسول ﷺ كفَروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبيَّن لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقصان مال، أو جاه، أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلَّم بكلمة يمزح بها. (٦)

---

(١) أما قلبُه فلا يصل إليه حقيقة الاعتقاد. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٣٠).

(٢) ولا هو يتعلَّم بل هو معرض عنه.

(٣) فإن بفهمها يتبين لك ما قرره المصنف من أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل. انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٣١).

(٤) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٦): " قُلْ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ: {لَا تَعْتَذِرُوا} بِالْبَاطِلِ، فَتَقُولُوا: كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. {قَدْ كَفَرْتُمْ} يَقُولُ: قَدْ جَحَدْتُمُ الْحَقَّ بِقَوْلِكُمْ مَا قُلْتُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ {بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} يَقُولُ: بَعْدَ تَصْدِيقِكُمْ بِهِ وَإِقْرَارِكُمْ بِهِ."

(٥) الظاهر أنه لا يصح إطلاق اسم الصحابي على من كفر وبقي على كفره، أو نفاقه الأكبر، لأن شرطه أن يموت على الإسلام. نزهة النظر (ص/ ٥٥) والإصابة (١/ ١٣).

(٦) أي: أولى وأحق بالكفر ممن تكلم بكلمة يمزح بها وهو من الصحابة.
قال المصنف: "إذا عرفت: أن أعظم أهل الإخلاص وأكثرهم حسنات، لو يقول كلمة الشرك، مع كراهيته لها، ليقود غيره بها إلى الإسلام، حبط عمله، وصار من الخاسرين. فكيف بمن أظهر أنه منهم، وتكلم بمائة كلمة، لأجل تجارة، أو لأجل أنه يحج، لما منع الموحدون من الحج، كما منعوا النبي ﷺ وأصحابه، حتى فتح الله مكة. فمن فهم هذا فهما جيِّدا، انفتح له معرفة قدر التَّوحيد عند الله =

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة النحل:١٠٦-١٠٧]. (١)

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنًّا بالإيمان. (٢)

= عز وجل وقدر الشرك. ولكن إن عرفت هذه بعد أربع سنين فنعما لك، أعني المعرفة التامة، كما تعرف أن القطرة من البول تنقض الوضوء الكامل، إذا خرجت، ولو بغير اختياره".

انظر الدّرر السنيَّة (١/ ١٢٢) وشرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٣١).

(١) قال الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٧٥): " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ عَلَى الْكُفْرِ فَنَطَقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ بِلِسَانِهِ، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، مُوقِنٌ بِحَقِيقَتِهِ صَحِيحٌ عَلَيْهِ عَزْمُهُ غَيْرُ مَفْسُوحِ الصَّدْرِ بِالْكُفْرِ، لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا، فَاخْتَارَهُ وَآثَرَهُ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبَاحَ بِهِ طَائِعًا، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: حَلَّ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ غَضَبُ اللَّهِ وَوَجَبَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمُ اخْتَارُوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ آيَاتِهِ مَعَ إِصْرَارِهِمْ عَلَى جُحُودِهَا".

(٢) قال البَغَوي في تفسيره (٥/ ٤٦): "وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى: أَنْ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ، يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ، وَإِذَا قَالَ بِلِسَانِهِ غَيْرَ مُعْتَقِدٍ لَا يَكُونُ كُفْرًا، وَإِنْ أَبَى أَنْ يَقُولَ حَتَّى يُقْتَلَ كَانَ أَفْضَلَ."

مسألة: تعريف الإكراه: معنى الإكراه حمل الغير على أمر لا يريد مباشرته بتخويف يقدر الحامل على إيقاعه ويصير الغير خائفاً به، وقيل: إرغام العبد على ما لا يريد، وأركانه أربعة:

أ) أن يكون المكرهُ قادراً على تحقيق ما تهدد به.

ب) أن يكون المكرَه عاجِزاً عن أن يدافع عن نفسه؛ لا بمقاومة شخصية، ولا استغاثة بغيره، ولا فراراً من المكرِه؛ فمتى استطاع أن يقوم بأحد هذه الأمور ولم يفعله لم يكن مكرَهاً.

=

وأما غير هذا [١] فقد كفر بعد إيمانه، [٢] سواء فعله خوفًا، أو طمعًا، أو مداراة،

= ت) أن يكون الأمر المتهدد به من الأمور المحرمة على المكرَه.

ث) أن يكون المتهدد به عاجلاً ويغلب على ظن المكرَه بأن المكرِه سيوقع ما هدد به في الحال، إن لم يفعل ما أمره به.

انظر عوارض الأهلية عند الأصوليين (ص/ ٤٧٢) والتوضيحات الكاشفات (ص/ ٢٦٦) ومذكرة أصول الفقه (ص/ ٣٦).

مسألة: أحوال المكره:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم في شرح الكشف (ص/ ١٣٣-١٣٤): "فالإنسان الذي يُلجِئُه من يُلجِئُه إلى أن يصدر منه الكفر له حالات:

أحدها: أن يمتنع ويصبر عليها، فهذه أفضل الحالات.

الثانية: أن ينطق بلسانه مع اعتقاد جنانه الإيمان، فهذا جائز له تخفيف ورحمة.

لثالثة: أن يُكرَه فيجيب ولا يطمئن قلبه بالإيمان؛ فهذا غير معذور وكافر.

الرابعة: أن يُطلب منه ولا يُلجَأ؛ فيجيب ما وصل إلى حد الإكراه ولكن يوافق بلسانه وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان فهذا كافر.

الخامسة: أن يُذكر له ولا يصل إلى حد الإكراه، فيوافق بقلبه ولسانه فهذا كافر."

انظر مجموع فتاوي ورسائل العلامة ابن عثيمين (٢/ ١٣٩-١٤٠).

(١) أي: غير المكره، مع طمأنينة القلب بالإيمان، من الأعذار التي ذكرت قبل.

قال شيخ الإسلام: "أباح سُبْحَانَهُ عِنْد الاكراه ان ينْطق الرجل بالْكفْر بِلِسَانِهِ إذا كَانَ قلبه مطمئنا بِالْإِيمَان بِخِلَاف من شرح بالْكفْر صَدرا." انظر الاستقامة (٢/ ٣١٩-٣٢٠).

(٢) إذا ارتكب ناقضا، وتكلم بكلمة الكفر. =

أو مشحة بوطنه، [١] أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض،إلا المكره. [٢] فقد استثناه الله. [٣]

= قال شيخ الإسلام: "مَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتِ الْكُفْرِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ وَمَنْ اسْتَهْزَأَ بِاَللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَأَنَّ مَنْ قَالَ: إنَّ مِثْلَ هَذَا قَدْ يَكُونُ فِي الْبَاطِنِ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَإِنَّمَا هُوَ كَافِرٌ فِي الظَّاهِرِ فَإِنَّهُ قَالَ قَوْلًا مَعْلُومَ الْفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ الدِّينِ." مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٧-٥٥٨).

(١) أي: تكلم بكلمة الكفر بخلا بوطنه، وأظهر لهم أنه منهم، وأن دينهم حق، ودين الإسلام باطل، فهذا كافر مرتد، ولو عرف الدين بقلبه، لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة، ويتكلم بكلام الكفر من غير إكراه، فدخل في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ بخلاف من كان يقدر على إظهار دينه عندهم، ويتبرأ مما هم عليه من الكفر والشرك، ويظهر لهم كفرهم وعداوتهم، ولا يفتنونه عن دينه، لأجل عشيرته أو ماله، أو غير ذلك، فهذا لا يحكم بكفره. انظر الدرر السنية (١٠/ ١٤٠-١٤١).

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله: "فحكم تعالى حكماً لا يبدل: أن من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل أم لا، وسواء كفر بباطنه وظاهره أم بباطنه دون ظاهره، وسواء كفر بفعاله أو مقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا، فهو كافر على كل حال، إلا المكره، وهو في لغتنا: المغصوب." انظر الدرر السنية (٨/ ١٣١-١٣٢).

(٣) قال المصنف كما في الدرر السنية (١٠/ ٩): "فإذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة؛ وذكروا: أن الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه، مع بغضه لذلك وعداوة أهله، لكن خوفا منهم، أنه كافر بعد إيمانه، فكيف بالموحد في زماننا، إذا تكلم في البصرة، أو الإحساء، أو مكة، أو غير ذلك خوفا منهم، لكن قبل الإكراه، وإذا كان هذا يكفر، فكيف بمن صار معهم، وسكن معهم، وصار من جملتهم؟! فكيف بمن أعانهم على شركهم، وزينه لهم؟ فكيف بمن أمر بقتل الموحدين، وحثهم على لزوم دينهم؟"

والآية تدل على هذا [١] من وجهين: الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره. [٢]

ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل. [٣]

وأما عِقيدة القَلب فلا يُكره عليها أحد. [٤]

(١) أي: أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، أو أن من تكلم بكلمة الكفر أو فعل شيئا كفريا يكفر إذا فعله عمدا بدون تأويل إلا المكره. شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٣٣).

(٢) في بعض السنخ: (فلم يستثن إلا من أكره)، أي: لم يستثن غيره ممن تعلق بغرض من الأغراض التي ذكر المصنف رحمه الله تعالى شيئا منها، كخوف أو طمع أو مداهنة، أو بخل وطن، وما إلى ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَثْنَى الْمُكْرَهَ مِنْ الْكُفَّارِ وَلَوْ كَانَ الْكُفْرُ لَا يَكُونُ إلَّا بِتَكْذِيبِ الْقَلْبِ وَجَهْلِهِ لَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهُ الْمُكْرَهَ؛ لِأَنَّ الْإِكْرَاهَ عَلَى ذَلِكَ مُمْتَنِعٌ فَعُلِمَ أَنَّ التَّكَلُّمَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ لَا فِي حَالِ الْإِكْرَاهِ."

انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٦٠).

(٣) أي: قد يكره على القول بأن يتكلم به، بالاتفاق، والآية نص على ذلك، قال الحافظ: "وَأَمَّا مَنْ أُكْرِهَ بِلِسَانِهِ وَخَالَفَهُ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ لِيَنْجُوَ بِذَلِكَ من عدوه فَلَا حرج عَلَيْهِ أَن اللَّهُ إِنَّمَا يَأْخُذُ الْعِبَادَ بِمَا عُقِدَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ."

وأما كون الإكراه بالفعل ففيه خلاف، وما ذكره المصنف هو مذهب الجمهور، وهو الظاهر من كلام الفقهاء في حكم المرتد، حيث قالوا: إنه يكفر بعد إسلامه، بقول، أو فعل، أو شك، أو اعتقاد، واشترطوا كونه طوعا، ولم يقيدوه بالقول، ومن أهل العلم من يرى أن الإكراه يكون بالأقوال فقط لا بالأفعال.

انظر الفتح (١٢/ ٣١٣) والدرر السنية (١٠/ ٤٢٠) وجامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٠-٣٧٥).

(٤) وذلك لأنه لا يطلع عليها إلا الله، ولا يتصور فيها الإكراه؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يكره شخصاً فيقول: لا بد أن تعتقد كذا وكذا؛ لأنه أمر باطن لا يعلم به، وإنما الإكراه على ما ظهر فقط بالقول والفعل.

=

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة النحل:١٠٧].(١)

فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغض للدين، أو محبَّة الكفر.(٢)

= قال المصنف: "والإكراه لا يكون على العقيدة، بل على القول والفعل، فقد صرح بأن من قال المكفر، أو فعله، فقد كفر، إلا المكره بالشرط المذكور، وذلك: أن ذلك بسبب إيثار الدنيا، لا بسبب العقيدة."

وقال ابن العربي: "وَأَمَّا الْكُفْرُ بِاَللَّهِ فَذَلِكَ جَائِزٌ لَهُ (أي: المكره) بِغَيْرِ خِلَافٍ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَلْفِظَ بِلِسَانِهِ، وَقَلْبُهُ مُنْشَرِحٌ بِالْإِيمَانِ، فَإِنْ سَاعَدَ قَلْبُهُ فِي الْكُفْرِ لِسَانَهُ كَانَ آثِمًا كَافِرًا؛ لِأَنَّ الْإِكْرَاهَ لَا سُلْطَانَ لَهُ فِي الْبَاطِنِ، وَإِنَّمَا سُلْطَتُهُ عَلَى الظَّاهِرِ".

انظر الدرر السنية (١٠/ ٦٤-٦٥). شرح الكشف لابن عثيمين (ص/ ١٠٤) وأحكام القرآن (٣/ ١٦٠).

(١) قال ابن الجوزي: " في المشار إليه بذلك قولان:

أحدهما: أنه الغضب والعذاب، قاله مقاتل.

والثاني: أنه شرح الصدر للكفر. و «استحبُّوا» بمعنى: أحبوا الدنيا واختاروها على الآخرة. ". زاد المسير (٤/ ٤٩٧) والفتح القدير (٣/ ١٩٧).

(٢) وذلك لأنه ذكر تعالى مَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ وَذَكَرَ وَعِيدَهُ فِي الْآخِرَةِ ثُمَّ قَالَ {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}. وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْوَعِيدَ اسْتَحَقُّوهُ بِهَذَا. وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَابَ التَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ لَيْسَ هُوَ مِنْ بَابِ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٦٠).

وإنما سببه [١] أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا [٢] فآثره على الدّين. [٣]

(١) أي صدور الكفر منه، أنه تكلم بالكفر لسبب وهو أن له في التكلم بالكفر شيئاً واحداً.

انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/ ١٣٣).

(٢) يحصل له، ويعني بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه، أو مال، أو رئاسة أو غير ذلك، فيرتكب هذا المحظور لأجل أنه لا يحصل له مطلوبه إلا -والعياذ بالله- بإيثار الحياة الدنيا.

قال شيخ الإسلام: " وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ اسْتِحْبَابَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ هُوَ الْأَصْلُ الْمُوجِبُ لِلْخُسْرَانِ، وَاسْتِحْبَابُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ قَدْ يَكُونُ مَعَ الْعِلْمِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ الْكُفْرَ يَضُرُّ فِي الْآخِرَةِ وَبِأَنَّهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ."

انظر شرح الكشف للعلامة ابن إبراهيم (ص/١٣٣) وشرح الكشف للعلامة ابن عثيمين (ص/ ١٠٤-١٠٥) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٦٠).

(٣) أي: فضله وقدَّمه على توحيد الله سبحانه وتعالى ودينه الذي يجب اعتقاده.

وقد قال الله جلَّ وعلا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود (١٦)].

فائدة:

قال العلامة الفوزان في شرح كشف الشبهات (ص/ ١٢٢): " فالحاصل أن الذي يتكلم بكلمة الكفر لا يخلو من خمس حالات:

الحالة الأولى: أن يكون معتقدًا ذلك بقلبه فهذا لا شك في كفره.

الحالة الثانية: ألا يكون معتقدًا ذلك بقلبه ولم يكره على ذلك ولكن فعله من أجل طمع الدنيا أو مداراة الناس وموافقتهم فهذا كافر بنص الآية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾.

الحالة الثالثة: من فعل الكفر والشرك موافقة لأهله وهو لا يحبه ولا يعتقده بقلبه وإنما فعله شحًا ببلده أو ماله أو عشيرته.

الحالة الرابعة: أن يفعل ذلك مازحًا ولاعبًا كما حصل من النفر المذكورين. وهذا يكون كافرًا بنص الآية الكريمة.

الحالة الخامسة: أن يقول ذلك مكرهًا لا مختارًا وقلبه مطمئن بالإيمان فهذا مرخص له في ذلك دفعًا للإكراه، وأما الأحوال الأربع الماضية فإن صاحبها يكفر كما صرحت به الآيات وفي هذا رد على من =

والله سبحانه وتعالى أعلم، وأعز وأكرم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والحمد لله ربِّ العالمين. (١)

= يقول إن الإنسان لا يحكم عليه بالكفر ولو قال كلمة الكفر أو فعل أفعال الكفر حتى يُعلم ما في قلبه، وهذا قول باطل مخالف للنصوص وهو قول المرجئة الضُّلاَّل."

(١)وكان الفراغ من كتابة هذه المبيضة يوم الخميس الثالث والعشرون من شهر جمادى الثانية، عام ألف وأربعمائة وأربعين هجرية، والله هو المسئول أن يبارك فيها، وينفع بها الإسلام والمسلمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

بقلم أبي مشكور الإسرافيلي

عبد الشكور بن علي بن عبد الله الصَّومالي.

كان الله معه

فَهرَسُ أهمِّ المَصَادِرِ وَالمَراجِع

١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان.

٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٤) البداية والنهاية، لابن كثير، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٥) التعليقات المباركات على كشف الشبهات للشيخ زيد المدخلي.

٦) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات للهبدان.

٧) التوضيح والتتمات على كشف الشبهات للشيخ علي الخضير.

٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، الناشر: دار العاصمة، السعودية.

٩) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، الناشر: الدولة السعودية.

١٠) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن.

١٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٣) القول السَّديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية.

١٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

١٥) الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات للشيخ عبد العزيز بن علي القصير.

١٦) تصحيح مفاهيم العبيد بشرح كشف الشبهات في التوحيد للأخ أبي فيروز الاندنوسي.

١٧) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للصنعاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٨) تحقيق وتعليق على كشف الشبهات للشيخ عبد الله القحطاني.

١٩) تعليقات على كشف الشبهات لعبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف.

٢٠) تفسير الطبري المسمَّى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)

٢١) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: ابن كثير.

٢٢) تفسير السِّعدي، المسمَّى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

٢٣) تفسير الشَّوكاني، المسمَّى: «فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعُ بَيْنَ فَنَّيِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ من علم التفسير».

٢٤) تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.

٢٥) حاشية كشف الشبهات للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل بسَّام.

٢٦) حاشية كشف الشبهات للعلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع.

٢٧) شرح كشف الشبهات للعلَّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٢٨) شرح كشف الشبهات للعلَّامة ابن باز.

٢٩) شرح كشف الشبهات للعلاَّمة ابن عثيمين.

٣٠) شرح كشف الشبهات للعلامة الشيخ عبد الله بن حميد.

٣١) شرح كشف الشبهات للشيخ عبد العزيز الرَّاحجي.

٣٢) شرح كشف الشبهات للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

٣٣) شرح كشف الشبهات لخالد المصلح.

٣٤) شرح كشف الشبهات للشيخ صالح العصيمي

٣٥) شرح كشف الشبهات للعلامة البراك.

٣٦) شرح النووي على مسلم، المسمَّى بالمنهاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٧) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.

٣٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

٣٩) مجموع آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يَحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٤٠) مجموع فتاوى ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

٤١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الناشر : دار الوطن - دار الثريا.

٤٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، المؤلف: لبعض علماء نجد الأعلام، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٣) مؤلفات الشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب، المحقق: جماعة من الفضلاء، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودي.

٤٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٥) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، الناشر: وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والأرشاد.

٤٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ الحكمي، الناشر : دار ابن القيم – الدمام.

٤٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٨) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، الناشر: دار الهداية للطبع والنشر والترجمة.

❊ ❊ ❊

فَهرَسُ المُحتَوِيَاتِ

المقدّمة ٣
ترجمة المصنِّف ٦
تَعرِيفُ الكِتَاب ٩
وأسباب الشُّبهة ثلاثة: ١٢
مَوضُوعِ الكِتَابِ ١٣
عدد الشبهات ١٤
مَن هُو صَاحِب هذه الشُّبهات؟ ١٥
ثَنَاء العُلَمَاء عَلَى هَذَا الكِتَاب ١٦
أَنوَاعُ الفِتَن وَكَيفيَّة النَّجَاة مِنها ٢٢
مَنهَجُ أَهلِ العِلمِ عِند وُرودِ الشُّبه ٢٧
مقدّمة المصنِّف ٢٩
الحِكمَةُ مِن بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ ٥١
إِقْرَارُ كفَّارِ قُرَيش بِتَوحِيد الربوبيَّة ٥٤
الأَدَلَّةُ عَلَى إِقرَارِ الكُفَّارِ بالرُّبُوبِيَّة ٥٨
بَيَانُ سَبب كُفرِ الكفَّار ٦٢
تَوحِيدُ العِبَادَة هُو مَعنَى لَا إِلَه إِلَّا الله ٧١
مَفَاهِيم خَاطِئَة فِي فَهمِ كَلمَة التَّوحِيد ٧٩
نِعمَةُ التَّوحِيدُ تُوجِبُ الفَرَح بِه وَالخَوف مِن سَلبِهِ ٨٣
دَوامُ العِداء لأَهلِ التَّوحِيد ٩٦
ضَرُورَة التَّسلّح بالعِلم لردِّ شُبه المُعَانِدِين ٩٩

القُرآنُ ينقضُ جَمِيع الشُّبَه ١٠٦
بَيَان مَوضُوعِ الكِتَاب ١٠٨
مِثَالٌ عَلَى الجَوابِ المجمَل ١١١
وأما الجواب المفصل: ١١٤
الشُّبهَةُ الأُولَى وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١١٥
الشُّبهَةُ الثَّانِيةُ وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٢٠
الشُّبهَةُ الثَّالثَةُ وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٢٧
الشُّبهَةُ الرَّابِعَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٣١
الشُّبهَةُ الخَامِسَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٤٣
الشُّبهَةُ السَّادِسَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٤٩
الشُّبهَةُ السَّابِعَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٥٣
الشُّبهَةُ الثَّامِنَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٥٦
حَاصِلُ الأَجوِبَة عَنِ الشُّبهَة الثَّامِنَة ١٦٣
الشُّبهَةُ التَّاسِعَة وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٦٥
الشُّبهَةُ العَاشِرة وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٦٩
شِركُ الأَوَّلين أَخَفُّ مِن شِركِ أَهلِ زَمَانِنَا ١٧٢
الشُّبهَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيهَا ١٨٠
الشُّبهَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيهَا ٢٠٥
بَعضُ فَوائد القِصَّة ٢٠٨
الشُّبهَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيهَا ٢١٢
الشُّبهَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيهَا ٢٢٥

الشُّبهَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ وَالرَّدُّ عَلَيهَا ٢٣٣
خَاتِمَة فِي أَركَانِ التَّوحِيدِ ٢٣٧
فَهرَسُ أهمِّ المَصَادِرِ وَالمَراجِعِ ٢٥١
فَهرَسُ المُحتَوِيَاتِ ٢٥٥